الفيلم الوثائقي

كيف تصنع فيلماً وثائقياً مؤثراً

عبدالرحمن حسن صندقجي

مدارك

الفيلم الوثائقي
كيف تصنع فيلماً وثائقياً مؤثراً

إلى أبنائي
غالية ومحمد ويعقوب

الفهرس

المقدمة	7
الفصل الأول: الوثائقيات	15
بداية الأفلام	15
بداية الوثائقيات	19
الوثائقيات والحقيقة	24
تأثير الأفلام	25
الهدف من الوثائقيات	31
الفرق بين الوثائقيات والروائيات	39
أنواع الوثائقيات	47
السؤال الأهم	59
الفصل الثاني: الوثائقي	61
من هو الوثائقي؟	61
لماذا يصنعون الوثائقيات؟	63
الفنان	72
الشغف	74
علامات الشغف	76
الأخلاقيات	81
كيف تصبح وثائقياً؟	87
الجزء العملي	93
الفصل الثالث: الفكرة	95
مصادر الأفكار	117
اختيار الفكرة	120
تقييم الأفكار	123
الخطوة القادمة	130
الفصل الرابع: القصة	131
البحث	132
هل كل المواضيع تحتاج إلى بحث؟	134
مصادر وطريقة البحث	136
العثور على الضيوف	138
بناء القصة	139
الرواية الدرامية للقصة	140
قوس القصة	144
طريقتي في بناء القصة	149
السيناريو	151
حفظ الحقوق الفكرية	156
تنفيذ القصة	158
الفصل الخامس: الإعداد	161
الملف التعريفي للمشروع	163
عناصر الملف التعريفي للمشروع	164
تكاليف الإنتاج	171
رحلة البحث عن الدعم	174
مصادر الدعم	177

الترويج للفكرة	178
اتفاقية الدعم	179
البحث عن الفريق	181
أعضاء الفريق	184
التعاقد مع أعضاء الفريق	189
استعدادات ما قبل الإنتاج	192
الاطمئنان	197
الفصل السادس: الإنتاج	199
أدوات الإنتاج	201
الاهتمام بأدوات الإنتاج	210
كيف تختار أدواتك؟	212
نوع الكاميرا لم يعد يهم	216
فنون التصوير	223
فن تصوير اللقاءات	224
فن تصوير المشاهد الجمالية	227
إجراءات اللقاءات	231
التعامل مع الفريق	237
الفصل السابع: المونتاج	243
برامج المونتاج	245
خطوات المونتاج	248
توقف!	271
الفصل الثامن: النشر	273
أماكن العرض	275
الأدوات التسويقية	285
الخاتمة	295
كلمة شكر	297
المصادر	299

المقدمة

"أنا صانع قصة، هذا هو ما يدور حوله الاستكشاف. إنه الذهاب إلى أماكن لم يذهب إليها الآخرون والعودة لإخبار قصة لم يسمعوا بها من قبل."

جيمس كاميرونJames Cameron

إن للأفلام الوثائقية تأثيراً كبيراً على الناس، فبسبب أسلوبها المباشر والمليء بالأدلة والبراهين، بالإضافة إلى شفافيتها العالية ومعلوماتها التي تكون صادمة في أغلب الأحيان تجعل كل من يشاهدها يصدق ما فيها ويستوعبها ويفكر في محتواها بكل جدية. بل إنها قد تصل إلى الدرجة من التأثير التي تجعل سلوك مشاهدها يتغير جراء مشاهدة إحداها، بل تتغير وجهة نظره نحو القضية المعروضة فيها.

لا ننكر بأننا أصبحنا في زمن متسارع نحتاج فيه إلى المصادر الأسرع والأكثر جاذبية من تلك التي أصبحنا نعدها قديمة ومملة كالمصادر المقروءة، حيث أصبحنا نفضل إبصار المعلومة على أن نقرأها. وبعض الأفلام الوثائقية تلبي هذه الحاجة خصوصاً التعليمية منها والتاريخية وغيرها. حيث قال المخرج الأمريكي الشهير ستيفن سبيلبرغ " :Steven Spielbergأعتقد أن الأفلام الوثائقية هي أعظم وسيلة لتثقيف جيل كامل لا يأبه أن يقرأ أي شيء عن تاريخه وواقعه." ومن إيجابيات الأفلام الوثائقية أيضاً قلة تكلفة إنتاجها وسرعة تنفيذها. فإن أضفت هذا إلى ميزة قوة تأثيرها فلماذا لا نصنع المزيد والمزيد منها؟.

هناك الكثير من القصص والتجارب والأحداث والقضايا من حولنا، والتي تستحق أن يتم روايتها وعرضها في فيلم وثائقي مُحبَك وجذاب. ففي المملكة العربية السعودية من القصص والحكايات والمواقف والتجارب الناجحة اللامعة التي لا تنتهي. خصوصاً أن المملكة صاعدة الآن نحو رؤية سامية وتسعى لإحداث الكثير من التغيير وتحقيق المزيد من النجاحات. وتتعرض في نفس الوقت للكثير من الهجمات الإعلامية التي تستهدف مقدراتها ونجاحاتها وقيمها؛ لذلك نحتاج إلى أفلام وثائقية عظيمة تُظهر الجانب الحقيقي والأصيل من سر قوتها وصمودها.

لم يكن هناك اهتمام كبير في الإعلام السعودي بصناعة الوثائقيات إلا مؤخراً. فبسبب الكثير من الأرقام القياسية والأمثلة الرائعة في كافة القطاعات، أصبح الجميع يريد نشر قصته وتجربته وإنجازاته. وبالتالي زاد الطلب على صانع الأفلام الوثائقية -أو كما أسميه "الوثائقي.-"

بالفعل، ليس هناك الكثير من الأسماء المعروفة في هذا المجال في المملكة العربية السعودية، ناهيك عن عدم وجود أفلام وثائقية سعودية كثيرة. ربما لصعوبة هذا المجال واحتمالية فشله العالية. حيث إن طريقها ليس بوضوح الأفلام الروائية التي تتسم بوجود سيناريو وجدول تصوير واضح. كما أن مجال الوثائقيات متعب جداً في تنفيذه ويتطلب الكثير من الصبر على تقلباته وتغيُّراته. ومن الملاحظ أيضاً قلة المهتمين به ومرتاديه. وعندما نلاحظ المهرجانات السينمائية المحلية سنجد أن أقل فئة تشارك بأفلامها وتتنافس على الجوائز هي فئة الأفلام الوثائقية للأسف. في حين أن المنافسة في المجالات الأخرى تكون حامية جداً.

ونفتقر في المملكة أيضا إلى وجود مهرجانات تختص بالوثائقيات فقط كما في أوروبا وأمريكا. لم أستشعر هذا الفقر إلا عندما حضرت مهرجان شيفيلد للأفلام الوثائقيةSheffield Fest Docالمقام في بريطانيا عام ٢٠١٩م. وجدت هناك عالماً مختلفاً تماماً عن المهرجانات السينمائية المختصة بالروائيات. فقد كان الاهتمام الأوحد لكافة الحضور والمشاركين في شيفيلد هو: كيف نصل إلى ذروة القوة في عرض القصص الحقيقية؟. وقد رأيت العجائب في محاولاتهم لتحقيق هذا عندما شاهدت بعض الأفلام التي عرضت هناك، عرفت حينها بأننا نجهل تماماً ماهية البيئة الوثائقية الحقة.

○ ○ ○

إن موضوع هذا الكتاب عزيز جداً على قلبي؛ لأن أهم المشاريع والأفلام التي عملت على صناعتها ووضعت الكثير من الجهد والشغف فيها كانت في حقيقتها أفلام وثائقية. فقد كان أول فيلم أخرجته وعملت عليه بجدية عالية وباهتمام كبير هو الفيلم الوثائقي "فوسفين "عام ٢٠١٤م، والذي فاجأنا بعد عرضه على اليوتيوب بحصده أكثر من ٥ ملايين مشاهدة خلال ٦ أيام. وكتب عنه أكثر من ٦٠ مقالاً وتقريراً في الصحف المحلية والعالمية، والعديد من اللقاءات التلفزيونية. في حينها أيقنت بأن هنا يكمن مجال شغفي.

إدوارد مويبريدج Eadweard Muybridge

ومن حينها لم أتوقف أبداً عن صناعة الوثائقيات، وتوالت الأعمال بعدها كفيلم "آل زهايمر "و "جليد "و "الكهف ."والكثير من الوثائقيات التي تناولت تاريخ وعجائب المملكة العربية السعودية، والأفلام الطبية، وقصص النجاحات، وإنجازات القطاع العام والخاص، وغيرها من المواضيع.

صناعة الفيلم الوثائقي تعني البحث، تعني التقصي، تعني محاولة رسم لوحة للحقيقة. تعني أن تحاول إلهام المشاهد بتجربة ناجحة أو تجربة محزنة. تعني أن تعرض للناس أناساً يشبهونهم في تجاربهم وقصصهم. يعني أن تحمل على عاتقك مسؤولية إيصال هذه القصص بأفضل طريقة ممكنة للمشاهد. تعني أن تكون صوتهم، وأن تكون عينهم، وأن تكون رغبتهم في إيصال تجربتهم. أن تضع نفسك مكانهم، وأن تتعاطف مع حالاتهم. أن تكون محل ثقتهم بك، فهم يعطونك كل ما عندهم ويتوقعون منك إيصالها لأكبر شريحة ممكنة. فأنت تحمل أمانة أن تجعلهم مسموعين ومرئيين.

إن مشوار صناعة الفيلم الوثائقي هو رحلة ومغامرة بحد ذاتها، وخصوصاً الاستقصائي منها. فعندما تصنع فيلماً وثائقياً استقصائياً فأنت تعيش الترقب والتوتر والأمل والإحباط، والسعادة والحزن وخيبة الأمل وحتى فرحة الانتصار والكثير من المشاعر الأخرى. وبالتالي، فإن جميع هذه المشاعر تنعكس على الفيلم الذي تعمل عليه.

توماس أديسون Thomas Edison
ويليام ديكسون William Dickson
لويس و أوغست لوميير

reèAuguste and Louis Lumi

مجال صناعة الأفلام الوثائقية لا يتطلب أن يكون صانعه مصوراً أو تقنياً محترفاً. يكفيك أن تكون قاصاً ملهماً وذكياً وشغوفاً بالصنعة لتتقنها. بالطبع هناك الكثير من المهارات المهمة الأخرى التي يجب أن تكتسبها وسنتحدث عنها لاحقاً، لكن يكفيني أن تصل إلى هذه النتيجة. لم أتعلم صناعة الأفلام الوثائقية من التقنيين والمصورين والأكاديميين بل تعلمتها من أفواه الذين جربوها وعاشوها لسنوات طويلة. تعلمتها من خلاصة تجاربهم ومن تأملاتهم.

بإمكانك أن تتعلم الكثير من صناعة فيلم وثائقي واحد. فأنت تتواصل فيه مع قصص واقعية وحالات عجيبة لم تسمع بها من قبل. بل تعمل على تقصي الإجابة حول أمر ما، وتتقابل فيه مع الناس المعنيين بالأمر، وتبحث في الكتب والإنترنت حوله وغيرها الكثير من المحاولات.

○ ○ ○

رأيت بعض صناع الأفلام يحاولون صنع أفلامهم الوثائقية، ولكنهم يواجهون الكثير من التحديات والعقبات التي لا يعرفون كيفية حلها. بل قد يفشل بعضهم في إتمام فيلمه أو قد يخرج هذا الفيلم بصورة لا ترتقي لطموحاته وتوقعاته؛ لذلك جاءت فكرة هذا الكتاب الذي أردت به أن أساعدهم في تحدياتهم. فلكي يستطيع الوثائقي أن ينفذ مشروعه بذكاء وبأقل التكاليف والجهد فإنه يتحتم عليه أن يعرف أسرار هذا المجال، ويفهم تفاصيل جميع مراحله وإجراءاته وأدواته والحلول العملية، وذلك لكي يتمكن من تحقيق حلمه وشغفه وعرض قصته بأفضل صورة ممكنة.

وهذا هو هدف هذا الكتاب، أريد أن أثقف به المهتمين بالوثائقيات وبعالمه الممتع، وأن أضع فيه كل ما تعلمته من تجاربي المتواضعة ومن قراءتي للكتب المتخصصة ومن مشاهدتي لأقوى الوثائقيات، علّه أن يكون مرشداً ومعيناً لأحدهم في صناعة فيلمه.

لطالما كان قرار العمل على هذا الكتاب ينتابني في ليالٍ متقطعة، حتى قررت في ليلة ملهمة أن أعمل عليه بجدية. والذي أتمنى أن يكون مرشداً وملهماً وجامعاً لبعض ما تعلمته خلال إنتاجي وإخراجي للعشرات من الأفلام الوثائقية التي عملت عليها خلال ما يزيد عن العشر سنوات الماضية، ومن خلال قراءاتي وتأملاتي للعديد من الكتب حول هذا المجال.

أريد أن أشاركك أفكاري وآرائي وتأملاتي عن مجال صناعة الأفلام الوثائقية. فهذا المجال هو الذي أتنفس من خلاله، والذي أفهم عن طريقه الحياة والناس. من الممتع أن تجد مجالاً ترى من خلاله نفسك وترى من خلاله الحياة ملونة ومتنوعة. أتذكر جيداً كل تلك اللحظات التي واجهت فيها التحديات والمصاعب عند صناعة أي فيلم وثائقي. التحديات بحد ذاتها كانت متعة. فهذه التحديات هي بحد ذاتها قصة بإمكاني أن أضعها في فيلمي.

عندما بدأت الإعداد لهذا الكتاب، بدأته بأسلوب أكاديمي ممل لدرجة أنني توقفت عند بداياته ولم أكمله. رأيت بأن هذا المجال لم يُبن بأسلوب أكاديمي. فالوثائقيات عبارة عن تجارب صانع أفلام عاش تجربة معينة وحمل على عاتقة أمانة محددة، وعمل على حياكتها بأسلوبه الخاص وعرضها لنا إما لإمتاعنا أو إلهامنا أو تحذيرنا أو دعوتنا للتحرك نحو اتجاه معين.

إن خلفيتي الأكاديمية هي تخصص الهندسة الصناعية. لم أتعلم مجال صناعة الأفلام الوثائقية من أي معهد أو جامعة، وإنما تعلمته من التجارب والدروس الشخصية. تعلمت من إخفاقاتي ومن نجاحاتي. من الإنترنت والكتب. تعلمت من كاميرتي ومن برنامج المونتاج الذي أستخدمه. تعلمت من تجارب فنانين وشغوفين في هذا المجال. وكان كل هذا لمحاولة فهم صناعة القصة وصناعة الإلهام من خلال الوثائقيات. لذلك، فكتابي هذا ليس كتاباً أكاديمياً. وإنما أردت لهذه التجربة أن تكون حقيقية، وأن أكون حقيقياً معك بأن أكون نفسي. آمنت بأنك اقتنيت هذا الكتاب؛ لأنك تبحث عن كلمات صادقة. تريدني أن أقول لك ما يجول في خاطري حقيقةً، وأن أعطيك خلاصة جميلة لكل شيء استنتجته وتعلمته.

فيلم "نانوك الشمال "Nanook of the North

طبقت ما تعلمته في أفلامي فنجحت في بعضها ولم أفلح في بعضها الآخر. عملت على عشرات المشاريع الوثائقية والروائية والدعائية وخرجت من كل مشروع بدروس و تأملات سواء في المجال نفسه أو في نظرتي للحياة والناس.

○ ○ ○

ستجد بين دفتي هذا الكتاب تقسيمة بسيطة وسهلة لفصوله. أتحدث في مستهلها بإسهاب عن الوثائقيات، وتاريخها، ومواصفاتها، ومميزاتها، وأنواعها. ومن ثم أسلط الضوء على الوثائقي كإنسان قبل أن يكون صانع أفلام، وما هي المهارات والقيم التي لابد أن يتحلى بها. ثم سأبدأ بعدها بالتدرج في عملية صناعة الوثائقيات بدءًا بالقصة، ومن ثم الإعداد لإنتاجها، ومن بعدها سأفصل في عملية الإنتاج بالقدر الذي سيفيدك بإذن الله. وسآتي بعدها إلى مرحلة المونتاج والتي أعتبرها المطبخ الحقيقي في صناعة الوثائقيات. وسأختم بفصل خاص عن نشر نتاجك الطموح. وكل هذا بناء على تأملاتي الشخصية التي استقيتها من تجربتي الواقعية، ومن قراءة العشرات من الكتب والمقالات المتخصصة في صناعة الأفلام الوثائقية، ومن العديد من الدورات المرئية واللقاءات الجماهيرية.

جون غريرسون John Grierson

سوف يتخلل كل جزء في محتوى الكتاب قصص حقيقية لوثائقيين عالميين وتجاربهم في صناعة أفلامهم بطريقة تخدم سياق الموضوع. سأقوم فيه بالنقاش حول بعض الأمور الفنية والموضوعية وغيرها المتعلقة بهذا الفيلم كمثال واقعي لنتعلم من تجربة صانعه وليكون باباً يفتح لنا آفاقاً لخبرات سابقة. وأنصحك بمشاهدة هذه الأفلام بكل تأن وبعقلية متفتحة وبرؤية تحليلية، والذي سيزيد هذا من فهمك العميق لهذا المجال. وبإمكانك أن تجد هذه الأفلام في العديد من المواقع الموثوقة، منها Netflixو Starzplayو OSNو Youtubeو Vimeo.

لا أريد من هذا الكتاب إلا أن يكون جامعاً لكل ما تعلمته، ومنصة ثابتة أجدد فيه كل خبراتي المتواضعة مع كل طبعة جديدة، ولا تنسوني ووالديّ من صالح الدعاء.

بالتوفيق والسداد.

عبدالرحمن حسن صندقجي
٢٥ إبريل ٢٠٢٠م
الرياض
Sandokji.com
a.sandokji@gmail.com

الفصل الأول
الوثائقيات

"يعد الفيلم الوثائقي طريقة رائعة لمساعدة الناس على الفهم؛ لأنه -بطريقة ما- عندما يتمكن الشخص من رؤية الأشخاص المعنيين، فإنه يضفي بعض الفهم الفوري والفهم الذي يصعب الحصول عليه من الصفحة".

لورينس رايت Lawrence Wright

بداية الأفلام

إن تاريخ الأفلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ اختراع الكاميرا والسينما. فقد بدأ هذا الشكل من الفن في زمن معين، وتفرع في مرحلة لاحقة إلى الأنواع المختلفة من الأفلام التي نشهدها الآن، كالروائية والوثائقية والتلفزيونية وغيرها. لذلك لكي نعرف بداية الأفلام لابد أن نتطرق إلى تلك اللحظة الفريدة في نهاية القرن التاسع عشر التي اشتعل فيها كل ما نشهده اليوم من ثورة إعلامية تزداد اتساعاً وعمقاً مع تقادم الزمن.

وقد تستغرب إن قلت لك بأن هذه اللحظة المشتعلة كانت عبارة عن هوس وفضول شخص تحدى نفسه ليجيب على سؤال بسيط طُرح عليه. وكأننا نتحدث عن نظرية تأثير الفراشة التي تؤدي حركة أجنحتها الصغيرة إلى نتائج هائلة في مكان آخر من الأرض. والأغرب هو استمرار اتساع موجة هذا الفضول إلى المرحلة التي جعلتنا عاجزين عن التنبؤ بنهايتها.

إدوارد مويبريدج Eadweard Muybridge

بدأ هذا الهوس عندما طلب محافظ ولاية كاليفورنيا ومؤسس جامعة ستانفورد ليلاند ستانفورد Leland Stanford من المصور الفوتوغرافي إدوارد مويبريدجEadweard Muybridgeعام ١٨٧٧م بالإجابة على سؤاله: عندما يعدو الحصان هل هناك وقت لا تلامس أي من حوافره الأرض تماماً؟.

أثار هذا السؤال فضول إدوارد، فعكف على اختراع طريقة لربط عدة كاميرات فوتوغرافية في صف واحد لتقوم كل واحدة بتصوير صورة ثابتة في جزء من الثانية للحصان وهو يركض، في طريقة نصفها اليوم بـ "Stop Motion". قام بتحميض هذه الصور ورتبها بطريقة متتابعة في جهاز مستدير على هيئة قرص دوار، يمكن للرائي من خلالها أن يرى الحصان وهو يتحرك بسلاسة متناهية. وبالتالي استطاع أن يرد على سؤال المحافظ

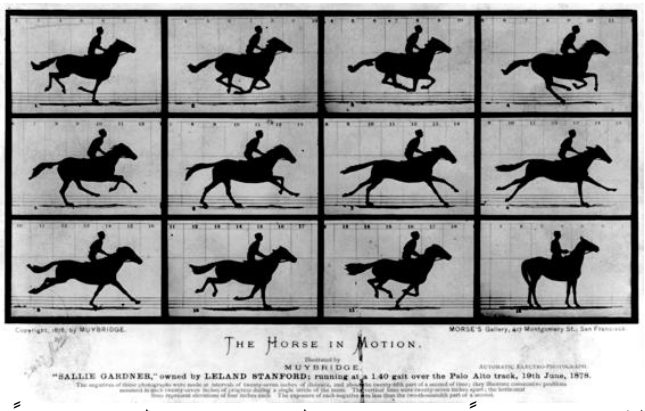

ستانفورد بأن هناك لحظة قصيرة جداً يصبح فيها الحصان في الهواء تماماً خلال ركضه.

ومن بعدها أصبح إدوارد شغوفاً بتطبيق هذه التجربة على الحيوانات والبشر، فصار يخرج بالعديد من الصور المتحركة للأحصنة والعربات والأناس الذين يسيرون في الشوارع. بل وصار يطور هذا الاختراع ويجري عليه التجارب. ولم يعلم أن شغفه هذا كان بمثابة البداية لكل ما نعيشه اليوم في عالم الإعلام المرئي.

إن أسلوبه الجديد في التصوير الأقرب لما نعرفه اليوم بتصوير الفيديو، وجهازه المستدير ذي الاسم الصعب "زوبراكسكوب Zoopraxiscope" و القريب من فكرة البروجيكتور، قد أغرى أقوى العقول في العالم مثل توماس أديسون Thomas Edisonوويليام ديكسون William Dickson والأخوين لويس و أوغست لوميير Auguste and Louis Lumièreفي أوقات وأماكن متفرقة من العالم، ليتسابقوا إلى تطوير هذه الفكرة لتصبح صناعة عالمية جبارة. فقد قام بعضهم بتطوير فكرة كاميرا الفيديو، وقام الآخر بتطوير فكرة السينما والعرض الجماهيري، وهلمّ جرا.

فيلم "تمزيق العلم الإسباني "Tearing Down the Spanish Flag
توماس أديسون Thomas Edison
ويليام ديكسون William Dickson
لويس و أوغست لوميير
Auguste and Louis Lumièreè

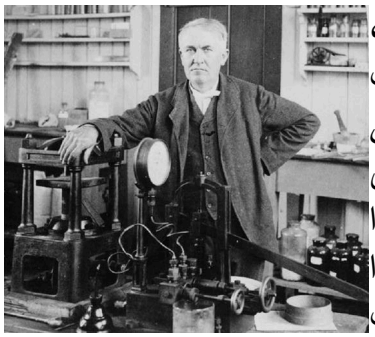

قام إدوارد بزيارة توماس أديسون في مختبراته عام ١٨٧٩م، لعلمه مسبقاً أنه بإمكان أديسون أن يقوم بتطوير فكرته؛ لتكون ذات فاعلية أكبر وأكثر كفاءة. وعلى الرغم من أن أديسون كان يفكر في الفكرة ذاتها قبل هذه الزيارة، إلا أن زيارة إدوارد كانت حافزاً له لأن يبدأ جدياً في تطبيق المشروع. قام بالتركيز على أن يعمل على هذا الاختراع وحده متجاهلاً دعوة إدوارد له بأن يتحالفا سويا في هذا المشروع، فقام باختراع جهازه الشهير "كينتوسكوب Kinetoscope"والذي كان بمثابة جهاز يعرض الصور المتسلسلة بكفاءة وجودة أعلى. كان مساعده وليام ديكسون هو من قام بتطبيق الاختراع، وتم تسجيل براءة الاختراع عام ١٨٩١م.

توماس أديسون Thomas Edison
سينماتوجراف Cinematograph

واستمر الإلهام بهذا التسلسل من مخترع لآخر، حيث استلهم الأخوان لويس وأوغست لوميير من اختراع أديسون أن يقوموا باختراعهما الأكثر تطوراً "سينماتوجراف Cinematographوالذي كان يقوم بالتصوير والعرض في آن واحد.

أصبح بعدها للصور الفوتوغرافية المتحركة إدمان من نوع مختلف. فبدأ الكل يرغب في تصوير مقاطع صغيرة للحياة الواقعية. كتصوير الأخوين لوميير لعمال مصنعهم وهم يخرجون منه في آخر الدوام، وغيرها من المقاطع الصغيرة لأماكن متفاوتة. وصار بعض الشغوفين بهذا الاختراع الحديث يحاولون اكتشاف الحدود التي يمكن لهذا الفن أن يصل إليه.

بداية الوثائقيات

عندما بدأ سباق اختراع الكاميرا واختراع أجهزة العرض ما بين عام ١٨٩٠م إلى عام ١٩١٠م كما عرضنا بعض تفاصيلها سابقاً، كان صناع الأفلام يستهدفون تصوير اللحظات الحقيقية والمباشرة التي يرونها أمامهم. وكانوا يسمونها حينها بـ "حقائق "Actualities، والتي كانت بمثابة ولادة السينما الوثائقية. حيث إن السينما الروائية كما نعهدها اليوم لم تبدأ إلا بعد قرابة ٢٠ سنة من بداية عصر التصوير التوثيقي.

كانت هذه الطريقة سلبية لصانع الفيلم، حيث إن لقطاته كانت تدور حول أمور عادية لا يعلم كيفية التصرف فيها فيما بعد. فكانت أغلب اللقطات تدور حول عمال يخرجون من مصنع أو مباراة ملاكمة أو بعض السفن والزوارق، ومن ثم تبقى هذه اللقطات دفينة الخزائن دون الاستفادة منها وعرضها. فمن يريد مشاهدة لقطة مدتها عدة ثوانٍ عن أناس عاديين يمشون في الشوارع؟.

ففطن للاستفادة من هذا الأسلوب المخرج الأمريكي روبرت فلاهرتي Robert Flaherty في بدايات القرن العشرين، وركز على إيجاد حل لمعضلة عدم ترابط المشاهد المتفرقة. ما فعله ببساطة هو اختيار قصة حقيقة لأناس حقيقيين، وحرص على تصوير أحداث معينة تحصل معهم. ومن ثم قام بربط جميع هذه المشاهد المتسلسلة في الأحداث في فيلم واحد ليخرج بقصة متكاملة ومترابطة.

وطبق أسلوبه هذا في فيلم "نانوك الشمال "Nanook of the North الذي كان أول فيلم وثائقي سينمائي في التاريخ عام ١٩٢٢م. كان الفيلم يعرض حياة سكان الأسكيمو في تلك الحقبة الزمنية، وبالتحديد حياة رجل يدعى نانوك وزوجته وأطفالهم وهم يقتاتون باصطياد الأسماك والفقمات والمتاجرة بها في بيئتهم القطبية الصعبة بطريقة رومانسية وشاعرية. حظي هذا الفيلم بإقبال كبير من الجماهير في صالات السينما، الذين انبهروا من مشاهدتهم لنوع مختلف من الأفلام عن عالم يؤمنون بأنه حقيقي ولكنهم يجهلونه ولم يشهدوا له مثيلاً.

روبرت فلاهرتي Robert Flaherty
فيلم "نانوك الشمال "Nanook of the North

وعمل فلاهرتي بعده في عام ١٩٢٦م على فيلم مشابه للفيلم السابق في الأسلوب اسمه "موانا "Moanaوالذي كان يعرض حياة سكان جزر بالي في المحيط الهادي. وهنا ظهر الأسكتلندي جون غريرسون John Grierson، الذي شاهد هذا الفيلم ثم كتب انطباعه عنه في صحيفة نيويورك صن، وقال فيه" :إن هذا الفيلم يعتبر سرداً مرئياً لأحداث الحياة اليومية التي يعيشها شاب بولينيزي مع عائلته، وله بالطبع قيمة وثائقية -أو توثيقية -كبيرة ."وسرعان ما أصبح هذا المصطلح "الوثائقيات "Documentariesهو الدارج في وصف الأفلام الغير الروائية، أي التي تعرض أحداثاً حقيقية ليست خيالية ولا تمثيلية.

فيلم "موانا "Moana

وأصبح بعدها يلقب روبرت فلاهرتي بـ "أبو الأفلام الوثائقية "لإسهامه الكبير في فتح هذا الباب الجديد. بل إن السجل الوطني للأفلام الذي أنشأه قانون الحفاظ على الأفلام الوطنية الذي أقره الكونجرس الأمريكي عام ١٩٨٨م قد قام بإدراج فيلم "نانوك الشمال "كأول فيلم وثائقي ضمن ٢٥ فيلماً آخر تميزوا بأهمية ثقافية وتاريخية وجمالية.

○ ○ ○

جون غريرسون John Grierson

لم يتوقف سحر فلاهيرتي عند تأثر الجمهور والتاريخ بما قدمه، بل وصل إلى أن أصبح الأسكتلندي جون غريرسون نفسه متأثراً بهذا الفن. واتخذه أسلوباً ليعبر من خلاله عن أفكاره المولعة بتوعية وتحسين مستوى حياة العامة في بريطانيا. فصار ينتج ويخرج وثائقيات دعائية تروج لأبرز المشاريع الحكومية، والتي يبث من خلالها رسائل تدعو الجمهور للقبول والرضا بالنظام القائم ومشاريعه الكبيرة. وأصبح بهذا مؤسساً لهذا الفن سويةً مع مُلهمه.

فيلم "ما قبل الطوفان "Before the Flood
دزيغا فيرتوف Dziga Vertov

وبينما كان هذان الإثنان يعملان على تأسيس هذا الفن في الغرب البريطاني والأمريكي، كان هناك وثائقياً عبقرياً آخر قد بدأ وهجه باللمعان في الشرق الروسي. وهو ملهم السينما الوثائقية عبر العصور دزيغا فيرتوف Dziga Vertov الذي كان له نظرة إخراجية مختلفة.

كان يقوم بتوثيق حياة مجتمعه الروسي عبر تصويره بكل تفاصيله دون أن يطلب من أحد أن يقوم بفعل معين. فقد كان يمقت توجيه الأوامر والطلبات إلى الأشخاص أمام الكاميرا بل وحتى التواصل معهم بأي شكل من الأشكال، وكان يعتبره منافياً للواقع. فعندما صنع فيلمه الأشهر "رجلٌ مع كاميرا فيديو "Man with a Movie Cameraعام ١٩٢٩م، أصبح الفيلم مصدر إلهام وإبهار للكثير من النقاد والجماهير في العالم. بل أشادوا بمحاولته في خلق لغة سينمائية جديدة فريدة. وكان الفيلم في الحقيقة اسم على مسمى، حيث كان يجوب في الشوارع والأماكن المختلفة بكاميرته ليحكي قصصاً عميقة عن مجتمعه، وكأنه يعرض قصيدة مرئية تجعلك تغرق في التأمل فيها. لقد كان أسلوبه مباشراً وتوثيقياً حقاً.

○ ○ ○

استمر هذا الفن في توسعه وانتشاره، وتعددت طرقه وأساليبه وتقنياته مع تقدم الزمن. حتى أصبح أكثر تعقيداً في بنيته وشكله، وبدأ أسلوبه يتغير ويتطور إلى أن وصل إلى الهيئة التي نألفها ونعرفها اليوم. وهو الأسلوب شبه الصحفي على هيئة فيلم. والذي يتم فيه إجراء اللقاءات المباشرة مع الشخصيات التي عاصرت الأحداث الحقيقية أو التي تمتلك خبرة كافية تؤهلها للتحدث عنها، بالإضافة إلى استخدام المشاهد الجمالية للأماكن الحقيقية للقصص، أو مشاهد تمثيلية تحاكي الأحداث التي حصلت. بالإضافة إلى التعليق الصوتي وعرض الوثائق والمعلومات والمستندات، ومتابعة مقدم الفيلم في رحلة لاستكشاف أمر ما، وغيرها من الوسائل والطرق المباشرة التي تعكس أحداث وتفاصيل القصص الواقعية التي تدور حولها هذه الأفلام.

فيلم "الحقيقة غير المريحة "The Inconvenient Truth

الوثائقيات والحقيقة

عند التأمل في طريقة الوثائقيات المباشرة، سنجد بأنها تتسم بالواقعية والحقيقة. وتدعي بأنها تعرض لك الحقيقة الكاملة المجردة دون أي تدخل أو خداع. وبالتالي، فإن كل من يشاهدها سيفترض جدلاً بأن كل ما يُعرض في هذه الأفلام صحيح ١٠٠٪، بسبب أسلوبها المباشر المليء بالأدلة والمعلومات التي تصدر غالباً عبر ألسنة أناس حقيقيين عاصروا الأحداث بأنفسهم. خصوصاً أن بعض هذه الأفلام تستخدم أساليب مؤثرة بصرياً وسمعياً ومنطقياً بحيث تجعلك تستشعر القصة بكل جوارحك.

بعد بحث طويل في تعريف مختصر وشامل للوثائقيات، وجدت أن التعريف الأقرب لما قمت بشرحه يتلخص في تعريف جون غريرسون على أنها" :محاولة تجسيد الواقع بطريقة فنية."

إن الجدِّية التي أعطاها الجمهور للوثائقيات وتأثرهم بمحتوياتها يجعلنا مضطرين إلى أن نضع عليها علامة استفهام؛ لأن الجمهور لا ينظر إليها بأنها "لوحة "للحقيقة، وأن هذه اللوحة تم العمل عليها وتمت معالجتها وحياكتها وتصميمها وتنظيمها من قِبل الوثائقي وفريقه قبل أن تخرج إليه.

لذلك لم أستغرب من مقولة الوثائقي الألماني ويرنير هيرزوق Werner Herzogعندما قال" :إنها كلها أفلام بالنسبة لي. بل عندما تقول لي (فيلماً وثائقياً) فإنها تعني (فيلماً روائياً مموهاً) من وجهة نظري ."ما يقصده أن صناعة الوثائقيات تتطلب تدخلاً إخراجياً وفنياً من فنانين وتقنيين لهم رؤية وسيكولوجية وعقل وقلب، وهذا كله كفيل بأن يستبعد الوثائقيات من قائمة الحقيقة المتزنة.

بل كانت المفاجأة الكبرى عندما صرح روبرت فلاهرتي ببعض تفاصيل إنتاجه في فيلم "نانوك الشمال ."رغم أن الفيلم كان يهدف إلى أن يروي قصة واقعية لسكان الإسكيمو الذين يواجهون الظروف البيئية القاسية من أجل البقاء، إلا أنه ابتكر اسم الشخصية من خياله، وجمع عائلات نموذجية كانت مناسبة للتصوير ولكنها غير حقيقية. بل أخفى مشاركة العديد من سكان الإسكيمو الحقيقيين في تصوير الفيلم. لم يكتف بهذا، بل دبر عمليات صيد عالية الدراما بدلاً من

مجرد رصد إيقاع الحياة اليومية الخالية من أي أحداث جوهرية. بل إن الشخص الذي أدى دور "نانوك "كان مساعداً لفلاهرتي في حمل أدوات التصوير وفي أداء مهام أخرى.

قد أتفهم رغبة فلاهرتي في أن يعيشنا بدافع نبيل منه حال هؤلاء السكان، وأن يعطينا إلهاماً لأن نصبر نحو ظروف الحياة القاسية وأن نتكيف معها. وربما كانت رغبته أن يرينا منطقة جديدة علينا من العالم الآخر من باب إشباع فضولنا و إمتاعنا. وقد تكون رغبته أن يتباهى بقدراته الفريدة في التوثيق والتصوير. وربما قد نجح في إيصال إحدى هذه الرسائل، ولكن الطريقة التي اتخذها في صناعة هذا الفيلم قد تعطيك لمحة عن المساحة الحرة الواسعة التي يعيشها الوثائقي في صناعة فيلم يدّعي بأنه حقيقي وواقعي.

تأثير الأفلام

قيل في السابق" :رُب صورة أبلغ من ألف كلمة"، فبإمكانها أن تعطيك تعبيراً بصرياً دقيقاً توفر عليك عناء محاولة وصفها كتابياً. وإن استعنا بمنطق هذه المقولة في محاولة استيعاب تأثير الأفلام، لافترضنا جدلاً أن بمقدور الأفلام أن تكون أبلغ من ألف كتاب. فالكتب تحاول استثارة مشاعرك وخيالك نحو قصة معينة باستخدام الكلمات فقط. في حين أن الأفلام لا تعاني كثيراً في أخذك إلى هناك، لأنها تستخدم السمع والبصر والحس في آن واحد.

لو فكرنا لوهلة في الهيئة التي تتخذها الأفلام، لوجدنا بأنها مغرية للناس وتؤثر فيهم بشكل كبير. فقد أثبت هذا الفن جدارته وقوة جذبه منذ الوهلة الأولى التي بدأ فيها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وإن كان ينقصه الألوان والأصوات الآدمية في بداياته، إلا أنه حظي بإقبال مثير للدهشة من الناس. الذين أصبح طموحهم أن يذهبوا إلى صالة سينما ليشاهدوا واقعاً يُعرض أمامهم على الشاشة.

ولازال هذا الإبهار يزيد في إتقانه وتطوره مع تقادم الزمن، فأصبح بالإمكان مشاهدته بكافة الألوان وأيضاً سماع أصوات المتحدثين فيه. بل صار أكثر إتقاناً في نصوصه و حبكته، ولاحقاً في مؤثراته البصرية والسمعية.

عشق الناس السينما، ولازالوا. كيف لا وقد جعلتهم يشاهدون عالماً يألفونه ولكنهم ليسوا عنده. فهي أعطتهم فرصة أن يكونوا متنقلين في أبعاد أخرى لم يتصوروا أن يخوضوها في يوم من الأيام. حتى أصبح حلمهم أن يجلسوا في هذه الصالة المعتمة ليستمتعوا بمشاهدة قصص الحب لـ أودري هيبورن، وأن يضحكوا على حركات تشارلي تشابلن، وأن يعيشوا التشويق في مغامرات كيرك دوغلاس، والرعب الذي كان يغرسه هيتشكوك في قلوبهم. وغيرها من المشاعر التي كانوا يستمدونها لأزمان طويلة من المسرحيات الشكسبيرية والإغريقية والرومانية.

من أبرز المميزات التي تميزت بها الأفلام هي أنها عبارة عن "عرض ."أي أنها منظومة من المعلومات المرتبة منطقياً، فهي تبدأ بمقدمة ويليها الموضوع وتنتهي بخاتمة. حيث تقوم بتقديم الشخصيات الرئيسة في البداية، ومن ثم تعرض التحديات التي يواجهونها في الوسط، وفي الآخر

ينتهي بالنهاية السعيدة أو الحزينة. وبإمكانك بعدها أن تخرج بالاستنتاجات التي استطعت أن تحصيها من هذا العرض الذي شاهدته.

أظن بأن لهذه الطريقة المنظمة إغراء من نوع مختلف. ليس الإغراء المبهر بصرياً فحسب، وإنما علمك مسبقاً بأن ما ستشاهده سيعطيك عرضاً مرتباً بمنطقية متناهية وسيجعلك تخرج بأمور معينة. إنها وبلا شك تجربة تثري العين والعقل في آن، وتستحق منك أن تعطيها كامل اهتمامك.

○ ○ ○

هناك العديد من الطرق التي تؤثر بها الأفلام بشكل عام والوثائقيات بشكل خاص على المجتمع، بعضها إيجابي والآخر سلبي. ولا يمكن حصر هذا التأثير في كلمات قليلة، فهناك الكثير من الأبحاث والتجارب التي أثبتت ذلك. بل بإمكانك أن تجد هذا التأثير واضحاً بيناً في عقر دارك. فقد أصبح بإمكان صانع فيلم أن يقوم بإلهام المشاهدين وتوعيتهم بأمور حياتية كثيرة، بل وتشكيل ثقافتهم وتاريخهم وبناء مشاعر جديدة لديهم نحو قضايا معينة لم يلتفتوا إليها أبداً.

وعلى النقيض فقد أصبح بإمكانه أن يشكل خطراً عليهم، فقد تسببت بعض الأفلام في تلوث نظرتهم للأمور الحياتية بفرضيات خيالية ليس لها أساس من الصحة، والتي أدت بالمقابل إلى توتر وتشتت دائم لدى حياة الجمهور. بل وتعدى هذا الخطر ليصل إلى التأثير على تربيتهم لأطفالهم الذين انساقوا وراء القيم المستحدثة التي يروج لها هذا الصانع في أفلامه. حتى أصبحت الأفلام تستخدم كسلاح لمن أراد الترويج لفكرة معينة و تثبيت انطباع جماهيري محدد عنها.

إن ما تحدثنا عنه هو مقارب للمصطلح "بروباغندا "Propaganda، أي محاولة نشر معلومات معينة بغرض إحداث تغيير على عقلية الجمهور، وتوجيهه نحو هدف معين. وغالباً ما تكون أهداف من يتخذون هذه الطريقة سياسية واقتصادية، وتسمى في أغلب الأوقات بالترويج أو الإعلان أو الدعاية. ونادراً ما يتحلى هذا الأسلوب بالموضوعية والمنطقية، بل إن معلوماته تكون ناقصة بل وحتى كاذبة، لأنها لا تستهدف تغيير عقلك بطريقة عقلانية وإنما بطريقة عاطفية تستدرجك لأن تصدقها. فإن كانت منطقية ودقيقة في معلوماتها لاتخذت طرقاً أخرى في التغيير، كالأبحاث العلمية والكتب والمحاضرات والندوات الجادة وغيرها.

إن أول فيلم استخدم أسلوب "البروباغندا "كان بعنوان "تمزيق العلم الإسباني Tearing Down the Spanish Flag"الذي أنتج عام ١٨٩٨م من قبل الحكومة الأمريكية. رغم أن مدته كانت ٣٩ ثانية فقط وذات لقطة واحدة ثابتة موجهة إلى السارية التي تحمل العلم الأسباني، الذي قاموا بإنزاله وإبداله بالعلم الأمريكي، إلا أن تأثيره كان واسعاً. ويعطيك هذا الفيلم مثالاً واضحاً على نقص المعلومات، حيث لم يعرض تفاصيل الحرب ولا عواقبها ولا أي إحصاءات عن عدد الموتى والجرحى. وإنما اكتفى بمخاطبة العاطفة وعرض مشهد يعطي انطباعاً وطنياً منتصراً.

فيلم "تمزيق العلم الإسباني "Tearing Down the Spanish Flag

○ ○ ○

لقد استغل أغلب الزعماء خلال الحرب العالمية الثانية تأثير السينما على الجماهير وتشكيل عقليتهم، فتمكنوا من إنتاج أفلام وثائقية وروائية سينمائية متقنة تركز على نجاحاتهم وانتصاراتهم لرفع معنويات شعوبهم، وتثبيطها لدى شعب الآخر. فلم تعد أسلحتهم مقتصرة على المؤثرة جسدياً، وإنما تعدى إلى تلك المؤثرة عقلياً ونفسياً. وتطور الأمر ليصبح ما يمكن أن نصفه بـ "الحرب السينمائية."

واحدة من أقوى الأفلام السينمائية التي كانت تتخذ أسلوب "البروباغندا "لإقناع الجمهور بتوجهاتها السياسية هو فيلم "انتصار الإرادة "Triumph of the Willالذي أنتج ببراعة عام ١٩٣٥م. فعندما سيطر الحزب النازي على السلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣م، كرسوا جهداً كبيراً في التركيز على الدعاية لنظامهم الجديد وإقناع الجمهور به. وذلك من منطلق إيمانهم بقوة الدعاية على تحقيق أهدافهم، لدرجة أن أدولف هتلر Adolf Hitler كتب فصلين كاملين في كتابه "كفاحي "عن قوة الدعاية وتأثيرها.

فقاموا بصناعة هذا الفيلم الذي كان يستعرض تفاصيل فعاليات المؤتمر الضخم الذي أقامه الحزب في عام ١٩٣٤م في مدينة نورمبرغ في ألمانيا، والذي حضره أكثر من ٧٠٠ ألف شخص من مؤيدي الحزب. بالإضافة إلى الكثير من اللقطات لهتلر التي كانت تتسم بالتمجيد له. وابتعد الفيلم تماماً عن كل المجازر والمحارق والمقتلة التي أجرمها الحزب.

والاتحاد السوفيتي يقوم في نفس الحقبة الزمنية بإنتاج أفلام روائية تبرز واقعه وقوته. وحتى معاناة جنوده خلال الحرب ووحشية أعدائه، ليزيد هذا من تعاطف جمهوره وتأييده لما يقوم به. كفيلم "سقوط برلين "The Fall of Berlinعام ١٩٤٩م الذي صنع بأسلوب سينمائي قوي، وكان يعرض صورة مشوهة لواقع هتلر وجنوده، وكان يمجد جوزيف ستالين Joseph Stalin ودهائه. وسلسلة الأفلام "التحرير "Liberationعام ١٩٧٠م الذي كان قريباً من فكرة "الديكودراما "Docudramaالتي تعرض سرداً دراماتيكياً لأبرز الأحداث التي حصلت ما بين الاتحاد السوفييتي وألمانيا وأهم المعارك التي جرت بينهم بأسلوب تمثيلي يحاكي الواقع من وجهة نظرهم.

فيلم "سقوط برلين "The Fall of Berlin
فيلم "انتصار الإرادة "Triumph of the Will

ولم يكن يخلو أي فيلم في هذه الحقبة الزمنية من التطرق ولو بشكل بسيط للحرب العالمية الثانية وآلامها وانتصاراتها. فقد كانت مادة دسمة بالمشاعر المتضاربة التي تشبع نهم الجمهور في رغبة معرفة تفاصيل هذه الحرب الشعواء، والتأثر بالقصص البطولية وقصص الحب التي كانت تحصل خلالها. وكان يتم استغلال هذا النهم ليتم تغيير العقليات وإعادة توجيهها كما ذكرنا سابقاً.

الهدف من الوثائقيات

يسعى الوثائقي من خلال أفلامه إلى إحداث تأثير معين على عقول المشاهدين وإيصال معلومات معينة لهم ليغير من وجهة نظرهم. وذلك لجعلهم يتجاوبون مع القضية المعروضة،

وليتحركوا نحو اتجاه وهدف معين. فهو يعلم جيداً عما يتحدث عنه الفيلسوف الأمريكي جون ديوي John Deweyفيما مفاده أن" :الجمهور ليس مجرد جمع أفراد، بل هم مجموعة من الأشخاص الذين يستطيعون العمل معاً من أجل المصلحة العامة. وهناك جماهير بعدد المواقف والمشكلات التي تستدعيهم ."فعندما تخدعنا الوثائقيات فهي لا تخدع الجمهور فحسب، بل تخدع أفراد المجتمع الذين يتصرفون من منطلق المعلومات المستقاة منها.

بعض الوثائقيات من بين المئات غيرها أحدثت حراكاً ونتائج تفوق التخيلات والتنبؤات. وعندما نتأمل فيها قليلاً نجد بأن من حقق لهذه الأفلام هذا الانتشار هو الجمهور نفسه. إحدى أشهر هذه التجارب هو فيلم "كوني ٢٠١٢ "Kony 2012، فقد أطلق ثلاثة رجال أمريكيين في عام ٢٠١٢م حملة توعوية ضد زعيم جماعة حرب عصابات كبيرة في أوغندا يُدعى جوزيف كوني، وسعوا خلال الفيلم القصير الذي صنعوه إلى جعله أسوأ الشخصيات سمعةً في العالم.

أُتّهم كوني بارتكابه الكثير من جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية، من بينها اختطاف آلاف الأطفال وتجنيدهم وتعبيدهم. وقد تضمنت الحملة التي قادتها منظمة غير ربحية تُدعى "الأطفال غير المرئيين "فيلماً وثائقياً تم نشره على الفيسبوك، بالإضافة إلى الملصقات والأساور وغيرها. قام الفيلم بتوعية المشاهدين حول قضية لا يعرفونها حول محنة الأطفال الأوغنديين الذين يعيشون تحت تهديد الاختطاف والاغتصاب والتجنيد.

فيلم "كوني ٢٠١٢ "Kony 2012

في غضون ستة أيام من إطلاقه في ٥ مارس ٢٠١٢م، حقق الفيلم أكثر من ١٠٠ مليون مشاهدة مما جعله في ذلك الوقت الفيديو الفيروسي الأكثر مشاهدة في سجل الإنترنت. استغلت هذه المنظمة هذا الحراك العالمي فأطلقت حملة جمع تبرعات بهدف دعم التوعية بجرائم كوني. فجمعوا ما يزيد عن ٥ ملايين دولار أمريكي في اليومين الأولين من إطلاق الحملة، وحصلوا على المزيد من المشاهير مثل أوبرا وينيفري Oprah Winfreyالتي تبرعت بمليوني دولار أمريكي، وعلى دعم معنوي من مشاهير مثل بيل غيتس Bill Gates و ريهانا Rihanna اللذين شاركا بتغريدات وغيرها.

رغم استنكار الكثير من الخبراء والنقاد حول العالم وانتقادهم لأسلوب الحملة في جمع الأموال، وإطلاق الكثير من علامات الاستفهام حول الأماكن التي صرفت عليها التبرعات، والتي أشيع لاحقاً بأن ثلث الأموال ذهبت إلى برامج تخدم الأوغنديين مباشرة؛ إلا أن التجربة حققت أهدافها وأصبحت تُدْرَس في مراكز أبحاث اجتماعية ونفسية.

○ ○ ○

أصبحت الوثائقيات تستخدم كوسيلة تنموية لتحقيق أهداف لا يمكن تخيل مدى عمقها. فالكثير من الحكومات والشركات تقوم بالاستثمار في صناعة هذه الأفلام لتحقق التوازن في أنظمة معينة على المستوى الشعبي، بل وحتى لتغيير طريقة تفكير الجمهور لأي مسار يريدونه. إن

الوسيلة التي تحقق هذا النوع من التغيير الجذري في المعتقدات والعقليات لهي بحق "قوة "لا يستهان بها. لذلك لم يدخروا فلساً واحداً في تمويل هذه الأفلام التي تعطي هذه النتائج المبهرة.

بل تجد أن لكل محطة فضائية في العالم برنامجاً استراتيجياً خاصاً لإنتاج الأفلام الوثائقية، كـ BBCو PBSو CNNو CNBCوحتى ESPNالرياضية. ولا يمكن لهذه المحطات أن تتنازل عن هذا البرنامج الوثائقي، بل إنه من السذاجة أن تفعل ذلك؛ لأن إحدى مميزات صناعة الأفلام الوثائقية هو قلة تكاليفها وسرعة إنتاجها، وتعطيك في المقابل هذه النتائج العميقة.

التفتت الأمم المتحدة إلى هذا التأثير الذي تحققه الوثائقيات بكل جدية. حيث عقدت مؤتمراً في نيويورك عام ٢٠١٢م بعنوان "التصور: قصص من أجل مستقبل مستدام"، تم التركيز فيه على كيفية تطوير المستقبل العالمي من خلال قوة القصة عبر الأفلام الوثائقية. وكانت المواضيع حول ثلاث قضايا رئيسية: المدن المستدامة، والمياه النظيفة، والطاقة الخضراء. تم فيه عرض عدة أفلام وثائقية مهمة فازت بجوائز عالمية، بالإضافة إلى حلقات نقاش حول بعض القضايا العالمية المهمة، وعرض التجارب والمصاعب التي واجهها الوثائقيون في صناعة أفلامهم.

كان الهدف الرئيس منه هو ربط المسؤولين في الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية بأكثر العقول إبداعًا في صناعة الأفلام الوثائقية. لكي يتمكنوا من العمل معًا لإيجاد طرق جديدة ومبتكرة تؤدي للتغيير الاجتماعي عبر هذه الأفلام.

قالت فيه آشا روز ميغيرو Asha-Rose Migiro نائبة الأمين العام للأمم المتحدة في وقتها" :نحن في الأمم المتحدة نؤمن بقوة الأفلام الوثائقية في زيادة وإحداث التأثير اللازم لتغيير العالم. إن للوثائقيات دوراً حاسماً في جهودنا لتحسين أوضاعنا الاقتصادية، وإحداث مزيد من العدل والمساواة ."وكان هناك حضور للممثل الأمريكي دون شيدلDon Cheadle ، والذي قال فيه" :عندما نكون قادرين على مشاهدة القصص الشخصية التي تعرض للمشاهدين كامل تفاصيل حياة هؤلاء الأشخاص الذين يتعاملون مع القضية المعروضة، فإنه سيؤدي إلى تغيير الكثير من قناعاتنا حول هذه القضية."

آشا روز ميغيرو Asha-Rose Migiro
دون شيدل Don Cheadle

خرج الحضور من هذا المؤتمر بالعديد من التوصيات التي ركزت على الوثائقيين، والتي كانت ملخصة في الآتي:

- لابد أن يستلهموا أسلوب الجذب الأمثل لعرض القضايا المهمة عبر أفلامهم.
- عليهم اتخاذ أسلوب البساطة في عرض المعلومات والأرقام المهمة والمعقدة.
- لابد أن يبنوا رابطاً عاطفياً مع المشاهد ليستشعر هذه المعلومات ويتفاعل معها.
- ألا ييأسوا من البحث عن شركاء وممولين، سواءً من منظمات سياسية أو ربحية أو غير ربحية فهذه التحالفات مهمة على أصعدة كثيرة متعلقة بتسهيل إنتاج الفيلم وأيضاً لتحسين صورة المنظمة نفسها.

وغيرها الكثير من التوصيات وتبادل الخبرات التي كانت نابعة من استشعار أهمية هذه الأفلام، وأنه لكي تؤدي التأثير اللازم لابد أن تُصنع باحترافية وذكاء وبساطة.

وفي الواقع فإن هذه التوصيات تم وضعها في عين الاعتبار وبدأت تتحول إلى نتائج ملموسة. ففي عام ٢٠١٤م قام الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بتعيين الممثل الأمريكي الشهير ليوناردو ديكابريو Leonardo DiCaprioليكون سفيراً للسلام لدى الأمم المتحدة، وأن يقوم بالتركيز بشكل خاص على التغير المناخي العالمي. وتم الاتفاق مع ناشيونال جيوغرافيك على إنتاج فيلم وثائقي من بطولة هذا السفير، والذي تم الانتهاء منه وعرضه عام ٢٠١٦م بعنوان "ما قبل الطوفان ."Before the Flood

كان الفيلم مبهراً ومقنعاً بشكل يفوق الوصف. فقد تم تصوير ليوناردو وهو يسافر إلى خمس قارات و إلى القطب الشمالي مع بعض من العلماء لمشاهدة تغير المناخ مباشرة. وأيضاً قام باللقاء مع القادة السياسيين وقادة الفكر الذين يقاتلون المتقاعسين عن هذا الأمر، في أسلوب استقصائي يجعلك تتعاطف مع كل المشاهد والمعلومات المعروضة فيه. كان لليوناردو دور كبير في تحقيق هذا التعاطف. فقد ساعده على ذلك شهرته ومهاراته التمثيلية المحترفة. بالإضافة إلى أسلوبه الذي اتسم بالشغف والاهتمام، وبالأمل والحسرة في آن. فأعطى هذا المزيج لمسة تبدو عليها الواقعية والحقيقة التي يصدقها كل من يشاهدها. ولا ننسى دور مخرج الفيلم فيشر ستيفنز Fisher Stevensالحائز على جائزة أوسكار في الوثائقيات، والذي عمل في هذا المجال أكثر من ٣٠ سنة.

فيلم" ما قبل الطوفان "Before the Flood

○ ○ ○

إن الوثائقيات هي سلاح ذو حدين، قد تكون نتائجها مفيدة وقد تكون سيئة. والذي يقرر هذه النتائج هو الجمهور نفسه. ولا يمكن الحكم على نوايا من يعملون عليها بأنها سلبية، فهي في كل أوقاتها إيجابية، وإن كانت نتائجها مؤذية. فالوثائقي الذي عمل عليها كانت له نوايا إيجابية بالنسبة له، فهو يريد تحقيق تأثير معين على الجمهور عبر هذا الفيلم لتخدم المصالح التي يريدها، وإن كانت تعتبر سلبية من وجهة نظر شخص آخر.

لنتخيل بأن هذا الوثائقي ينوي رفع معنويات الجمهور بقصص ملهمة وبتجارب ناجحة، وخصوصاً عندما تكون هذه النية نابعة من حس مليء بالانتماء لمجتمعه. مما يجعله يصنع أفلاماً تعرض للجمهور الحقائق حول أمراض معينة مثلاً، وترشدهم للطريقة المُثلى للوقاية منها. ماذا لو كان يحلم بأن يرى جمهوره في حال أفضل اجتماعياً واقتصادياً وبيئياً، ثم كرّس جُل وقته وجهده في صناعة وثائقيات تحرك مشاعرهم وترفع لديهم حس المسؤولية والاهتمام والطموح والشغف والانتماء؟. سيكون هذا بلا شك أسلوباً خلاقاً في استخدام هذا السلاح.

"الحقيقة غير المريحة "The Inconvenient Truthفيلم وثائقي حائز على جائزة الأوسكار والذي أنتج عام ٢٠٠٦م، كان مختلفاً في طريقته لعرض قضية الاحتباس الحراري في

الكرة الأرضية. حيث كان عبارة عن محاضرة لنائب رئيس أمريكي سابق يُدعى ألبيرت غور أو الملقب بـ آل غورAl Gore ، والذي أسس لحملة توعوية لإلقاء المحاضرات في مدن مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية حول حقيقة الاحتباس الحراري وعرض معلومات صادمة عنه.

فيلم" الحقيقة غير المريحة "The Inconvenient Truth

تأثر أحد المنتجين بهذه المحاضرة وفكر في صناعة فيلم وثائقي بطريقة جديدة. وهي استغلال أسلوب المحاضرة التي كان ينظمها آل غور وذلك عبر تصويرها، وتطعيمها بمشاهد وصور وموسيقى تزيد من جاذبيتها وتأثيرها. وبالفعل حقق التأثير المنشود من ورائه، وصار رمزاً لأكثر الأفلام الوثائقية تأثيراً في التاريخ. ووفقاً لدراسة أجرتها جامعة أكسفورد، فإن ثلاثة من كل أربعة أشخاص شاهدوا الفيلم قد غيروا من عاداتهم الاستهلاكية اليومية.

الفرق بين الوثائقيات والروائيات

قام أحد المؤسسين للدراسات المعاصرة للوثائقيات البروفسور بيل نيكولز، والذي اشتهر بكتبه الكثيرة في التعريف بالوثائقيات وتاريخها وأنواعها، بتقسيم الأفلام بشكل عام إلى نوعين:

١ -**أفلام تحقق الأمنيات وتشبع الرغبات:** والتي تسمى بالأفلام الروائية .Fictionوما نقصده هنا من أمنيات ورغبات هي القصص "الخيالية "التي تعبر عما في عقل مؤلفها. فتقوم الأفلام الروائية بتحويل هذه الخيالات إلى واقع ملموس بالإمكان مشاهدته. وتحقق للمشاهد المتعة في التنقل إلى عوالم غير حقيقية، ولكنها مؤثرة من ناحية المشاعر التي تعرضها من حب وخوف وإثارة ومغامرة. وذلك عبر النص المحبك والتصوير الاحترافي والمؤثرات البصرية والصوتية، بالإضافة إلى الأداء المتقن للممثلين.

فيلم "تحدي أعماق البحار "Deepsea Challenge

٢ -**أفلام تمثل المجتمع:** والتي تسمى بالأفلام الوثائقية Documentariesأو .Non-fiction حيث تقدم هذه الأفلام الواقع الملموس الذي نعيشه جميعاً بطريقة مرئية. وتقوم بعرض حقائق ووجهات نظر وتأملات وتخيلات وتنبؤات وقصص وأحداث وادعاءات وتأكيدات ونظريات وفرضيات وحجج ووثائق. كلها تدور حول نفس العالم الذي نعيش فيه وليس عالماً خيالياً كما تفعله الأفلام الروائية.

من خلال هذا التقسيم السهل الممتنع، بإمكاننا أن نفهم الفرق بين الروائيات والوثائقيات. ولكن هناك أمر من المهم توضيحه، وهو أن الكثير من الإشكالات قد تدور حول الأفلام الروائية المستلهمة من أحداث حقيقية، وما إذا كانت تصنف كأفلام روائية أو وثائقية. بالإمكان الإجابة على هذا التساؤل من خلال التأمل في التالي:

١ -الهدف الذي على أساسه تم صناعة هذا الفيلم: فالكثير من الأفلام الروائية وإن كانت مبنية على قصص حقيقة، هدفها في الآخر هو إشباع الرغبات وتحقيق الأمنيات سواءً للجهة المنتجة -الكاتب، المنتج، المخرج -أو المشاهد. وفي الأغلب يكون الهدف هو إمتاع وإشباع رغبات المشاهد من

خلال تجربة سينمائية تؤثر على إحساسه ومشاعره، وتعطيه متعة خاصة مشابهة للأفلام الروائية الخيالية.

٢ -الأسلوب الفني الذي تم اتخاذه في الإنتاج: فهناك فروقات كبيرة بين المستوى الفني الذي يتخذه صانع الفيلم الروائي عن صانع الفيلم الوثائقي. رغم أن الكثير من الوثائقيات تفضل عرض قصصها عن طريق مشاهد تمثيلية تسمى دوكيودراما Docudrama، إلا أن مستواها الفني أقل بكثير من الفيلم الروائي، وبإمكانك ملاحظة ذلك بكل سهولة.

لنتأمل في مثالين لفيلم روائي وآخر وثائقي تدور أحداثهما حول نفس القصة تقريباً حتى يتسنى لنا ملاحظة الفرق.

من الأرض إلى القمر From the Earth to the Moon

تم إخراج هذه السلسلة الوثائقية القصيرة التثقيفية ذات الـ ٢٠ حلقة من قبل عدة مخرجين والذي كان أولهم الممثل الشهير توم هانكس Tom Hanksالذي كان المنتج التنفيذي له أيضاً، ومن إنتاج HBOفي عام ١٩٩٨م. كانت هذه السلسلة تعرض بالتفصيل الممل الأحداث التي حصلت في برنامج "أبولو "الفضائي للوصول إلى القمر، والذي أطلقته وكالة الفضاء الأمريكية ناسا. وعند مشاهدتك للسلسلة التي كانت مبنية على التمثيل في كل أجزائه، وبدون أي مقابلات أو تعليقات صوتية كالتي اعتدنا عليها في الأفلام الوثائقية، ستلاحظ وبلا أي أدنى شك أنها تفتقر إلى الأسلوب الفني الذي تتخذه الأفلام الروائية والمسلسلات التلفزيونية بالإضافة إلى افتقارها للحبكة الدرامية. فأحداثها متسلسلة ومتعاقبة بأسلوب سردي بحت، يوثق لك كامل الحوارات والأحداث التي حصلت بطريقة تجعلك تلمح من خلالها بأنها لم تُصنع لإمتاع المشاهد وإنما لتثقيفه وتوثيق الأحداث لمن أراد أن يعرف تفاصيل أكثر عن هذه الحادثة. وبالتالي فإننا نقوم بتصنيف هذا النوع من الأعمال بمسمى "دوكيودراما"، أي الفيلم الوثائقي المتجسد فنياً على هيئة تمثيل.

سلسلة" من الأرض إلى القمر
From the Earth to the Moon "
توم هانكس Tom Hanks

أبولو ١٣ Apollo 13

الفيلم الروائي الطويل الذي حاز على جائزتي أوسكار و٢٦ جائزة أخرى من بطولة توم هانكس وإخراج الرائع رون هاوارد Ron Howard، والذي يعرض قصة محاولة وكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام ١٩٧٠م لإرجاع إحدى رحلات برنامج "أبولو "الفضائي إلى الأرض بأمان، بعد تعرض المركبة الفضائية لأضرار داخلية هائلة مما عرض حياة رواد الفضاء الثلاثة الذين كانوا على متنها للخطر. رغم أن قصة الفيلم تدور حول أحداث حقيقية حصلت في زمن أدركه أو قرأ عنه البعض وليس من نسج الخيال، إلا أن أسلوب التجسيد الفني السينمائي المتخذ جعل منه فيلماً روائياً طويلاً بلا شك. فلا يمكن أن تجد هذا النص والسيناريو والأداء التمثيلي والإخراج والتصوير والحبكة الدرامية والمشاعر العميقة في فيلم وثائقي مهما كان. فالجانب الفني المتخذ في

صناعة هذا الفيلم مشابه جداً للأسلوب الفني المتخذ في الأفلام الروائية المبنية على قصص خيالية، وهذا الأسلوب لا يتخذه الوثائقيين، على الأقل ليس بهذا العمق. ويبدو جلياً وواضحاً أن الهدف من صناعة هذا الفيلم لم يكن بهدف تثقيفك أو إيصال حالة اجتماعية لك، وإنما كان من أجل إمتاعك وإشباع رغباتك بمشاهدة فيلم سينمائي عن قصة ملؤها الإثارة والمشاعر المتضاربة والصورة السينمائية المبهرة.

فيلم" أبولو ١٣ "Apollo 13

نلاحظ من هذين المثالين لفيلمين متشابهين في الحدث، وبغض النظر عن شمولية أحداث المثال الأول وتخصصية المثال الثاني، إلا أن أسلوبهما الفني والهدف من صناعتهما مختلفة تماماً. وواضحة لدرجة تجعلك بعد الآن تستطيع أن تميز ما بين الفيلم الذي صُنع ليكون روائياً والآخر الذي صنع ليكون توثيقياً. حتى وإن كان للممثل الشهير توم هانكس دور فيهما بطريقة أو بأخرى، إلا أنه يظهر جلياً سبب تواجده كممثل في الفيلم الروائي ليقوم بإظهار المشاعر والتأثير والإثارة من خلاله، وسبب إخراجه وتنفيذه لإنتاج السلسلة الوثائقية التي يقوم من خلاله بتثقيف المشاهد وتجسيد حدث أثار اهتمامه شخصياً فقام بتوثيقه بأسلوب "دوكيودراما."

○ ○ ○

إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، بإمكاننا تشبيه الفرق بين الوثائقيات والروائيات التي تتناول قصة حقيقية بالفرق بين المصور الفوتوغرافي والرسام. فالوثائقي هو كالمصور الفوتوغرافي الذي يحاول أن يصور لك نفس الحدث أو المكان بأسلوب مباشر وأقرب للحقيقة. لا يمكنه أن يتحكم في الحدث أو المكان الذي أمامه وإنما يتحكم في الزاوية التي يلتقط من خلالها الصورة فحسب.

بينما الروائي هو كالرسام والفنان التشكيلي الذي يحاول رسم لوحة فنية للحدث أو المكان. قد يكون ما رسمه قريباً من الحقيقة ولكن الرسمة تحتوي على نسبة كبيرة من خياله ورغباته ورؤيته والألوان التي يراها مناسبة، بالإضافة إلى أسلوب الرسم والرمزيات التي تحملها. قد تكون النتيجة مختلفة بعض الشيء ولكنها في النهاية مستلهمة من الحدث أو المكان الذي قصد رسمه.

تختلف الروائيات عن الوثائقيات في أمور أخرى تتعلق بالإنتاج وتكاليفه، والبطل الرئيسي في الفيلم، ومكان العرض والتوزيع. فتكاليف إنتاج الوثائقيات ومتطلباتها التقنية منخفضة جداً مقارنة بالروائيات. فقلما تجد فيلماً وثائقياً تم استعمال كاميرات سينمائية احترافية فيه كـ REDو Arri Alexa، أو عدد فريق كبير كالذين يعملون في صناعة الأفلام الروائية. وبالنتيجة، فإن تكلفة إنتاج الوثائقيات لا تقارن بتكلفة إنتاج الروائيات التي تتطلب كميات ضخمة من الجهد والإبداع والإتقان والتنفيذ.

ومن أبرز اختلافاتهم كذلك هو أن البطل في الروائيات هو "الممثل الرئيسي"، لكن البطل في الوثائقيات هو غالباً المخرج أو الراوي .The Storytellerفهو الذي يعرض الأحداث

والمعلومات من وجهة نظره الشخصية. فلا يمكن لأي فيلم وثائقي أن يكون محايداً ١٠٠٪ أو يدّعي أنه يعرض الحقيقة المطلقة. بل لابد أن يكون منحازاً لما يريده الوثائقي.

من الاختلافات أيضاً هي أن للروائيات مدارس وتركيبة بنائية شبه ثابتة في كل شيء، سواءً في السيناريو أو حبكة القصة أو حتى في زوايا التصوير والصوتيات. مما جعل صنّاعها يتعصبون لها وينقدون بشدة كل من يكسرها أو يخرج عن مسارها. أما مدارس الوثائقيات فهي ترتبط بأساليب الوثائقيين الذين اتخذوا طرقهم الخاصة في عرض قصصهم. فهناك مدرسة تُنسب للوثائقي الأمريكي مايكل موور المعروف بأسلوبه الاستقصائي الساخر والمبُالغ في الشفافية. ومدرسة أخرى للألماني ويرنير هيرزوق في أسلوبه الشعري والتأملي، واستخدامه للموسيقى الكلاسيكية، وغيرها من المدارس.

○ ○ ○

إن عالم الوثائقيات مليء بالترقب والبحث والتحري والرسائل المهمة بالنسبة لصُناعه. وعالم مليء خلال إنتاجه بالقرارات الحاسمة التي قد تؤثر في سير القصة في أي لحظة. فهو يختلف أيضاً عن الروائيات بأن له سيناريوهين. الأول ما قبل الإنتاج والآخر ما بعده. وقد يختلف الأخير اختلافات جذرياً عن الأول في بعض الأحيان. فبالتالي، صناعة الوثائقيات هي عبارة عن مغامرة، حيث إن المسار الذي سيقودك إلى نهاية القصة قد يكون مبهماً ومجهولاً.

وهذه واحدة من الأسباب التي تجعل صناع الأفلام بشكل عام يترددون عن صناعة الوثائقيات لارتفاع احتمالية فشلها مقارنة بالروائيات، التي غالباً ما تتسم بوضوح عناصرها مسبقاً، سواءً السيناريو وأماكن التصوير وعدد أيامه أو الميزانية وغيرها.

وإن تحدثنا عن أماكن العرض والتوزيع للروائيات والوثائقيات، فإننا سنجد تبايناً واضحاً كذلك. حيث إن الهدف الأساسي من صناعة الروائيات هو أن يكون عرضها الأول في صالات السينما لفترة معينة والمشاركة في المهرجانات السينمائية لحصد الجوائز التي قد ترفع من شهرة الفيلم. ومن ثم بيعه على هيئة DVDأو بتوزيعه في المحطات التلفزيونية والمواقع الالكترونية كنتفلكس وغيرها.

أما الوثائقيات فتتشابه أساليب بيعها وتوزيعها وعرضها مع الروائيات، لكنها تختلف غالباً في عدم استهداف عرضها الأولي في صالات السينما، ولكنها قد تعرض عبر عروض سينمائية جماهيرية محدودة. إلا أن بعض الوثائقيات كانت تتمتع بمميزات تشويقية عالية جعلتها مؤهلة لأن تعرض في صالات السينما التجارية، بل ذاع صيتها وربحت الملايين من الدولارات من شباك التذاكر. كفيلمَي "فهرنهايت ١١/٩ "2004) Fahrenheit 9/11)و"سيكو "2007) Sicko) للمخرج مايكل مور، و"المواطن أربعة "2014) Citizenfour)و"ايفرست "1998) Everest) و"هذا هو مايكل جاكسون "2009) Michael Jackson's This Is It)و"التسلق المنفرد "2018) Free Solo)وآلاف الأفلام غيرها.

من الأسباب التي جعلت هذه الأفلام تنجح في صالات السينما وتحصد الأرباح العالية في شباك التذاكر هو تركيزها على القضايا التي تشغل الرأي العام والمثيرة لاهتمام الجمهور. بالإضافة إلى أسلوب العرض المتخذ في صناعته والذي قد يتميز بالمفاجآت والاكتشافات الجديدة، وتمكن صانعه من التعمق الشديد في الموضوع. ودوماً ما تبتعد هذه الأفلام الوثائقية السينمائية عن أسلوب الدعاية المباشرة، والتي غالباً ما تكون غير مقبولة من الجمهور ولا يتأثر بمحتواها. ولو لاحظنا الأفلام الوثائقية المذكورة في الفقرة السابقة لوجدنا أنها تشترك في ميزة أخرى، وهو تواجد صانع الفيلم فيها. سواءً بظهوره المباشر أو بالتعليق الصوتي أو بعرض زاوية رؤيته للموضوع بأي وسيلة كانت. فبناءاً على مدى جاذبية شخصية صانع الفيلم وآرائه الجريئة، يكون لفيلمه إقبال غير عادي في صالات السينما أو المنصات العارضة.

أنواع الوثائقيات

إن لكل فيلم وثائقي صوته ورسالته الخاصة التي تعبر عما بداخل الوثائقي الذي صنعها. وهذا الوثائقي قد يكون شخصاً أو مجموعة أو جهة. وبناء على الكثير من الوثائقيات التي أُنتجت منذ بداياتها قبل قرن من الزمان تقريباً، فإنه تم تقسيم الوثائقيات إلى ٦ أنواع: شعري، توضيحي، تشاركي، مُلاحِظ، انعكاسي، أدائي.

تم تقسيم هذه الأنواع الستة بناء على التوجه العام الذي يتخذه الوثائقي في عرض قصته وقضيته ورسالته. ولا يشترط أن يكون هذا النوع سائداً ومسيطراً طوال مدة الفيلم، فقد يتم استخدام أنواع متعددة خلال الفيلم والذي يكون قد قرر اختياره صانع الفيلم إيماناً منه بأنه سيكون النوع الأنسب استخدامه في هذه الفقرة أو الجزئية.

١ -الشعري :Poetic

قد يبدو واضحاً أن المقصود من هذا النوع هو خلق مشاعر معينة تجاه القصة باستخدام أسلوب جمالي وإيقاع مميز. حيث يركز الوثائقي في هذا النوع على الصورة والموسيقى وإيقاع اللقطات واحترافية التصوير؛ ليجعلك تشعر بانطباع معين بدلاً من يناقش نقطة معينة. فالهدف هو التأمل في القصة أو المكان المعروض، وليس إثبات رأي أو إبراز معلومة أو تصحيحها ومناقشتها.

ويركز الوثائقي أيضاً في هذا النوع على القيمة الفنية والسينمائية في لقطاته ليخلق لك شعراً بصرياً بديعاً ومتوازناً بإيقاع يجعلك تعيش أجواءه لتستمتع بما ترى. ويتم استخدام موسيقى معبرة عن المشاهد وأيضاً تعليق صوتي لمعلق ذا حنجرة مميز وهو يقرأ نصاً تم صياغته بأناقة. وبالتالي فإن ما سنعيشه هو فيلم وثائقي شعري بصري ذو شجون ومشاعر.

مسيرة البطاريق March of the Penguins

تم إنتاج هذا الفيلم الوثائقي الطويل عام ٢٠٠٥م من قِبل ناشيونال جيوغرافيك وجهات أخرى، والذي حاز على جائزة أوسكار لأفضل فيلم وثائقي طويل بالإضافة إلى ٢١ جائزة أخرى.

يوثق الفيلم الحدث الجميل الذي يحدث للبطاريق في القارة المتجمدة الجنوبية في نهاية كل صيف، عندما يهاجرون إلى مناطق تكاثرهم التقليدية التي يمارسون فيها طقوس التزاوج العجيبة التي تذهل المشاهد حين يراها. اختار مخرج الفيلم لوك جاكيت - Luc Jacquetوالذي أخرج العديد من الأفلام الوثائقية الطبيعية الأخرى -أن يتناول قصته بأسلوب شعري جميل يجعلك تتأمل في هذه الطيور ومدى ظرافتها وجمال تحركاتها، وتتعجب من هذه العادة السنوية التي يقومون بها، وأيضاً من طريقتهم المنظمة في التحرك والانتقال والتزاوج والاهتمام بالبيض إلى ما بعد التفقيس. اعتنى المخرج مع فريق العمل باستخدام الكوادر السينمائية المتقنة والجميلة. بالإضافة إلى عرض الأحداث بأسلوب منظم ومرتب حسب الأحداث الحقيقية. إضافة إلى استخدامه للموسيقى البصرية الجميلة والمعبرة، والاستعانة بتعليق صوتي عميق ومميز من قِبل الممثل الأمريكي مورغان فريمان . Morgan Freemanهذا الفيلم يعبر وبكل وضوح عن النوع الشعري من الوثائقيات.

فيلم" مسيرة البطاريق "March of the Penguins

٢ -توضيحي :Expository

وهو النوع الأكثر شيوعاً في أوساط الأفلام الوثائقية، والتي تهدف إلى التعليم وشرح الأمور بأسلوب توضيحي. قد تعرض هذه الأفلام أحداثاً تاريخية مع ذكر تفاصيلها وتفسير بعض الأمور المختلف عليها، وقد تقدم له الحجة والبرهان لتقوم بإعادة سرد التاريخ له. ويقوم هذا النوع بمخاطبة المشاهد بأسلوب مباشر عن طريق التعليق الصوتي وإجراء اللقاءات وعرض الصور والمستندات والفيديوهات.

وغالباً ما يكون المنتج والممول لهذا النوع من الأفلام منظمة حكومية أو خاصة تسعى لتحقيق أهدافها من خلال هذه الأفلام التعليمية. وغالباً ما يتم إنتاجها ليتم عرضها على التلفزيون، كما تفعل National Geographicو Discoveryو History Channel.والكثير من المشاهدين يحبون مشاهدة هذه الأفلام ليتثقفوا حول قضية معينة بدلاً من أن يقرؤوا عنها من الكتب. يقول المخرج الأمريكي ستيفن سبيلبيرغ Steven Spielbergحول هذا النوع من الأفلام: "أعتقد أن الأفلام الوثائقية هي أعظم وسيلة لتثقيف جيل كامل لا يأبه للحظة أن يتعلم ويقرأ أي شيء عن تاريخه وواقعه."

وثائقي خاص عن الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله

تم إنتاج هذه السلسلة الوثائقية المكونة من ٥ أجزاء بمدة ٥٠ دقيقة لكل جزء من قِبل مجموعة MBC، والتي تحكي بالتفصيل قصة المغفور له الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله- في كل جوانب حياته في فترة حكمه، وبأسلوب تعليمي وتثقيفي مفصل. وتم تقسيم المواضيع في كل جزء من هذه السلسلة بأسلوب مفهرس إلى: رجل السلام، القائد الخليجي، الزعيم الدولي، الزعيم الإنساني، الإنسان والملك. استخدمت فيه الكثير من اللقاءات والصور والفيديوهات التوثيقية للأحداث والملفات والمستندات. بالإضافة إلى الموسيقى والتعليق الصوتي المؤثر من قِبل الفنان نديم الصوالحة.

في نظري: إن هذه السلسلة هي أفضل مثال لهذا النوع التوضيحي من الوثائقيات، والتي أظن بأنه تم صناعته بأسلوب جذاب تثقيفي وإثرائي ومليء بالمعلومات والترقب الذي يشدك لمشاهدته إلى نهايته. ويعطيك جرعة ثقافية عميقة عن حقيقة شخصية الملك فهد رحمه الله العظيمة، بالإضافة إلى الأحداث المؤلمة التي سعى لحلها وإصلاحها. والمشاريع الإنسانية والإسلامية والتطويرية التي أمر بإنشائها. وبذلك، فإنه يعتبر المرجع المرئي لكل من أراد أن يعرف أكثر عن هذا القائد العظيم.

سلسلة" وثائقي خاص عن الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله"

٣ ـمُلاحِظ :Observational

هو نوع من الوثائقيات التي قد تبدو غريبةً بعض الشيء. فهذه الأفلام تعرض تصاوير من حياة الناس أو أماكن معينة بدون تعليق صوتي أو أي إشارات. الهدف منها هو عرض تصوير واقعي، وكأنه يأخذك إلى ذلك المكان ويجعلك ترى كل التفاصيل بنفسك دون أن يؤثر على رأيك أو أن يقنعك بأسلوب مباشر.

قد تبدو هذه الوثائقيات مملة إلى حد ما، ولكن لها عشاقها ومتابعيها. وأكثر من يتبعها ويقوم بصناعتها هم الهواة من المصورين والفنانين الذين يتجولون في أماكن وبلدان حول العالم. حيث يقومون بتصوير صامت لكل ما يشاهدوه بزوايا فوتوغرافية محترفة. ومن ثم يقومون بمونتاج المواد التي التقطوها بخلفية موسيقية هادئة أو أصوات واقعية من نفس أماكن التصوير. ويفعلون كل هذا ليروك ما لاحظوه وشاهدوه خلال تجربتهم دون أي رسالة مباشرة أو هدف واضح. بالتأكيد لكل فيلم هدف ورسالة، ولكن الوثائقي لا يخبرك بهما صريحةً في هذه الأفلام.

تحت الشمس Under the Sun

تم صناعة هذا الفيلم الوثائقي الغريب عام ٢٠١٥م على يد المخرج الروسي فيتالي مانسكي Vitaly Mansky والذي تدور أحداثه في كوريا الشمالية. القصة الأساسية وراء صناعة هذا الفيلم هو أن السلطات الكورية الشمالية طلبت من المخرج الروسي ومساعديه أن يصنعوا لهم مادة دعائية عن عائلة كورية شمالية بسيطة تدور أحداثه حول الأب والأم وابنتهما والذي يعرض بعض الأحداث المختلقة التي تحصل مع الأب في عملة من ترقية وغيرها، والأم في منزلها وهي تعد الطعام وتهتم بعائلتها، والابنة التي تقضي أيامها في المدرسة ويتم تكريمها وجعلها تشارك في فعاليات المسرح المدرسي.

كان الهدف من المادة الدعائية تسويقياً بحتاً للحياة الهادئة والطبيعية في كوريا الشمالية وفي عاصمتها بيونغ يانغ بالتحديد من وجهة نظر السلطات المحلية. واستغل فريق العمل الروسي هذا المشروع والذي قضى عاماً تقريباً على الأراضي الكورية الشمالية وقاموا بمتابعة التصوير والتوثيق لكل ما تقع عليه أعينهم، وأيضاً متابعة التصوير ما بين المشاهد التمثيلية والتي كانت السلطات تعطي التوجيهات للممثلين خلال أداء مشاهدهم. وكانت السلطات تحكم الخناق على

الفريق الروسي، وذلك عبر مراجعة كل المشاهد التي صوروها خلال اليوم، بالإضافة إلى مرافقتهم في كل مرة يخرجون في من الفندق.

فيلم" تحت الشمس "Under the Sun

ما حصل في النهاية أنه قام الفريق الروسي في أسلوب غير أخلاقي بإخفاء معظم التصاوير في ذاكرة منفصلة وأخفوها في أمتعتهم وعرضوا المشاهد التي قد تكون مقبولة من قبل السلطات الكورية الشمالية. وبالتالي استطاعوا أخذ حصيلة كل ما صوروه ليقوموا بمنتجته هذا الفيلم الذي يتميز بالملاحظة وعرض مشاهد حية واقعية لكل ما استطاعوا تصويره. ليعطوك الفرصة لأن ترى هذه الأماكن وكأنك متواجد عندها.

٤ -تشاركي :Participatory

هي الأفلام الوثائقية التي تشارك تجربة صانع الفيلم نفسه مع القضية التي يحاول أن يتقصى عنها. فموضوع الفيلم يكون مرتبطاً بشكل كبير بين الوثائقي والقضية، فيتفاعل معها ويعرض توثيقه لها. في هذه الأفلام يكون البطل الرئيسي هو صانع الفيلم نفسه الذي يأخذنا في جولة حول القضية التي يتقصى عنها.

هناك الكثير من الوثائقيات من هذا النوع والتي تحظى بإقبال كبير من المشاهدين، لتعلقهم بالمخرج أو بالقضية أو الاثنين معاً. وفي أغلب الأحيان يتم عرض هذه الأفلام في صالات السينما لجاذبيتها العالية وأسلوب الإثارة الآسر. وأيضاً يتم المشاركة بها في المهرجانات السينمائية، وغالباً ما تحصد الجوائز منها.

سيكو Sicko

المخرج الوثائقي الأمريكي مايكل موور Michael Mooreمعروف بأفلامه الوثائقية التشاركية التي تعرض قضايا يؤمن بها ويسعى من خلال أفلامه أن يتقصى عن معلومات وإجابات لأسئلة في ذهنه عن هذه القضايا. ويقوم في أفلامه بعرض تجربته الاستقصائية الكاملة ورحلته في البحث عن الإجابات. ويتميز أيضاً بأسلوبه المباشر والصريح والساخر في معظم الوقت. وتتمحور معظم قضاياه حول آراء سياسية وأخرى حقوقية وإنسانية.

في هذا الفيلم الأشهر من بين أفلامه، تدور أحداثه حول مقارنته لبرامج الرعاية الصحية في أميركا والتي تهدف للربح، مع برامج الرعاية الصحية في الدول الأخرى -مثال: كندا، فرنسا، بريطانيا -والتي غالباً ما تكون مجانية وذات قالب إنساني أفضل. فيقوم باللقاء مع المرضى ومقدمي الرعاية والجهات والمنظمات المختلفة، ويعرض حقائق ومعلومات عن طريق الفيديو والصور والصوتيات، ويقوم بالتعليق خلالها ليربطنا معه طيلة الفيلم. أحداث الفيلم كثيرة وذات معلومات شائكة ومعقدة وفاضحة، تجعلك في آخره تقتنع بوجهة نظره بنسبة كبيرة.

فيلم" سيكو " Sicko

٥ -انعكاسي :Reflective

تتشابه الوثائقيات الانعكاسية مع الوثائقيات التشاركية في أنهما يعرضان قصة صانع الفيلم وهو يتقصى حول قضية معينة. لكن الوثائقيات الانعكاسية التي نتحدث عنها هنا تختلف في أنها تعرض تفاصيل أكثر للمخرج وخلف الكواليس وأدوات التصوير وإلخ من التفاصيل التي تعرض لك عملية صناعة هذا الفيلم بتفصيل أكثر. ويتم من خلالها سماع تعليق صوتي للمخرج وهو يتحدث عن التفاصيل والعقبات التي واجهها من ناحية الإنتاج.

وغالباً ما يكون المشاهد متشوقاً لمشاهدة هذا الفيلم؛ لأنه لا يعلم إلى أين سيؤدي أحداث الفيلم الذي يعيش فيه المغامرة والترقب الذي عاشه المخرج خلال إنتاجه. وأيضاً لاقت هذه الوثائقيات جاذبية عالية في أوساط المشاهدين؛ لأنهم يرون كامل التفاصيل الإنتاجية خلال مشاهدة الفيلم مما يشبع هذا فضولهم لمعرفة ما يحدث خلف الكواليس.

لهذه الطريقة في الوثائقيات عدة فوائد من ناحية المصداقية، فهي تتميز بالشفافية العالية بسبب كشف كل الأوراق للمشاهد. بالإضافة إلى حياديتها العالية، فهي لا تحاول أن تقنع المشاهد بأمر ما إلا بعد أن تريه النتائج ليحكم عليها بنفسه.

ولها أيضاً بعض السلبيات. فقد يضطر صانع الفيلم إلى إظهار بعض الأمور التي لا يريدها، كالأمور المنافية للأخلاقيات الاستقصائية؛ لأنه إن قام باقتصاصها من الفيلم فإن هذا قد يسبب خللاً في خط سير القصة. وقد يلاحَظ أن هناك أمراً غير مفهوم ويحتاج إلى تفسير.

أرض الغاز Gasland

هو فيلم وثائقي انعكاسي لرحلة صانع الفيلم الأمريكي جوش فوكس Josh Foxفي تقصيه حول الضرر الذي تسببه شركات الغاز الطبيعي القريبة من منزله في ولاية بنسلفانيا، والتي تتسبب في أضرار صحية وبيئية للمنطقة التي حولها. تم اتخاذ أسلوب استقصائي عالي الشفافية لكل تفاصيل صناعة الفيلم حينما بدأه فوكس لوحده، والذي كان يصور من خلال كاميرته كل اللقاءات مع المتضررين والسياسيين والمدراء التنفيذيين إلى أن انضم له ٣ مصورين آخرين. وقد تم تصويره في حوالي ١٨ شهراً نتج عنه ما يقارب من ٢٠٠ ساعة تصويرية تم العمل على مونتاجها ليصبح فيلماً ذا ١٠٠ دقيقة.

قد تلاحظ خلال الفيديو الدعائي للفيلم وحده بأنه فيلم ينطبق عليه كل الصفات التي تتحلى بها الوثائقيات الانعكاسية. حيث نرى صانع الفيلم جوش في أغلب لقطاته وهو يحكي بالتعليق الصوتي عن كامل تفاصيل رحلته الاستقصائية، بالإضافة إلى إمكانية رؤيتنا لأدوات الإنتاج وخلف الكواليس طوال الوقت.

فيلم" أرض الغاز "Gasland

حصد الفيلم العديد من الجوائز العالمية منها جائزة إيمي لأفضل إخراج لفيلم وثائقي، وجائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان صندانس. وترشح أيضاً لجائزة الأوسكار لأفضل فيلم وثائقي طويل. بل تم إنتاج جزء ثانٍ للفيلم من إنتاج شركة HBOومن إخراج جوش فوكس نفسه.

٦ -أدائي :Performative

يتشابه هذا النوع مع النوعين السابقين في أنه يعرض تجربة صانع الفيلم مع قضية ما. ولكنه يختلف عنهما في أنه يعرض رأي ورسالة صانع الفيلم التي يَعلمها جيداً حول القضية. فهو يعرف كل شيء عن القضية ولا يحتاج أن يأخذنا في رحلة استقصائية، وإنما يريدنا أن نقتنع بأمر مهم من وجهة نظره. ويحاول جاهداً في عرض اللقاءات والآراء والمعتقدات حول القضية ليغير وجهة نظرنا عنها، سواء ظهر المخرج في الفيلم بنفسه أو اكتفى بعرض اللقاءات والتعليق الصوتي.

وتكون القضايا المعروضة في هذه الأفلام غالباً قضايا حساسة أو حول فئة أقلية في المجتمع. ويحاول صانع الفيلم فيها أن يثير تعاطفنا معها ليغير وجهة نظرنا عنها.

لو تخيلنا الأمر أكثر، لافترضنا بأنك -كمشاهد -عضو في هيئة المحلفين كما في المحاكم الأمريكية، وصانع الفيلم الأدائي هو المحامي أو المدعي العام الذي يشرح لك القضية، ويظهر لك الأدلة التي قد تثير مشاعرك وعواطفك تجاه هذه القضية.

فهرنهايت ١١/٩ Fahrenheit 9/11

هو واحد من أبرز أفلام الوثائقي الأمريكي مايكل موور Michael Mooreالذي استحق أن يصنف بأنه فيلم وثائقي أدائي، والذي يقوم فيه بمحاولة إثبات وجهة نظره النقدية حول رئاسة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش وحربه في العراق، ونقده لوسائل الإعلام التي غطت هذه الأحداث، وأنها لم تكن دقيقة وموضوعية، بل كانت مشجعة للحرب.

أثار الفيلم جدلاً حاداً في مدى صحة معلوماته التي كانت فاضحة ومفجعة من ناحية ربط الأحداث ببعضها، وعرض الكثير من الأدلة والبراهين. بالإضافة إلى التطرق لأحداث كثيرة متعاقبة ومترابطة، يحاول المخرج موور من خلالها أن يربطها ببعضها لإثبات وجهة نظره بطريقة هجومية أشبه ما يكون بالمحامي الذي يعرض مرافعته أمام هيئة المحلفين كما ذكرت سابقاً.

حصد الفيلم ما يزيد عن ٢٦ جائزة، وكانت المفاجأة أنه حقق ما يقارب ٢٢٢ مليون دولار أمريكي في جميع أنحاء العالم عند عرضه في عام ٢٠٠٤م، مما جعله الفيلم الوثائقي الأعلى ربحاً في التاريخ. و في ٢٠١٢م صرح المخرج موور بأن الفيلم ربح ما يزيد عن نصف ملي

ار دولار منذ عرضه إلى وقت التصريح.

فيلم" فهرنهايت ١١/٩ "Fahrenheit 9/11
الفرق بين الأفلام الوثائقية التشاركية والانعكاسية والأدائية

○ ○ ○

نلاحظ من خلال هذه الأنواع بأنها متشابهة إلى حد كبير. وقد يكون تصنيف الفيلم إلى أحد هذه الأنواع مهمة صعبة. فكما ذكرنا سابقاً، قد تجتمع عدة أنواع في فيلم واحد. ولكن يظل التصنيف الشامل للفيلم بناءاً على النوع الأعلى تطبيقاً فيه.

ويجدر بنا الاشارة هنا إلى بعض الأنواع الأخرى التي تتطرق لها بعض الكتب التي تتحدث عن الأفلام الوثائقية وعن تاريخها. ولكن طريقة تقسيمها للأنواع تفتقر إلى الدقة والديمومة، كـ)الشؤون العامة، التاريخ والثقافة، التلفزيون العام، التقاليد والانتقادات، الدعاية الحكومية، الأفلام الموجهة، السير الذاتية، التعديلية، الإثنوجرافيّة، وغيرها .(ولكي لا تصيبك الحيرة التي لا تليق بمجال مرموق كمجال الأفلام الوثائقية، فإني أفضل أن أعتمد على الأنواع السابق ذكرها، والمستقاة من كتب المنظر الأشهر في المجال بيل نيكولز.

السؤال الأهم

إن مجال الأفلام الوثائقية يعتبر جديداً، وقابل للتغيُّر إلى حد كبير. ويضع البشر على عاتقه آمالاً كبيرة، سواءً المنتجين وصناع الأفلام أو مشاهدين ومهتمين، ليقوم بخدمة أهدافهم وليُشبع فضولهم فيما يهمهم. ولكن يظل السؤال الأهم: ما مدى الموثوقية التي يمكننا أن نعطيها للوثائقي حين يدعي بأنه يجسد الحقيقة في أفلامه؟ ما هي الأخلاقيات والمسؤوليات التي يجب أن يتحلى بها الوثائقي ليضمن للقصة أن تنتقل إلينا بحيادية عالية و ثبوتية مُحكمة؟.

انتقل معي إلى الفصل القادم لنتناقش في الكثير من الأمور المتعلقة بالوثائقي، لنتعرف عليه أكثر ولنفهم الأخلاقيات والمهارات التي يجب أن يتحلى بها ويتقنها.

الفصل الثاني
الوثائقي

"إذا أردت أن أصنع شيئاً أحدث عن طريقه تغييراً حقيقاً في عالم صناعة الأفلام، فسوف أصنع فيلماً وثائقياً. سيكون ذلك أقرب ما يمكن أن أحاول فعله لإحداث هذا التغيير".

نيل بلومكامب Neill Blomkamp

من هو الوثائقي؟

اتفق أغلب الخبراء في هذا المجال بأن الوثائقي هو شخص يقوم باتخاذ الكثير من القرارات، والهدف من هذه القرارات هو الحفاظ على التوازن المنطقي في عرض قصته. وقد تكون إحدى هذه القرارات مصيرية بشكل كبير، أي قد تؤثر سلباً أو إيجاباً في خط سير القصة وأيضاً في فهم الجمهور لها. لذلك فهو يحمل مسؤولية تحديد ما هو مهم وما هو عكس ذلك، وما قد يفيد قصته وما قد يضرها. ويستند في قراراته الكثيرة إلى أخلاقياته ورؤيته الفنية، وأيضاً إلى أهدافه ورسالته من هذا الفيلم. بالإضافة إلى أسلوبه الدبلوماسي في تناول القضايا الحساسة والجدلية.

الوثائقي هو باحث يعرض نتائج بحثه على هيئة فيلم. فمن أهم المهام التي لابد أن يحرص عليها عند العمل على أي فيلم وثائقي هو أن تكون عنده الدراية الكاملة بالعالم الذي سيعرضه. وذلك عن طريق البحث الدقيق في كل جوانب القصة والشخصيات التي سوف يقابلها. قد يقوم بهذا البحث وحده أو بالاستعانة بفريق متفانٍ يقوم بجمع المعلومات وعرضه عليه ومن ثم مناقشة نتائج بحثهم.

وعملية البحث هنا لا تقتصر على تصفح محركات البحث فحسب، بل قد يتطلب الأمر ارتياد المكتبة العامة، أو استشارة المختصين، أو الاطلاع على الوثائق والمستندات المهمة، أو أن يقوم بزيارة ميدانية لبعض المواقع المهمة مع دليل موثوق ليشرح له تفاصيل هذه المواقع... وإلخ من الوسائل التي تخدم عملية بحثه.

الوثائقي هو عبارة عن متقصٍ فضولي عن الشخصيات المرتبطة بالقصة، وكل ما هو متعلق بها. يكتسب قوّته من كشف الحقائق والصراعات الحياتية. ولديه تعاطف عميق تجاه الناس، ويسعى لتطوير فهم جديد للإنسان والحياة من خلال فيلمه. يقوم بتنسيق اللقطات والمواد المرئية والسمعية التي بحوزته لينشئ قصة جذابة، محاولاً التأثير على عواطف الجمهور وكسب عقولهم.

إذا لاحظنا كل هذه المهام لعرفنا ثقل القرارات التي قد يتخذها الوثائقي، والصعوبة التي يواجهها في محاولة جعلها تتناغم نحو هدف واحد. وأنه لابد لهذه القرارات أن تحافظ على اتزان المعادلة الصعبة التي يحاول هندستها.

لكي يتمكن الوثائقي من الحصول على هذا الوعي المتعدد الطبقات، لابد له من سلوك المسار الصعب، أي الممارسة المستمرة والتعلم من الأخطاء والإخفاقات، فالموهبة وحدها لا تكفي. فهي عملية تعلّم طويلة وشاقة، ودائماً ما تكون بداياتها مليئة بالعثرات والتجارب والأخطاء.

ولكن مع الإصرار والإيمان والمثابرة والتعلم من هذه البدايات سيبدأ مستوى الأداء بالتوجه نحو النمو مع الوقت.

إن من أهم الأمور التي يجب على الوثائقي أن يحرص على فعلها وبشكل يومي هو القراءة. بل إن من أهم النصائح التي يسديها المخرج الوثائقي الألماني ويرنير هرتزوق هو" :اقرأ، اقرأ، اقرأ، اقرأ ...اقرأ ."حيث أن القراءة المكثفة و المتمعنة والتحليلية في شتى المواضيع تَبْنِي شخصيةً عالية الفهم وثاقبة النظرة بلا أدنى شك؛ لأنه وكما يُقال دائماً" :العلم قوة ."والثقافة العالية أداة قوية ستساعد الوثائقي في الكثير من المواقف الصعبة التي ستستدعي منه القرار الحكيم حيالها. ستبني له عقلية واسعة المدارك للكثير من الأمور، وستعطي له الكثير من الخيارات المفيدة بالإضافة إلى الحلول الإبداعية التي لا يستطيع إلا القارئ المنفتح أن يتخذها.

لماذا يصنعون الوثائقيات؟

لقد راودني هذا السؤال لسنوات طويلة، والذي جعلني دائماً أحاول فهم السبب الذي يجعل الوثائقيين يقومون بتكريس كل حياتهم لصناعة هذه الأفلام. فليس في هذا المجال ما يغري لكي يتخصص فيه أحد، بل على العكس تماماً. الربح منه منخفض جداً مقارنةً بالأفلام الروائية والدعائية. ويستغرق إنتاجه وقتاً طويلاً وقد يأخذك بعيداً عن العائلة والأصدقاء. وقد يتطلب جهداً مضنياً يجعلك تكبر في السن قبل أوانك، ويبيض شعرك وأنت في عز شبابك. ودون أي نتيجة مادية تجعل صانعها يبني بيتاً أو يقتني سيارة فارهة.

وعندما تأملت في السر الذي يجعل الوثائقيين يناضلون ويكدحون من أجل هذا المجال، وجدت أن الجواب هو أن الوثائقيين عندهم شيء من جنون الفضول. وأن هذا المجال يشبع شغفهم والطاقة الكامنة فيهم. يؤمنون بهذه الوسيلة المجنونة التي يشعرون بأنهم مندفعون داخلياً تجاهها، والتي تعطي لهم الفرصة ليكتشفوا عوالم جديدة عليهم. ويعتبرونها مجالهم الرئيسي في الحياة التي لا يمكن أن يبدلوها بأي مجال آخر، إلا في الحالات القليلة التي تستدعي منهم كسب المال ليعيشوا حياة أفضل، كصناعة بعض الأفلام الروائية والدعائية بين الفينة والأخرى.

فيلم" تحدي أعماق البحار "Deepsea Challenge

وهذا ما سمعته من المخرج الكندي الشهير جيمس كاميرون James Cameron، ففي بداية فيلمه الوثائقي "تحدي أعماق البحار "Deepsea Challengeالذي أنتجه عام ٢٠١٤م، بدأ بذكر قصته الشخصية في أيام طفولته عن شغفه وولعه بالاستكشاف. وكيف أنه يعشق الغوص في أعماق البحار لاكتشاف العوالم الغريبة والمبهرة فيها. واستمر في هذا الجزء من الفيلم بالاسترسال عن كل ما يتعلق بشغفه الاستكشافي والعلمي، إلى أن وصل إلى الجزئية التي طرح فيها السؤال الجوهري: هل أنا مخرج في هوليوود أم مستكشف؟.

كانت إجابته تدور حول قراره في مرحلة متقدمة من حياته أن يكون صانع أفلام، ولكنه كان مولعاً أكثر بالاستكشاف حينها. وألهمته تجربة الغوص في المحيطات باستخدام الروبوتات

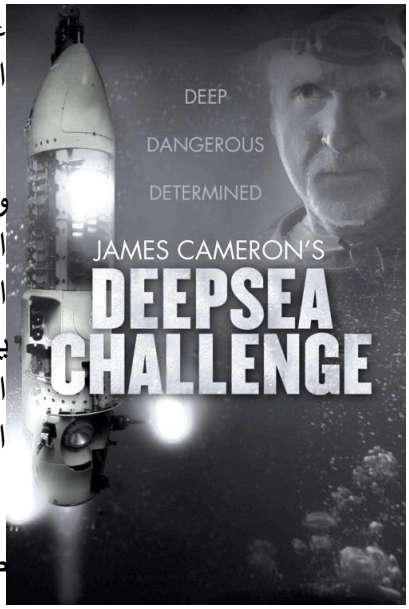

عالية التقنية، بالإضافة إلى رؤيته لكائنات غريبة الشكل في الأعماق، في أن يصنع أفلاماً تدور أحداثها حول الخيال العلمي.

فصنع أفلاماً ناجحة وملهمة كـ "كائنات فضائية "Aliens و"المبيد "Terminatorوغيرها. ووصل إلهامه إلى محاولة اكتشاف سفينة "تايتانيك "Titanicبنفسه، وقد غاص إلى تلك المنطقة السحيقة عدة مرات ليستكشف تفاصيلها بدقة، مما جعله يصنع عنها واحدة من أقوى الأفلام في التاريخ. حتى أن أغلب الأفكار الإبداعية في فيلم "أفاتار "Avatarكانت مستلهمة من الكائنات العجيبة التي وجدها في أعماق المحيطات.

ويختم جوابه قائلاً بأنه يصنف نفسه كمستكشف، وأن صناعة الأفلام الروائية في هوليوود ما هي إلا عمل صباحي. وبطبيعة الحال فإن رحلاته الاستكشافية يصاحبها صناعة وثائقيات عنها، إما من إخراجه أو من إشرافه وإنتاجه. ويجد نفسه الحقيقية أكثر في هذا الميدان.

تحدثت زوجته سوزي أيميس Suzy Amisفي نفس الفيلم السابق ذكره بكل وضوح عن كاميرون، وكيف تجده يفكر كثيراً في التوقف عن الإخراج السينمائي وتوجيه جُل وقته وجهده للاستكشاف، الذي يعشقه ويتنفسه. على الرغم من حبه للإخراج السينمائي كذلك، إلا أن هناك علاقة وثيقة ما بين جيمس و البحر. ومن هنا نفهم أن إحدى أهم الدوافع الرئيسية في صناعة الأفلام الوثائقية هو الفضول والجنون بالاستكشاف.

وقد شاع مؤخراً خبر أن كاميرون قد قام بتأخير إخراج وإنتاج الجزئين الثاني والثالث من فيلم "أفاتار "Avatarبسبب انشغاله بإنتاج السلسلة الوثائقية "أسرار الحيتان Secrets of the Whales"والذي كان من إنتاج ناشيونال جيوغرافيك وديزني بلس، وتم الإعلان عنه عام ٢٠٢١م. تم تصوير هذه السلسلة المكونة من ٤ أجزاء على مدى ٣ سنوات في ٢٤ موقعاً حول العالم، وهي قصة شخصية عميقة تغوص في أعماق عالم الحيتان ومحاولة رؤية الحياة والحب من خلالهم. عند مشاهدتك للإعلان التشويقي لهذه السلسلة ستعلم يقيناً بأن هذا الرجل جاد جداً عندما يقول بأنه شغوف حقاً بعالم البحار ومجال الاستكشاف، بل وقد يقدّم هذا الشغف على المشاريع الأخرى التي ستدر له مكاسب أكثر.

○ ○ ○

في عام ١٩٩٨م حاول العديد من الوثائقيين الأسطوريين الإجابة على هذا السؤال في كتاب بعنوان "تخيل الواقع "Imagining Reality، الذي ألفه كيفن ماكدونالد Kevin Macdonald ومارك كوزينز .Mark Cousins اعترف فيه معظم صانعي الأفلام بأن الجنون يتملكهم عند صناعة أفلامهم، بالإضافة إلى فضولهم وحاجتهم للتواصل. تحدث ريتشارد ليكوكRichard Leacockعن شغفه بالتجارب، سواء كانت جيدة أو سيئة. تحدث الوثائقي العظيم ألبرت مايزليس

Albert Maysles عن تسجيل الأحداث بحيث يمكن مشاركتها. تحدث مايكل جريجسبي Michael Grigsby عن إعطاء صوت لمن لا صوت لهم. وتحدث آخرون عن توفير مساحة لأولئك الذين يرغبون في أن يكونوا أنفسهم وأن يعبروا عن أعماق مشاعرهم. كانت كلماتهم تعبر عن دوافع متعددة عندهم، فبعضها نابعة من اهتمامهم بالعالم من حولهم، والأخرى نابعة من الالتزام تجاه مجتمعهم.

كانت إحدى الإجابات أيضاً ما قاله المنتج التلفزيوني البريطاني مايكل ريتشارد جاكسون Michael Richard Jackson: " أصبح العالم أكثر انفتاحًا وأكثر تعقيدًا وأكثر إرباكًا وأكثر تجزؤًا؛ لذلك قد تكون الوثائقيات إحدى الطرق الضرورية لإعادة النظر في العديد من الحقائق الجديدة."

ألبرت مايزليس Albert Maysles
كتاب "تخيل الواقع"
ريتشارد ليكوك Richard Leacock

رغم كل هذه الصعوبات، إلا أن المكافأة التي يحوز عليها الوثائقي في نهاية الطريق كبيرة. قد تتخطى أن تكون على هيئة زيادة رصيد حسابه البنكي إلى أن تكون رصيداً شخصياً و اجتماعياً، حيث سيصبح عنده فهماً أكبر للحياة وقضاياها. فمحاولته لرفع وعيه ووعي الآخرين سيجعله يوقن بأن ما يقوم به هو عمل مؤثر ومفيد. وسيحظى أيضاً بفرصة نادرة للسفر نحو عوالم مجهولة في رحلة مغامرة مليئة بالأحداث والدروس. وأيضاً بلقاء أناس رائعين لم يتخيل لقاء أمثالهم في حياته الروتينية اليومية. فهذه اللقاءات تعطيه الفرصة لأن يقطف من كل حديقة زهرة ليزرعها في حديقته الخاصة، وبذلك يبني خبراته وشخصيته من أولئك الذين قابلهم في رحلته التوثيقية.

○ ○ ○

عند تأملنا في قصص خلف الكواليس للكثير من الوثائقيين، نصل إلى نتيجة مفادها أن الوثائقي في غالب الأحيان يقوم بأكثر من مهمة في نفس الوقت. أي بمعنى أنه قد يقوم بالإخراج والكتابة والمونتاج مجتمعين للفيلم نفسه. بل إن بعضهم يصل إلى درجة عالية من المعاناة يقومون فيها بالتصوير بأنفسهم أيضاً إذا اضطروا إلى ذلك. فنستنتج من ذلك أن صناعة الأفلام الوثائقية قد يقودها أناس متعددو المواهب، أي قد يحملون أعباء عدة أشخاص في آن واحد. وهذه إحدى الاختلافات ما بين صناعة الأفلام الوثائقية والأفلام الروائية، بل إن هذه تعتبر ميّزة في هذه الأفلام؛ لأنه وكما ذكرنا سابقاً، بأن البطل الرئيسي في معظم الوثائقيات -وخصوصاً التشاركية والانعكاسية والأدائية -هو الوثائقي نفسه. بل يجب أن يكون هو البطل، لأنه محورٌ رئيسي في القصة المعروضة.

الأسباب التي تجعل الوثائقي يتقلد عدة مناصب في فريق صناعة فيلمه متفاوتة. إما لقلة الميزانية، وخصوصاً إذا كان تمويله ذاتياً، وبالتالي عدم القدرة على استيفاء تكاليف بعض أعضاء الفريق. وإما بسبب عدم عثوره على الشخص المناسب لهذا المنصب، فيجد نفسه الأجدر بشغل هذا

المكان. والكثير منهم يكونون في ظروف مكانية وزمانية حرجة، تستدعي منهم أن يتخذوا قرارات مصيرية بأن يتدبروا أمرهم بأية وسيلة متاحة بين أيديهم. ومن أهم الأسباب الداخلية التي تجعله يتعنى في مشاريعه هو عدم خلطه بين الوسيلة والهدف. أي أن الوصول إلى هدفه النهائي هو همه الرئيسي، ولا يهمه الوسيلة التي توصله إلى هناك حتى وإن قام بأغلب المهام بنفسه.

○ ○ ○

من الأفلام الوثائقية الشهيرة التي تطلبت الكثير من التضحيات خلال إنتاجها هو فيلم "مطاردة الجليد ."Chasing Iceتم إنتاجه عام ٢٠١٢م، وتدور أحداثه حول توثيق رحلة المصور الفوتوغرافي جيمس بالوق James Balog في محاولته لإثبات ظاهرة التغير المناخي الذي دار حوله الكثير من الجدل. حيث قام بإجراء دراسة بحثية ميدانية استغرقت عدة سنوات، وذلك عبر اختراع أداة تصوير معقدة تقوم بأخذ صور تايم لابس Time Lapsلمدة ٦ أشهر متواصلة، وموزعة على عشرات المواقع الجليدية كـ جرينلاند وألاسكا وآيسلندا وسلسلة جبال إيفرست. ليقوم بعدها بعرض نتائج تصوير ٦ أشهر في عدة ثوان لكل موقع في محاضراته، مثبتاً بذلك تأثر هذه المناطق الجليدية بظاهرة التغير المناخي.

الشخصية الأبرز في هذا الفيلم والذي نريد التركيز على تجربته هنا هو مخرج الفيلم جيف أورلوسكي .Jeff Orlowski حيث تحدث بإسهاب عن تجربته الصعبة في إحدى اللقاءات الجماهيرية التي نظمتها شركة قوقل، وتطرق فيه إلى أن بداية تصوير الفيلم كان عبارة عن مهمة أوكلت إليه لتوثيق مراحل الإعداد لهذه الدراسة البحثية الميدانية فقط. ولم يكن واضحاً لديهم الهدف من هذه التصاوير، بل لم يكن في نيتهم أن يخرجوا منه بفيلم وثائقي من الأساس.

فبدأ جيف بتصوير البطل جيمس بنفسه، وسافر معه إلى أكثر الأماكن خطورة وبرودة في العالم. واضطر إلى تعلم التسلق، وعرّض نفسه للكثير من المخاطر، التي كادت أن تُنهي حياته وكاميرته. كانت التضحية في البداية نابعة من إيمانه بما يفعله بطل الفيلم من توعية لقضية بيئية مهمة، وفي كثير من الأحيان كان عدد فريق الإنتاج معه لا يتعدى شخصين.

استمر الأمر هكذا لفترة طويلة إلى أن بدأ يرسم ملامح الفيلم المرتقب، الذي أصبح لاحقاً مخرجه ومنتجه بالإضافة إلى مدير تصويره. وبدأ يتكون عنده عدد كبير من الفريق بعد أن حصل على الدعم المادي لإنتاج الفيلم، والذي استغرق مونتاجه ٣ سنوات. حصد الفيلم ٩ جوائز مرموقة أشهرها مهرجان ساندانس، بالإضافة إلى ترشحه لجائزة أوسكار.

فيلم "مطاردة الجليد "Chasing Ice
جيمس بالوق و مخرج الفيلم جيف أورلوسكي

واختتم جيف لقاءه بكلمات مؤثرة حول أسباب نجاح مثل هذه الأفلام. فذكر بأن أهم سبب حقق لهذا الفيلم هذا النجاح هو "الإيمان ."أن تؤمن بقصتك وببطلها، وأن تقدم له كل ما بوسعك لتساعده في إيصال صوته للناس. وأن كل تعب وجهد تضعه في ما تؤمن به سيتلاشى بمجرد أن يخرج العمل ويشاهده الجمهور.

بالرغم من أن بدايته كانت صغيرة ومتواضعة، إلا أن هذه التجربة أشعلت فيه نار الفضول وحب البحث والتقصي عن القضايا البيئية. وفتح له المجال ليصنع فيلماً وثائقياً آخر باسم "مطاردة المرجان "Chasing Coralمن إنتاج نتفلكس. قام في هذا الفيلم بالتقصي حول أسباب اختفاء الشعب المرجانية بمعدل عال في الفترة الأخيرة. حيث قام بتوثيق مغامرة مجموعة من المصورين والغواصين والعلماء لمعرفة أسباب هذه الظاهرة التي ستضر بالتوازن البيئي. استغرق إنتاج الفيلم أكثر من ثلاث سنوات في أكثر من ٣٠ دولة. ونتج عنه أكثر من 500ساعة من اللقطات تحت الماء، بالإضافة إلى دعم أكثر من 500شخص في مواقع مختلفة حول العالم.

فيلم "مطاردة المرجان "Chasing Coral

عند قراءة هذه الأرقام الهائلة، والاطلاع على كمية الجهد الذي يضعه الوثائقيون في أفلامهم، نستنتج بأن الأمر يتعدى في بعض الأحيان أن يكون الهدف منه هو صناعة فيلم فحسب. بل يصل إلى أن يكون بعثة بحثية كاملة، لها رؤية ورسالة ونتائج يراد منها التوصل إلى توصيات لتغيير العالم وسلوك البشر. يصل الأمر إلى أن يكون قضية عالمية وليس مجرد كسب المال من إنتاج الفيلم. وهذا هو المبدأ الحقيقي من وراء صناعة الأفلام الوثائقية الخالصة.

الفنان

في الفصل السابق، قمنا بتعريف الفيلم الوثائقي بأنه" :محاولة تجسيد الواقع بطريقة فنية." وإذا ما تأملنا في هذا التعريف، فإن أحد أبرز المصطلحات الذي يحتويه هو "الفن ."والذي بإمكاننا أن نصف من خلاله صانع الأفلام الوثائقية بالفنان. لقد وصف الروائي الفرنسي إميل زولا Emile Zolaالفن بأنه" :كن من الطبيعة، يُرى من خلال مزاج بشري ."ولو استعنا بهذا التعريف للفن و دمجناه مع تعريفنا السابق للأفلام الوثائقية، لاستنتجنا بأن" :الوثائقيات هي ركن من الحقيقة، يُرى عن طريق مزاج بشري."

وهذا المزاج البشري هو ما نتحدث عنه في فصلنا الحالي من هذا الكتاب، أي الوثائقي. على الرغم من أن الوثائقيات تصنع غالباً بجهود جماعية، إلا أن بطلها الحقيقي هو ذلك الذي أخرجها وسعى بكل جهده لإتمامها بلمسته الفنية ورؤيته المزاجية البشرية.

الفنان هو الذي يعبر عما بداخله عن طريق وسيلة معينة. هو الشخص الذي يستخدم الخيال أو الموهبة أو المهارة لإنشاء أعمال يمكن الحكم عليها بأنها ذات قيمة جمالية. يقول الكاتب مارك جيتلين Mark Getleinفي كتابه "العيش مع الفن "Living with Art، بأن الفنانين يقومون بعدة أنشطة أو خدمات رئيسية وجوهرية جداً في الحياة من خلال فنهم. فهُم:

- يقومون بإنشاء نسخ غير عادية لأشياء عادية.
- بإمكانهم أن يعطوا شكلاً ملموساً وواضحاً للمجهول.
- بطريقة ملموسة ومرئية "المشاعر"بإمكانهم أن يشكلوا.
- ويقومون بتجديد رؤيتنا للأمور، بل قد يساعدوننا في رؤية العالم بطريقة مختلفة.

آثرت أن أربط صناعة الأفلام الوثائقية بمعنى الفن، وأن ألقب صانعه بالفنان، لسبب بسيط. وهو أن الفنان الحقيقي يفعل أمراً استثنائياً يلاحظه كل من يشاهد عمله، وهو أن هذا الفنان "يحترم "فنه. وهذا الاحترام والحب الذي يكنه الفنان لفنه بالتأكيد سيظهر أثره جلياً وواضحاً في ملامح هذا العمل الفني و سيراه الناس. وهذا الاحترام نابع بالتأكيد من احترامه لنفسه ولموهبته قبل كل شيء، ففاقد الشيء لا يعطيه.

تتجلى أبرز مظاهر الاحترام الذي يقدمه الفنان لفنه بأن يحرص على أن يكون حقيقياً، أن يعبر عما في نفسه، أن يكون ما يؤمن به. أن يشعر من خلال فنه بالحياة والسعادة والفرادة. ويتجلى احترامه أيضاً في رغبته في صناعة هذا الفن ليس لكسب المال أو حب الناس أو شهرة معينة، وإنما لأنه بالفعل يريد أن يعبر عن نفسه بهذه الطريقة. ولأنه يريد أن يترك وراءه قطعة جميلة لكي يستمتع بالنظر إليها بنفسه. فهو المعني بالأمر وهو المهتم بفنه والفخور بنتاجه مهما أهمله أو نبذه غيره.

يحرص الفنان دائماً إلى تطوير مهارته والاطلاع على تجارب غيره ليتحلى بأدوات أقوى وأكثر إقناعاً للتعبير عن رأيه، ولرسم رسالته في فنه. ويسعى إلى استرشاد الحكمة والأسلوب الأمثل لعرض الرؤية العميقة من تجارب ناجحة أخرى، ليصل إلى مرتبة أعلى في وعيه للأمور ولاختيار زوايا متجددة أكثر.

لذلك تجده دائم السخط على حاله ومستوى فنه، وتكاد لا تجد فناناً راضياً تمام الرضا بما يقدمه؛ لأنه دائماً يرى بأن هناك مجالاً أكبر لإضافة المزيد أو لحذف ما هو غير مقنع، حتى وإن كنا مبهورين بفنه ولم نجد عليه أية علة. يرى نفسه كشخص مسؤول تحمل أمانة إيصال هذه الرسالة، فيسعى بكل جهده أن يحافظ على هذه المسؤولية بأن يسعى إلى إتقان تنفيذ فنه. ولكي يتمكن من الاستمرار في تقديم فنه، وفي عقله وقلبه هذه الدوامة من التفكير والتردد والسخط، لابد له أن يتحلى بصفة أخرى -بجانب احترامه لفنه -تجعله يصبر على تطوير نفسه ويستمر في إنتاجيته. وهو أن يكون "شغوفاً "بفنه.

الشغف

من أولى العبارات التي قرأتها منذ بداية مسيرتي في تعلم صناعة الأفلام كانت للمخرج الأمريكي غاري وينيك Gary Winickحين قال" :إن الأمر الأهم في عالم صناعة الأفلام، هو أنه لابد لك من أن تحبه جداً، لأنه مجال صعب جداً." وإن فكرنا قليلاً في الرسالة التي يحاول إيصالها لنا، لوجدنا أن كلامه يدور حول مرحلة متقدمة من الحب للشيء، وهو الحب الذي يجعلك تتحمل صعوبته ووعورته ومسؤولياته ومشاقه.

لذلك كان لابد لنا أن نتطرق إلى" الشغف "لفهم علاماته وإشاراته، لنستدل به على المسار الصحيح لحياتنا. فإذا عرفت يقيناً بأن مجال صناعة الأفلام -والوثائقيات بالذات -هو المجال الذي تتوفر فيه جميع علامات الشغف لديك، سيكون ذلك مبشراً بالخير للاستمرار في تعلمه وممارسته، وأيضاً لمتابعة قراءة هذا الكتاب الذي سيكون بمثابة المرشد لك في هذا المجال بإذن الله. أما إن

كانت لا تتوفر لديك هذه العلامات، واكتشفت أنك شغوف في مجال آخر، فبإمكانك أن تستثمر وقتك في القراءة والبحث والممارسة في المجال الذي يميل له شغفك.

الكثيرون ممن يزاولون مجالاً معيناً بدافع الشغف في بداياته، يتوصلون بعد فترة من الزمن إلى أنه لم يكن هذا المجال الذي يشبع شغفهم وحبهم. فيقررون بكل شجاعة أن يغيروا مجالهم لمجال آخر. كما يحدث كثيراً مع طلاب المرحلة الجامعية الذين غيروا تخصصاتهم بعد أن قضوا وقتاً فيه لتخصصات أيقنوا بأنها هي المناسبة لهم. وليس في هذا القرار بالتأكيد أي عيب أو مؤاخذة. فأن تعرف شغفك الآن خير لك من أن تعرفه متأخراً، أو ألا تعرفه أبداً.

عندما نبحث عن مفهوم "الشغف"، دائماً ما نجده مقروناً بكلمات أخرى تدل عليه وتفسره، كـ:

- **الغاية أو الهدف** :Purpose والذي يعرف بأنه سبب فعل الشيء، أو السبب الذي خلق المرء من أجله.
- **الاستيفاء أو الإكمال أو التحقيق** :Fulfilment وهي كلمة عميقة جداً تعني الرضا والسعادة نتيجة لتنمية قدرات الشخص أو شخصيته بالكامل.
- **الدافع أو السبب** :Motive والتي تعني السبب لفعل شيء ما، خاصةً ما هو مخفي أو غير واضح.

وكلها تدور معانيها حول الإحساس العميق الذي يغمر قلبك وعقلك تجاه مجال معين.

علامات الشغف

إن مشوار البحث عن الشغف ليس بالسهل أبداً. حيث إن الكثيرين يقضون سنوات طويلة من أعمارهم ليجدوا ذلك الشعور العميق تجاه مجال معين، والذي تتوفر فيه العلامات التي سنتحدث عنها. وعندما تتوفر عندهم هذه العلامات، سيشعرون حينها بأنهم وجدوا إكسير الحياة، بل وجدوا أثمن شيء يمكن أن يجده أي أحد. السبب وراء تطرقي لعلامات الشغف، هو لكي يكون عندك الجواب على السؤال المهم: هل أنا شغوف بصناعة الأفلام الوثائقية؟. أي بمعنى آخر، هل أنا شغوف باستخدام صناعة الأفلام الوثائقية كوسيلة للتعبير عن رأيي ورسالتي؟.

ولا أخفيك عزيزي/تي القارئ/ـة، بأنني كالكثير من غيري جربت مجالات كثيرة، كالموسيقى والرسم والهندسة -التخصص الجامعي الذي درسته -والكتابة بأنواعها والصحافة وغيرها. إلى أن بدأت في مجال صناعة الأفلام قبل أكثر من ١٢ سنة، وأصبح المجال الوحيد الذي لم أتوقف عن ممارسته إلى الآن. وعندما توقفت لأتأمل وأحلل الأسباب التي جعلتني أستمر فيه، وجدت أن العلامات الخمس التالية كانت دائما متحققة:

أ -أنا لا أتعب: مهما بذلت فيه من الجهد والوقت، أجد نفسي لا أتعب ولا أتأفف منه. تجدني أقضي الساعات الطويلة يومياً وأنا أمارسه بكل سعادة وحماس مستعيناً بشرب القهوة أو الشاي لأظل متيقظاً قدر المستطاع. بل وقد تجدني أنام لساعات قليلة جداً، وأحرص على الاستيقاظ باكراً بكل

نشاط وحيوية لأداء مهمتي في هذا المجال. وأصبر على مشاقه وإن تطلب مني الأمر أن أبذل فيه جهداً كبيراً كالمشي لمسافات طويلة، أو السفر إلى بلاد بعيدة، أو حمل أشياء ثقيلة، أو تحمل أعضاء الفريق وأفراد الأسرة. وكل ذلك في سبيل الاستمرار في ممارسة مجالي. أليس هذا الفعل دليل على حب ذلك المجال وعشقه؟.

ب -الأمر بسيط بالنسبة لي: أصل فيه إلى مرحلة يصبح تنفيذه سهلاً وبديهياً جداً بالنسبة لي، بالطبع مع كثرة الممارسة وفهم طرقه وأسراره بالإضافة إلى حبه. حيث يتخطى الأمر عقلي الواعي ليصل إلى عقلي اللا واع. فعندما يأتيني أحدهم ليطلب مني صناعة فيلم وثائقي معين، تجدني أتخيل -وبكل دقة -الخطوات الأساسية والمهارات المطلوبة وكل المتطلبات المهمة لإنتاجه. وكأن عقلي يتحول إلى كمبيوتر يحلل الخطوات والبيانات والمتطلبات ويرسمها بكل احترافية في ثوان معدودة. ناهيك هذا عن تنفيذه، بحيث تصبح طريقة التنفيذ واضحة ومفهومة جداً. وتجدني أعرف الإجابة عن أي سؤال يطرحه عليّ أي أحد -سواء العميل أو الممثلين أو فريق الإنتاج -حول أي أمر يتعلق بتنفيذ المشروع؛ لأن الأمر أصبح بالنسبة لي بديهياً.

ج) -كلما عرفت، عرفت أنني لا أعرف :(كما قالها الراحل أنيس منصور، أي كلما زادت خبرتي في هذا المجال، أظل أرى سقف الخبرة والإنجاز الذي أطمح للوصول له عالياً وبعيداً ويتطلب الكثير والكثير من الجهد للوصول إليه. وبالتالي، هذا يحفزني لأن أبذل جهداً أكبر، وأن أسعى للتعلم أكثر، وأن أقضي ساعات أطول في ممارسته. سيجعلني أبحث في أسراره وأستشير المحترفين في المجال لأتعلم منهم، وأن أضع الأهداف والخطوات للوصول إلى المستوى الذي أطمح له. لا يبذل كل هذا التفكير والتخطيط والسعي نحو مجال ما إلا عاشق لها وشغوف بها.

د -إبداعي فيه لا ينتهي: بحيث إذا أعطاني أحدهم شرارة لفكرة فيلم مقترح، ستجدني أعيش في الخيالات وأطير في عالم الأفكار والاقتراحات الإبداعية التي لا تتوقف. وتجدني أيضاً أقترح الحلول الإبداعية والعجيبة للعقبات التي قد يواجهها الفريق خلال تنفيذ المشروع. وأحرص على أن أستفيد من محاولات غيري الإبداعية في إنتاج مشاريعهم. وأحاول التعلم أكثر عن آخر التقنيات التي قد تزيد مشاريعي إبداعاً.

هـ -أستمرُ فيه رغم الفشل: السر الذي يجعلك تستمر في مجالك رغم كل المحاولات الفاشلة التي قمت بها، لهو سرٌ يدل على حبك وشغفك وصبرك على هذا المجال. وهذا السر جعلك لا تتوقف أبداً، بل تحاول معرفة وتحليل الأسباب التي جعلتك تفشل في كل تلك المرات. بل وتحاول الكرة تلو الأخرى إلى أن تحقق النجاح الذي تحلم به. قال أحدهم في تعريفه للنجاح" :هو أن أحاول، وأحاول، وأحاول، وأحاول ."لا أخفيك عدد المرات التي شعرت فيها بالإحباط والحزن من محاولاتي الفاشلة الكثيرة، وخصوصاً عندما أكون قد صرفت عليها الكثير من الوقت والجهد. ولكنني أجد نفسي -بعد فترة هدوء وتعاف نفسية -أرجع إليه مرة أخرى وأفكر في الطرق التي ستجعلني أنجح في المرات القادمة. تقبل الفشل والأخطاء والزلات، واتخاذها كوسيلة للتعلم منها وتفاديها في المرات القادمة، هو أحد أهم علامات الشغف في مجال معين. السر هنا أن تتقبل

أخطاءك مهما كانت تبعاتها مؤلمة، وأن لا تجعلها سبيلاً للسقوط والاستسلام. قال لاعب كرة السلة الشهير مايكل جوردن " :Michael Jordanفشلت مراراً وتكراراً.. ولهذا نجحت."

○ ○ ○

العثور على الشغف هو علامة وإشارة تشعر بها عندما تحللها وتتأمل فيها. فالعلامات السابق ذكرها إن توفرت فيك وأنت تمارس مجالاً معيناً، فاحرص على أن تستمر فيه أكثر لتتأكد بأن العلامات لازالت تتحقق خلال الزمن. وإن فقدته لأي سبب كان، حاول أن تتعمق في المجال وتتخصص في جزء معين منه حتى تتضح العلامات معك أكثر. وإن لم تفلح محاولاتك في هذا المجال، خذ وقتاً من الزمن بعيداً عن التفكير في الأمر لتترك المجال لعقلك وقلبك أن يستعيدا صحتيهما وليستريحا من المحاولات المضنية السابقة.

بعد فترة الراحة الكافية، ابحث عن مجال آخر تحبه. وهنا أقول "ابحث"، أي استثمر وقتاً وجهداً كافيا للقراءة عن المجال وتجربته وتعلمه وسؤال أهل الخبرة عنه. وقبل كل شيء، استعن بالله سبحانه أولاً وآخراً وتوكل عليه، واطلب منه أن يدلك على الطريق الصحيح. ولا تنسى دعاء الوالدين، فليس هناك أجمل ولا أنقى من دعوة صادقة يدعونها لك ليسدد الله سبحانه خطاك ويوفقك ويبارك لك في جهدك وفي وقتك ومالك.

○ ○ ○

فيلم "مايكل جوردن إلى أقصى الحدود
Michael Jordan to the Max"

الكثير من الأفلام الوثائقية تناولت مسيرة لاعب كرة السلة الأشهر في التاريخ مايكل جوردن. ولكن الفيلم الوحيد الذي ركز -وبأسلوب بديع ومتسلسل، وفي أجواء ممزوجة بالحماس والواقعية والهدوء والتحليل -على الأسرار التي جعلت من هذا اللاعب الفذ على رأس قائمة أشهر وأغنى اللاعبين في التاريخ، هو فيلم "مايكل جوردن إلى أقصى الحدود Michael Jordan to the Max".

تم إنتاجه في عام ٢٠٠٠م ويعتبر من الوثائقيات الآيماكس IMAXالسينمائية ذات الجودة الفائقة، والذي يعرض عظمة واحترافية هذا اللاعب الأسطوري خلال مسيرته في فريق شيكاغو بولز منذ العام ١٩٨٤م إلى ١٩٩٨م. قام مخرجاه بتصوير الموسم الأخير من مباريات مايكل جوردن والتي كانت في عام ١٩٩٨م بكاميرات آيماكس السينمائية من أولها لآخرها، بالإضافة إلى اللقاءات التي صوراها لمايكل جوردن نفسه. وقاموا بتحرير هذه المشاهد بأسلوب مشوق وملهم وقوي جداً في طرحه، بالإضافة إلى الاستعانة في التعليق الصوتي بالممثل الأمريكي الشهير لورنس فيشبورن.

لدرجة أن منتجي ومخرجي السلسلة الوثائقية "الرقصة الأخيرة "The Last Danceالتي أنتجته نتفلكس في عام ٢٠٢٠م، صرحوا في لقاء مع شبكة NBCالرياضية بأن سبب انتظارهم

كل هذه المدة ليخرجوا بهذه السلسة هو هذا الفيلم الوثائقي الذي نتحدث عنه. للشمولية والجودة العالية والقوة في سرد القصة التي تميز بها.

لطالما اعتبرت مايكل جوردن من الأمثلة التي تستحق أن تدرس وأن يتعلم منها. ليس بسبب المباريات التي فاز بها والأموال التي ربحها، وإنما بسبب أسلوبه الرزين في حياته الشخصية والمهنية وطريقة تفكيره ونظرته للأمور. تعلمه من أخطائه، واعترافه بفشله، ومحاولته لأن يتميز على أقرانه، وعمله الدؤوب لأن يتمرن أكثر من أي لاعب حوله، والتزامه بتوجيهات مدربه، وغيرها الكثير من الوسائل التي جعلته يحتل مكانة عالية في مجاله وفي قلوب محبيه.

أحببت أن أوصي بهذا الفيلم الوثائقي، لأني شخصياً تعلمت منه كثيراً واستفدت منه في جوانب من حياتي. وإن أردت أن أخرج بدرس واحد من مسيرته، فهو أن مايكل جوردن قد قدم احتراماً كبيراً لنفسه أولاً، ومن ثم لمجاله وفريقه وزملائه.

الأخلاقيات

يزيد الأمر حساسية عندما نتطرق عن "الأخلاقيات "في الأفلام الوثائقية عن باقي أنواع الأفلام. فقد تطرقنا في الفصل السابق عن أن الأفلام الوثائقية تعرض أحداثاً حقيقية من وجهة نظر صانع الفيلم. أي بمعنى أن صانع الفيلم الوثائقي هو "النافذة "لهذه الأحداث وهو الذي "يمثل" أصوات وهموم هؤلاء الناس الظاهرين في الفيلم. بالإضافة إلى أن الجمهور بشكل عام يصدقون كل ما يذكر أو يعرض في هذه الأفلام الوثائقية بسبب جاذبيتها وشفافيتها العالية، ويعتبرونها مرجعاً موثوقاً لهذه الأحداث والقضايا. فلذلك، وجب علينا التحدث عن موضوع الأخلاقيات؛ لأن هذه هي الورقة الأهم التي يحملها الوثائقي، والتي قد ترفعه لمراتب عالية في عين التاريخ، وقد تخسف به في أسفل سافلين.

إن لكل مهنة في الحياة مجموعة من الآداب والقيم والقواعد المعتبرة لدى أصحاب هذا المجال، تقوم بتحديد المعايير والسلوكيات والتصرفات الصائبة المطلوب اتباعها، ليتم المحافظة على شرف المهنة ونزاهتها. وتسمى بـ "الميثاق الأخلاقي أو الأخلاقيات ."Code of Ethics والتعمق في هذا الأمر سيستغرق الكثير من النقاش وتضارب وجهات النظر، فالبعض يربطون الأخلاقيات بالعرف المجتمعي والديني، والآخر يفصلهما عن بعضهما. ويقوم البعض بالاجتهاد لتحديد المعايير والقواعد الأخلاقية بدقة، والآخر يعترض على بعض بنودها. لذلك سأحرص على نفهم ماهية "الأخلاقيات"، وسأنتقل بعدها لتوضيح بعض الأمور المتعلقة بـ "أخلاقيات صناعة الأفلام الوثائقية".

○ ○ ○

المثلث الرئيسي في عملية صناعة أي فيلم وثائقي تتكون من:

- **صانع الفيلم:** سواءاً المخرج أو الجهة المنتجة.
- **الموضوع وأصحاب القصة:** سواءاً كانوا أشخاصاً أو وثائق أو مواد بصرية أو سمعية.

- **الجمهور المستهدف من هذا الفيلم:** أي المشاهدون.

وما نقصد به في مصطلح "أخلاقيات صناعة الفيلم الوثائقي "هو ضمان توازن القوى ما بين هؤلاء الثلاثة، بحيث يتم وضع قواعد وقوانين وقيم تضمن حقوق ونزاهة كل منهم. بمعنى أن لصانع الفيلم الحق في تقصي الحقيقة وعرض الموضوع بالطريقة التي تناسبه -ضمن الأطر والحدود الموضوعة له-، وللموضوع والأشخاص المعنيين بالقصة الحق في عرض قصتهم بالطريقة التي يرونها صحيحة، وللوثائق والمواد المتعلقة بهذه القضية الحق في إبرازها لِتثبت صحتها، و للجمهور الحق في احترام عقله ومراعاة صحة المعلومات المعروضة له، والحرص على رفع مستوى الجودة والسرد الجذاب وغيرها من الأمور التي تعبر عن احترام عقل ووقت ومال هذا الجمهور.

لكل وثائقي قوانينه الأخلاقية الخاصة به والتي يؤمن ويلتزم بها، من هذه القوانين الشائعة ما بين صناع الأفلام الوثائقية:

١ -على الوثائقي ألا يتدخل أو يؤثر أو يغير في مسيرة وتفاصيل حياة الأشخاص الذين يصورهم ويتناول قضيتهم.

٢ -على الوثائقي ألا يدفع مبالغ نقدية للذين يصورهم مقابل ظهورهم في فيلمه.

٣ -على كل الأشخاص ذوي العلاقة بموضوع الفيلم أن يحظوا بكامل الحرية في كيفية التعريف بأنفسهم وفي عرض قصصهم.

٤ -أن يقوم الوثائقي بإجراء بحث قوي ومتين حول موضوع الفيلم الوثائقي حتى يكون- على الأقل -خبيرًا صغيراً حول الموضوع. وبالتالي سيساعده هذا على تقليل فرص ارتكاب أخطاء جسيمة وأخطاء أخلاقية.

٥ -أن لا يتلاعب الوثائقي بالصور أو أن يقوم بتعديل تصريحات الشخص الذي أجرى معه المقابلة حتى لا تكون مضللة للمشاهد.

٦ -أن يحصل الوثائقي دائماً على إذن رسمي لاستخدام المواد المرئية والمسموعة التي تمتلكها جهات أخرى أو أشخاص آخرين.

٧ -أن يحصل الوثائقي على توقيع كل شخص يظهر في فيلمه الوثائقي على مذكرة أو عقد يوضح موافقته على ظهوره في فيلمه.

٨ -أن يكون الوثائقي متنبهاً ومحترماً للعرف الاجتماعي والعادات والتقاليد للأشخاص الذين سيُظهرهم في فيلمه وللجمهور الذي سيشاهد هذا العمل.

وقد تكون بعض هذه القوانين عائمة وليست محددة ومفصلة. فمثلاً عندما نتحدث عن عدم دفع مبالغ نقدية للأشخاص الظاهرين في الفيلم، فهذا لا يعني بأن الوثائقي لا يمكنه أن يستضيفهم

في مأدبة عشاء على حسابه الخاص، أو أن يهديهم هدايا رمزية من باب المودة والمحبة. لذلك فإن لكل صانع فيلم معاييره الخاصة في كيفية التعامل مع هذه القوانين الأخلاقية.

إن ما نتحدث عنه في موضوع الأخلاقيات يتلخص في كلمة مهمة، ألا وهي "الثقة ."إن ما يسعى إليه مفهوم الأخلاقيات هو محاولة بناء الثقة ما بين صانع الفيلم، والموضوع أو أصحاب القصة، والجمهور. والذي يتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية في الحفاظ على "أخلاقيات صناعة الفيلم الوثائقي "هو غالباً صانع الفيلم. فعندما يشعر الجمهور أو أصحاب القصة بالخداع، فإن ذلك يرجع سببه إلى صانع الفيلم. وإذا شعر صانع الفيلم بأن أصحاب القصة يخدعونه ويضللونه، فوجب عليه أن يقرر حيال الاستمرار في صناعة الفيلم بوضعه الحالي، أو أن يقوم بتوضيح شكوكه وظنونه في الفيلم ليبرئ نفسه من أي مساءلة، أو أن يتجنب كل هذا التحريف والاستغلال وغيرها بأن يتوقف عن الاستمرار في صناعة هذا الفيلم من الأساس. يقول بيل نيكولز، أحد أهم المنظرين المعاصرين في مجال الوثائقيات الحديثة" :إنك مسؤول أمام جمهورك في أن تخبرهم الحقيقة وأن تكون صادقاً. وأن تجعلهم يستوعبون بأن مدى الحقيقة المذكورة في الفيلم مرتبطة بنزاهة صانعه".

○ ○ ○

الكثير من صناع الأفلام الوثائقية يتحسسون جداً من موضوع الأخلاقيات، وذلك من منطلق إدراكهم لأهميتها. فهم يرون أنفسهم يمثلون القصة أو الأشخاص الذين يتناولونهم في فيلمهم، وبالتالي يزيد عبء الإحساس بالمسؤولية لديهم. فتجدهم دائمي البحث والتقصي للتأكد من صحة المعلومات والأشخاص والوثائق والمواد. بل وتجدهم دائمي التساؤل حول مدى الاقتراب المسموح به من الموضوع أو الأشخاص .How close is too closeوتجد الخلاقين منهم حريصين على تحمل المسؤولية في ما يفعلونه، وذلك عن طريق تكريم العقل بأكبر قدر ممكن من خلال تقديم ادعاءات دقيقة وحقائق موثوقة. ومحاولة عدم إثارة المشاعر بشكل مبالغ فيه، أو الدعوة لردة فعل معينة من الجمهور تخدم أجندتهم الخاصة، وإنما ترك كامل الحرية لهم للتفكير في القصة ومن ثم الحكم عليها.

ومن الأسئلة المهمة التي تطرح في مجال صناعة الأفلام الوثائقية هي: من الذي يعطي صانع الفيلم الحق في تناول قصص هؤلاء الأشخاص في فيلمه؟. والجواب على هذا السؤال بكل بساطة: هم هؤلاء الأشخاص أنفسهم. فهم ليسوا ممثلين محترفين، ولا يتقاضون أجراً على ظهورهم، وسمحوا لهذا الوثائقي أن يقوم بتصويرهم بعد الجلوس معه والاستماع لعرضه وأهدافه ورسالته والأسلوب الفني الذي سيتخذه. وبهذا يكون قد اتفق الطرفان على الخوض في هذا المشروع سوية وبكامل إرادتهما العقلية والاعتبارية، وقد يقومان بصياغة عقد ما بينهما فيه كامل التفاصيل والبنود والشروط ليقوموا بالتوقيع عليه.

يجب أن يستشعر صانع الفيلم الوثائقي بأنه صاحب رسالة، وأنه يجب أن يخدم مجاله بضمير حي. وذلك بأن يجعل الموضوع وأصحاب القصة والجمهور نصب عينيه دائماً، ومن قبلهم مراقبة الله سبحانه وتعالى. وأن أهميتهم تفوق أهمية كسب لقمة العيش. فما يقوم به صانع الفيلم

الوثائقي مرئي ومسموع بالقلوب قبل العقول، فما يفعله قد يؤثر في مجرى أحداث وأمور جوهرية قد تضر أو تنفع أحدهم. ولابد له أن يعقد عقداً خفياً بينه وبين موضوعه وجمهوره بأنه سيتحرى الدقة والعدل والإنصاف والأمانة والالتزام بالمثل العليا في فيلمه، وذلك بناء على إيمانه بأن كفة ميزان الأولوية لابد أن ترجح عند الموضوع والجمهور. فالتضحيات النابعة عن نية سليمة لن تُنسى، بل سوف تكون ظاهرة في الفيلم وواضحة وضوح الشمس، وستقابل بالتقدير والاحترام بلا شك وإن تأخر حدوثه.

○ ○ ○

إن من أهم التحديات التي عشتها خلال مسيرتي في صناعة الأفلام الوثائقية هو التعامل مع اعتراض واستياء الأشخاص الذين صورتهم من عرض بعض التصاوير في الفيلم، حتى بعد أن تمت موافقتهم على تصويرهم في حينها. وتعلمت من خلال تجربتي المتواضعة بأن رضا هؤلاء الأشخاص أهم بكثير من قوة الفيلم، مهما بدا لي الفيلم مكتملاً ومؤثراً بهذه المشاهد التي اعترضوا عليها. فقد كنت شديد الحرص على ألا أجرح الثقة التي وضعوها على عاتقي.

في إحدى المرات، قام أحدهم بالاعتراض الشديد على جزئيته في أحد الأفلام التي أخرجتها والتي كانت تعرض مآسيه وأحزانه. وكان أسلوبه في الهاتف هجومياً جداً ومتوعداً برفع القضايا وتوكيل المحامين من أجل هذا الأمر. بعد التفكير في الأمر لوهلة، وضعت نفسي مكان هذا الشخص الذي كان يرى نفسه مظلوماً، وأنه لم يتم تناول قصته بالشكل الذي يرضيه ويشفي غليل حزنه وألمه. فطلبت منه أن أحضر كضيف إلى منزله لأستمع إلى رأيه وطلبه، ووعدته بأن أحقق مطالبه مهما كلفني الأمر. كانت ردة فعلي سبباً في تهدئته، بل في تحسن أسلوبه معي. فعندما حضرت إلى منزله واعتذرت له عما بدر مني وشرحت له وجهة نظري، استمعت إلى سبب اعتراضه وطلبه، وكان النقاش ودياً وهادئاً جداً. وفي نهاية النقاش اتفقنا على التعديلات التي يريدها ووعدته بأن أقوم بتعديلها، وأن آتي إلى منزله مرة أخرى بعد عدة أيام لعرض النسخة الجديدة عليه. وطلبت منه أن أصيغ ورقة اتفاقية بسيطة فيها كامل التعديلات التي أجريتها وأني سألتزم بها ليوقع عليها، فقط ليطمئن قلبه.

وغيرها الكثير من المواقف المتشابهة التي تم حلها بهذا الأسلوب الهادئ. وكنت في كل مرة أتفهم غضبهم و دمامة الأسلوب منهم؛ لأنهم في النهاية يرونك الشخص الذي وضعوا ثقتهم به، ويتوقعون منك أن تتحملهم وأن تستجيب لطلبهم. فأنت الذي تحمل بيدك فرصة إبراز قصصهم وهمومهم، ويتوجب عليك في المقابل أن تحتضنهم بكل هدوء وتفهُّم وأن تستجيب لهم.

كيف تصبح وثائقياً؟

الوثائقي -أو صانع الفيلم أو مخرجه -هو المسؤول بشكل شبه مطلق عن هذا العمل، والذي يقوم بإدارته خلال جميع مراحله. وهو الذي يقوم بتحويل النص أو القصة الواقعية إلى عمل فني مرئي متحرك يضحكنا ويبكينا ويلهمنا ويغير من قناعاتنا وآرائنا وأفكارنا ووجهة نظرنا. وهو الشخص صاحب الرؤية والتصور الذي يسعى كل أعضاء الفريق على تحقيق ما في خياله.

يقوم الوثائقي بمهمة صعبة وهي "خلق المشهد ."ولهذا المشهد مكونات كثيرة وتفاصيل معقدة من الصعب تنفيذها. ففيها الجسم المراد تصويره بكل تفاصيله -شخص أو عدة أشخاص أو أماكن -بالإضافة إلى الصوتيات والإضاءة والحركة والكثير غيرها. ومن أبرز مهام الوثائقي أن يدمج كل هذه المكونات لتخرج إلينا برسائل محددة ينبغي عليها أن تكون مفهومة ومرتبة ومؤثرة. ولكي يتمكن من فعل ذلك لابد له من أن يتحلى بعدة مواصفات مهمة:

١ -**الدهاء:** ولا يأتي هذا إلا إذا كان موقناً وملماً بما يريده بالضبط. فيستطيع حينها أن يتخذ قرارات مهمة ومناسبة، وأن يكون ذا عقلية متفتحة وسريعة البديهة وواسعة الحيلة ليأتي بحلول إبداعية وصحيحة.

٢ -**الدقة:** في كل النواحي سواء من ناحية النص والتخطيط والإعداد والتصوير والمونتاج، والدقة تعني أن يحرص على جودة وصحة كل مكونات الفيلم.

٣ -**الإبداع:** أن يفكر خارج الصندوق، وأن يبحث عن أجمل وأفضل الطرق لعرض قصته وإنتاجه.

٤ -**الشغف:** أن يحب مجال عمله، وأن يبذل الغالي والنفيس من أجله.

٥ -**العناد:** وهي من أهم المواصفات التي يجب أن يتحلى بها الوثائقي في تحقيق رؤيته وتصوره، وهي الصفة هي التي تضفي التماسك والاستمرارية على العملية بأكملها. ولا نعني بهذه الصفة ألا يكون مستمعاً جيداً ومتقبلاً للآراء والاقتراحات، بل يجب أن يحرص على أن يكون ذا عقلية منفتحة ومرنة، ولكن بحدود.

٦ -**الخبرة:** وذلك بأن يخوض تجارب كثيرة في هذا المجال، وأن يتعلم كل ما يستطيع في جميع جوانب العمل سواءاً الإبداعية والتقنية والفنية والإدارية والتسويقية وغيرها.

○ ○ ○

بعد أن فهمنا مهمة الوثائقي وأهم مواصفاته، لابد أن نجيب على السؤال الأهم: كيف تصبح وثائقياً؟. فالكثيرون لا يعلمون الوسيلة المثلى ليصبحوا صناعاً للأفلام الوثائقية وكيفية تعلم هذه الصنعة. هناك وسيلتان لتعلم مجال صناعة الأفلام الوثائقية، ولكل وسيلة إيجابياتها وسلبياتها. ولكل شغوف بالمجال حرية الاختيار في أن يسلك المسار الذي يراه مناسباً:

١ -**الدراسة:** إن المدارس والمعاهد التي تعلم صناعة الأفلام بشكل عام والوثائقيات بشكل خاص منتشرة في جميع أنحاء العالم. وبإمكانك الحصول على معلوماتها ومواقعها ووسائل التواصل معها عبر الإنترنت. إن من إيجابيات هذه المدارس هو وجود منهج نظري وعملي مكثف وعلى يد معلمين ومدربين محترفين. فستكون فرصة جيدة لتعلم العلم من مصدره وطرح الأسئلة والاستفسارات متى ما رغبت. وأغلب هذه المعاهد والمدارس تقوم بإعطاء واجبات ومشاريع مكثفة بشكل أسبوعي بحيث تجعلك منشغلاً طوال الوقت على إنجاز هذه المشاريع بالتعاون مع أقرانك من الطامحين أمثالك. وبالتالي ستتعلم بشكل أسرع.

لكن سلبياتها هو أنها مكلفة جداً، ولن تتمكن من الحصول على بعثة دراسية للالتحاق بها. ومن سلبيات هذه المدارس أيضاً هي أنها تقوم بتدريسك)منهجاً (شبه ثابت في أسلوب صناعة الأفلام، وقد لا تقبل بعضها أن تجتهد أسلوباً جديداً من عندك والذي قد يحول دون حصولك على الشهادة منها، مما قد يقتل الإبداع عندك.

٢ -التعلم الذاتي: الكثير من الوثائقيين بدؤوا بتعلم الصنعة بأنفسهم، إما بالتعلم على يد صناع أفلام آخرين، أو بشغر الوظائف في جهات إعلامية فهموا منها أصول الصنعة، أو قرؤوا الكتب وشاهدوا الدروس الموجودة على اليوتيوب ومارسوا ما تعلموه إلى أن أتقنوا الأمر وتعلموا من أخطائهم. فلا يتوفر لأي أحد أن يحصل على فرصة الدراسة في المدارس والمعاهد المتخصصة في صناعة الأفلام الوثائقية.

إن لهذه الطريقة بعض الإيجابيات والسلبيات. فإيجابياتها بأن مصادر التعلم دائما متوفرة وفي متناول اليد على الإنترنت والكتب. ففيها الكثير من الدروس والتجارب والوسائل المجانية التي يمكنك التعلم منها سواء بالعربية أو الإنجليزية. وهنا أنت حر نفسك، فليس هناك من يقوم بتقييدك بأسلوب معين أو الضغط عليك لإتمام منهج ما.

ولكن من سلبيات هذه الطريقة هو عدم وجود معلِّم ترجع إليه إذا طرأ عليك أي سؤال أو استفسار، وستعاني مشقة البحث عن الأجوبة بنفسك من المصادر المتوفرة عندك. وفي بعض الأحيان وجود المُعلّم مهم، فهو يتابع تقدمك ويطلب منك إنجاز المهمات ويضع لك أوقاتاً صعبة للتسليم لبذل المزيد من الجهد، ويقوم أيضاً بمراجعة عملك وإبداء الآراء والنقد والاقتراحات مباشرةً.

من السلبيات أيضاً أنه قد تواجه الكثير من المثبطين حولك والمستهينين بما تفعله. فلن يأخذوا ما تفعله بجدية طالما أنك لا ترتاد مدرسةً أو جامعة، في حينها سيظنون بأنك تضيع وقتك. كما أن بعض الأشخاص مثلي لا يمكنهم أن ينجزوا المهمات أو أن يتعلموا دون ضغط من أحد يتابعهم و يؤنبهم إذا تأخروا أو أخطؤوا. فهؤلاء لا تنفع معهم الحرية الزائدة، فإن لم يتم متابعتهم بحزم فإنهم لن ينجزوا أو يتعلموا شيئاً. وهذا ما لن تجده في التعلم الذاتي.

على الرغم من هذه السلبيات إلا أن التعلم الذاتي يشبه تلك الحقبة الزمنية التي عاشها صناع الأفلام في مطلع عصر هذا الفن، كستينيات القرن الماضي وما قبله. حيث كان لكل صانع أسلوبه وطريقته الخاصة التي يبنيها بنفسه بالتجربة والخطأ، وبالتالي يصبح عمله فريداً ومختلفاً وجديداً.

○ ○ ○

أذكر بأن أجمل ساعة عشتها في تعلم صناعة الأفلام الوثائقية هي عندما حضرت ندوة للمخرج الوثائقي الألماني ويرنير هيرزوق Werner Herzogفي مهرجان شيفيلد للأفلام الوثائقية في بريطانيا عام ٢٠١٩م، والذي لطالما استلهمت من مشاهدة أفلامه الرائعة كـ "كهف

الأحلام المنسية "Cave of Forgotten Dreams"و"الناس السعداء "Happy People"و"في أعماق الجحيم ."Into the Inferno

في الحقيقة بدأت حياتي تتغير فعلاً عندما وقفت في ذلك الصف الطويل قبيل دخول الندوة، تأملت في وجوه المصطفين وهم متشوقون ومتحمسون للاستماع لخبراته. عندما جلست في القاعة، وقف المقدم أمامنا وطلب منا الترحيب بهذا المخرج ذي الشعر الأبيض والملامح المليئة بتجاعيد معارك الحياة، الذي دخل بكل تواضع وسط عاصفة هوجاء من التصفيق. عندما اقترب من مقعده المخصص له كان معطفه في يده، ولم يعرف أين يضعه فرماه على الأرض بجانبه بابتسامة ساخرة، في تلميح منه بأن المظاهر لم تعد تهمني، فقد عشت الكثير وواجهت الكثير وتعلمت الكثير لدرجة أنني تخطيت مرحلة التصنع.

تحدث إلينا لمدة ساعة كانت كفيلة بأن تجعلني لا أرى غيره ولا أسمع إلا صوته ولا أعيش إلا خبراته. كانت مليئة بالخلاصة مما تعلمه، والأجوبة على تساؤلات جوهرية كانت تشغل عقلي منذ سنوات طويلة. خرجت من هناك وأنا في غيبوبة من الذهول والابتسامة المضحكة وفي أذني صدى صوته، ولم أصحُ من هذه الغيبوبة إلى الآن. لم أتخيل أن أعيش ساعة ثمينة حقيقية غنية وثرية بهذا الشكل (بإمكانك أن تجد الفيديو على اليوتيوب).

لماذا أخبرتك بهذه القصة؟ لأنني أريد أن أقول لك بأن أفضل مكان لتعلم صناعة الوثائقيات هو من خبرات الأشخاص الذين زاولوا هذا المجال لسنوات طويلة. ومن أولئك الحقيقيين الذين صنعوا أفلاماً فريدة ومختلفة، اختاروا أن يكونوا أنفسهم وأن يعيشوا شغفهم حين صنعوها. لم يلتفتوا للمظاهر ولا لأنواع الكاميرات الفارهة ولا للأدوات الاحترافية المبالغ فيها ولا للمؤثرات البصرية. بل أحبوا القصة وأحبوا أن يروووها لنا.

إذا أردت أن تتعلم من أفواه هؤلاء الوثائقيين العالميين وخصوصاً في ظل صعوبة وصولنا إليهم، فعليك بالبحث في اليوتيوب عن أسمائهم. ستجد الكثير من المحاضرات والندوات واللقاءات التي ظهروا فيها وتحدثوا من خلالها عن تجربتهم في صناعة فيلم معين أو بشكل عام في مسيرتهم السابقة. بل ستجد بأن المهرجانات السينمائية الوثائقية وغيرها من المناسبات والمؤتمرات عن هذا المجال تقوم برفع كل ندواتها ومحاضراتها على اليوتيوب ليستفيد منها الجميع.

○ ○ ○

هذه هي أبرز الطرق لتعلم صناعة الأفلام الوثائقية، فاختر منها ما يناسبك ويتماشى مع طموحاتك وظروفك. قد تضطر إلى أن تتعلم المجال ذاتياً ولكنك في نفس الوقت تريد دراسة تخصص جامعي قريب من مجال صناعة الأفلام الوثائقية أو أي تخصص آخر قد يعينك في مجال شغفك. بإمكانك حينها أن تدرس تخصص الإعلام أو الصحافة أو التسويق أو الإدارة.

إن دراستي في تخصص الهندسة الصناعية ساعدني كثيراً في مجال صناعة الأفلام، حيث إن هذا التخصص يمدك بكافة الأدوات المهمة للرفع من جودة أي مشروع والتقليل من تكاليفه في آن واحد. وهذه واحدة من المهام التي أقوم بها عند إخراج وإنتاج الأفلام الوثائقية والأفلام التجارية

والدعائية. فالأدوات التي تعلمتها من تخصص الهندسة الصناعية سهلت عليّ الكثير من المهام في مشاريعي وساعدتني على رفع جودتها وخفض تكاليفها وإدارة جميع مراحلها باحترافية. فمجال الهندسة إنما هو عبارة عن)عقلية (حل المشكلات بالطريقة الأمثل والأنجع، وهذا ما أحتاجه دائماً في صناعة الوثائقيات.

الجزء العملي

بعد أن فهمنا -بشكل كاف -الكثير من الأمور المتعلقة بالوثائقيات والوثائقي، فقد حان الوقت أن نبدأ بالتطرق للجزء العملي من عملية صناعة الأفلام الوثائقية. سوف نتناول في الفصول القادمة الأمور التي ستساعدك -كشغوف في صناعة الأفلام الوثائقية -في بناء قصة فيلمك، ومن ثم الإعداد له وإنتاجه، وفي الآخر توزيعه ونشره. والذي آمل أن يكون معيناً وموجهاً لك في مسيرتك الوثائقية. ولا تنس بأن كل ما سيتم ذكره هو عبارة عن أفكار وطرق تمت ممارستها من قبل، قد تصيب معك بعضها وقد لا تصيب. فلكل وثائقي أسلوبه وطريقته الخاصة في إنتاج فيلمه، فاحرص على العثور على أسلوبك الخاص في تنفيذ وإخراج أفكارك.

الفصل الثالث
الفكرة

"الأمر الغريب في الوثائقيات هو أنك لا تختار موضوعاتك حقًا، بل هي تأتيك لتقض مضجعك".
بيبان كيدرون Beeban Kidron

إن لكل فيلم وثائقي فكرة رئيسية Theme، ويعتبر بمثابة الإجابة على كل من يسأل عن فحو موضوع الفيلم. فهو الذي يخبرك إن كان فيلماً عن الفقر، العنصرية، مرض معين، قصة فنان، قصة نجاح وإلخ. وإن توفرت الفكرة الرئيسية وكانت واضحة منذ الوهلة الأولى فإن هذا سيختصر الكثير من الجهد على الجمهور في محاولتهم لفهم الموضوع. وأيضاً إذا كان واضحاً لصانع الفيلم نفسه فإنه سيساعده كثيراً في التركيز خلال فترة إنتاج الفيلم.

فإن كان فيلماً عن الفقر فإنه لن يضيع وقته في الانتقال لمواضيع أخرى قد تشتته خلال الإنتاج. فصانع الفيلم الوثائقي يتعرض خلال إنتاجه للكثير من المغريات والقصص الجديدة التي قد يصادفها في طريقه. لذلك فإنه من المهم أن يكون الموضوع أو الـ Themeواضحاً له منذ البداية حتى لا يفقد تركيزه ومساره.

الأفكار التي تدور حولها قصص الأفلام الوثائقية كثيرة جداً، فهذا المجال متجدد دائماً ومتغير. وفيه مساحة كبيرة من المرونة التي تسمح لمستوى عالٍ من الإبداع في الأفكار وأسلوب العرض والأدوات المستخدمة فيه. فمجال الوثائقيات لا يعتمد على الإبداع في تأليف القصة فقط، وإنما على الإبداع في تنظيمها وأسلوب عرضها. الأمر يتعلق بالمعلومات وطريقة سردها، فلا يكفي أن تكون القصة قوية. فالسرد السيىء وأسلوب العرض الممل في الفيلم كفيل بأن يدمرها، وحينها لن تنفع القصة قوتها، والعكس صحيح.

○ ○ ○

عندما نتحدث عن مصطلح "فكرة الفيلم الوثائقي"، فإنه قد يكون:

١ -استقصائي :Investigative

أي عبارة عن تقصي حالة معينة)اجتماعية أو اقتصادية أو طبية وإلخ.. (في نطاق منطقة معينة وزمن معين وشريحة معينة. وبالتالي سيقوم صانع الفيلم باللقاء بخبراء ومستشارين وتقنيين، وأيضاً بأناس عانوا من هذه القضية وبآراء أشخاص يؤيدون هذه القضية أو يعارضونها. وسيقوم أيضاً بالاستعانة بالتصاوير الواقعية لأبرز الأحداث التي حصلت في هذه القصة، وأيضاً بتجسيد بعض الأحداث بطريقة فنية إن لم يجد تصاوير واقعية كافية تدعمه في قصته.

تم إنتاج الفيلم الوثائقي الأمريكي "لعبة العاج "The Ivory Gameعام ٢٠١٦م، على يد المخرجَين كِييف ديفيدسون Kief Davidson و ريتشارد لادكاني.Richard Ladkani ويعرض الفيلم قضية تجارة العاج الذي أصبح مصدر قلق عالمي، وعالم مظلم مليء بالفساد المتجذر ما بين الصيادين الأفارقة والتجار الصينيين. حيث تقوم هذه العصابة بذبح الفيلة الأفريقية

بأعداد كبيرة سعياً وراء اقتلاع العاج منها -أو ما يسمونه بالذهب الأبيض -وبيعه في السوق السوداء في الصين وما جاورها، والتي تعتبر غير قانونية عالمياً.

فيلم "لعبة العاج "The Ivory Game

أمضى المخرجان ديفيدسون و لادكاني مع طاقمهما سراً مدة ١٦ يوماً في توثيق هذه العصابات التي تقتل الفيلة من أجل أنيابها، بالإضافة إلى توثيق عمليات المداهمة للقبض على هذه العصابات. والذي كان على رأسهم شيتاني Shetaniالذي كان أشهر الصيادين غير الشرعيين في المنطقة، والمسؤول عن مقتل ما يزيد عن ١٠ آلاف فيل. كما يقوم الفيلم بعرض تفاصيل حياة الجهات الرسمية التي تقوم بحماية الحياة البيئية في هذه المناطق، مع التطرق إلى أبرز التحديات التي يواجهونها. وتم تصوير الفيلم في تنزانيا وكينيا وزامبيا، بالإضافة إلى هونج كونج في الصين وفيتنام.

تم صناعة الفيلم بأسلوب وثائقي مشوق جداً ويعرض الكثير من المعلومات المفجعة والتصاوير الميدانية المؤلمة، وتم تناول الموضوع بشمولية عالية. وأعتبره شخصياً من أفضل الأفلام الوثائقية الاستقصائية حول هذه القضية. ليس بسبب احترافيته في تناول الموضوع فحسب، بل أيضاً بسبب روح المغامرة والاستقصاء لدى طاقم الإنتاج. حصد الفيلم ٨ جوائز عالمية كان أغلبها من المهرجانات التي تدعو للسلام ولحماية الحياة البرية والبيئية.

٢ -سيرة شخصية :Biography

وهو أن يتناول الفيلم تفاصيل قصة نجاح أو فشل لشخص أو عدة أشخاص -أحياء أو متوفيين-. سيقوم صانع الفيلم خلالها باللقاء بهم أو بذويهم ومن تربطهم بهم علاقة وطيدة. مع الحصول على تصاوير واقعية وصور فوتوغرافية لأهم الأحداث التي جرت معهم، أو قد يقوم بإعادة تمثيل بعض الأحداث -دوكيودراما -بناء على الأحداث الواقعية إن تطلب الأمر ذلك.

إن "الرقصة الأخيرة "The Last Danceهو عبارة عن سلسلة وثائقية رياضية أمريكية تتكون من ١٠ حلقات طويلة، تم إنتاجها عن طريق ESPNبالاشتراك مع .Netflixوتم بثه في الفترة من ١٩ أبريل إلى ١٧ مايو ٢٠٢٠م. تدور أحداث السلسلة حول لاعب كرة السلة الأمريكي مايكل جوردن Michael Jordanمع التركيز على أبرز المواسم التي لعب فيها مع فريق شيكاغو بولز من عام ١٩٨٤م إلى عام ١٩٩٨م وبالتحديد موسمه الأخير. تدور أحداث السلسلة أيضاً حول لاعبين بارزين آخرين كاللاعب سكوتي بيبين Scottie Pippenودينيس رودمان Dennis Rodmanومدربهم فيل جاكسون .Phil Jackson

قدمت هذه السلسلة نظرة متعمقة لتاريخ فريق شيكاغو بولز في زمن التسعينات من خلال عرض الكثير من التصاوير التي لم تعرض من قبل، وعبر إجراء اللقاءات مع أكثر من ١٠٠ شخص مقرب من الفريق ومن الشخصيات الرئيسية. تعتبر هذه السلسلة الوثائقية من أكثر الأفلام عمقاً وتوسعاً في تناول السيرة الذاتية لأبطالها. ويرجع سبب ذلك إلى الاحترافية العالية في إخراجه

وتحريره وتسلسله. بالإضافة إلى المواد البصرية والسمعية والوثائق والمعلومات الهائلة والعميقة التي تم عرض جميعها في موجة سيمفونية متناغمة من الأحداث.

هناك بعض الأفلام الوثائقية -وخاصة تلك التي تعرض السير الشخصية -التي أعتبرها قد وصلت للكمال التام في عرض تلك السيرة. وأنه يستحيل قطعاً أن يتم تناولها بأسلوب أفضل منها في المستقبل. ووجدت هذا متحققاً في عدة أفلام وثائقية ومن بينها هذه السلسلة. والتي أستطيع أن أجزم بأن هذه المادة الوثائقية هي القمة التي يستحيل التنازع عليها في قصة مايكل جوردن ورفاقه في فريق شيكاغو بولز في زمن الثمانينيات والتسعينيات.

فيلم "الرقصة الأخيرة "The Last Dance

٣ -تعليم وتثقيف :Educational

وهو أن يقوم صانع الفيلم بتثقيف المشاهد حول موضوع علمي أو طبي أو غذائي أو هندسي أو بيئي أو تاريخي أو تراثي أو فلكي وإلخ... والذي يهدف من خلاله أن يضيف إلى حصيلة ثقافتنا معلومات جديدة ومفيدة، لا أن يثير قضية أو مشكلة.

تسعى الأفلام الوثائقية من هذا النوع إلى إضافة عنصر تشويقي وجذاب يجعل من محتواها مرغوباً ومتقبلاً بشكل أكبر لدى المشاهد. حيث إن المواد التعليمية قد تكون مملة في مظهرها إذا تم تناولها بطريقة أكاديمية بحتة. رغم أن الكثير من الوثائقيات يتم صنعها بهذا الأسلوب الرتيب، إلا أن التي تبرز منها والتي تحظى بإقبال أكبر هي التشويقية والترفيهية الممتعة.

وهذه الطريقة هي التي تتخذها القنوات الوثائقية المعروفة كقناة ديسكفري وناشيونال جيوغرافيك في صناعة محتواها. فتجد نفسك منجذباً طوال الوقت لما يتم عرضه فيها. ولعلم هذه القنوات بالتحديات التي تواجهها في سبيل بيع محتواها للمشاهد المتأثر بأفلام السينما والدراما والمسلسلات، ولإيمانها بأهمية نشر المواد التعليمية والتثقيفية خصوصاً للمشاهد الصغير، فتجدها تبذل الكثير من الجهد والإبداع والأموال لترتقي بمستوى أسلوب عرضها لمحتواها للمستوى الذي يُرضي هذا المشاهد الصعب.

إن الأفلام التي تمثل هذا النوع كثيرة جداً، وغالباً ما تكون على هيئة سلسلة من الحلقات ليتسنى عرض كافة الجوانب المتفرعة والمتشعبة من الموضوع. ومن أهم المواضيع التي يتم التطرق لها في هذا المجال هو مجال الفضاء. كمسلسل "الكون "Cosmosالذي يقدمه حالياً العالم الفلكي الفيزيائي الأمريكي نيل تايسون .Neil deGrasse Tyson حيث بدأ إنتاج هذا المسلسل الوثائقي في نسخته الأولى عام ١٩٨٠م لمقدم آخر والذي كان يهدف إلى جلب القوانين الفيزيائية والمعلومات المشوقة عن الفضاء لمشاهد التلفزيون العادي، في محاولة لسد الفجوة بين المجتمع الأكاديمي وعامة الناس. وفي نسخته الحالية عام ٢٠١٤م زادت وسائل التشويق فيه كوضع المقدم في مركبة فضائية تأخذنا إلى عوالم بعيدة وعجيبة في الفضاء الشاسع، بالإضافة إلى استخدام الكثير من التقنيات البصرية الثلاثية الأبعاد لمحاكاة الواقع البعيد.

مسلسل "الكون "Cosmos

مسلسل "أعظم أحداث الحرب العالمية الثانية بالألوان "Greatest Events of World War II in Color

ومن المواضيع التي تتطرق لها هذه الأفلام التعليمية هو مجال التاريخ. وكثيرة جداً تلك الوثائقيات التاريخية التي تسعى لترسيخ وتثبيت الأحداث ونشرها وتعليمها للناس. وهناك الكثير من الوسائل التشويقية التي يتخذها صناعها لجذب اهتمام المشاهد العادي، كالمسلسل الوثائقي "أعظم أحداث الحرب العالمية الثانية بالألوان "Greatest Events of World War II in Colorالذي أنتجته نتفلكس. على الرغم من أن أسلوب طرحه تقليدي ومشابه للوثائقيات الرتيبة إلى حد ما، إلا أن اللمسة الفنية التي تم إضافتها وذلك بتلوين التصاوير الأرشيفية القديمة أعطاها رونقاً جديداً وعامل جذب مختلف. حيث جعلتك تتخيل تفاصيل الحياة القديمة وتراها ملونة على غير العادة مما قد يجعلك تشاهده إلى نهايته فقط لتعيش التفاصيل والألوان التي لم تعهدها من قبل.

٤ ـدعاية :Commercial

وهي الأفلام الوثائقية التي تهدف إلى تحسين صورة جهة معينة أو شركة أو منظمة. فهي غالباً ما تحوي رأياً أحادياً عن هذه الجهة، وتكون إيجابية دائماً. يتم فيها ذكر محاسنها وإنجازاتها وعرض بعض الأرقام والإحصاءات التي تدعم تلميع صورتها وتغيير آراء معارضيها والمشككين بها. وغالباً ما تكون هذه الأفلام تجارية بحتة. بحيث يكون تمويلها من قبل الجهة نفسها، ويقوم صناع الأفلام بقبول هذه المشاريع للكسب المادي وبناء علاقة وطيدة مع هذه الجهة، أو لإيمانهم الفعلي بها وبدورها وأثرها على المجتمع.

بعض الأفلام الوثائقية تكون وثائقية المظهر في خارجها ولكنها دعائية الهدف في أساسها. وعند مشاهدتك لها تظن بأنك تشاهد فيلماً مليئاً بالقصص العاطفية والمواقف المؤثرة والأسلوب القصصي الوثائقي المعهود، ولكنك قد لا تتنبه إلى أن الجهة المنتجة تهدف إلى تحسين صورتها وزيادة المؤيدين لها وغيرها من الأهداف الخفية.

إن المثال الأقرب لهذا المفهوم هو الفيلم الوثائقي "العام الأخير "The Final Yearالذي أُنتج عام ٢٠١٧م، والذي يعرض أهم الأحداث والوقائع التي حصلت في السنة الأخيرة من إدارة باراك أوباما Barack Obama للبيت الأبيض. يقوم الفيلم بطريقة تتسم بالقرب الشديد من الرئيس وبعض وزرائه وسفرائه وموظفيه بعرض أهم القرارات التي اتخذت في نهاية فترته الرئاسية الطويلة، وأهم الأحداث المتعلقة بالسياسة الخارجية، مع عرض تفاصيل اجتماعاتهم وطريقتهم في إدارة الأمور.

فيلم" العام الأخير The Final Year"

المظهر الخارجي للفيلم يعطيك إشباعاً جيداً لفضولك في معرفة ما يدور في دهاليز هذه الإدارة الأشهر في العالم، ويعطيك جولة استقصائية عن الحياة في البيت الأبيض والضغوطات التي يواجهها الرئيس وفريقه ونوع الحياة التي يعيشونها. ولكنك قد تغفل عن الهدف الأسمى من الأمر، وهو رغبة منتجي وصناع الفيلم في إبراز صورة نزيهة وإيجابية عن هذه الإدارة وعرض أبرز القرارات السياسية ـوخاصةً الخارجية ـالتي حصلت. وكأنهم يحاولون تثبيت هذه السياسات وحماية هذا الإرث من التفكك من قبل الإدارة القادمة.

الفيلم لم يعرض أحداث الانتخابات الرئاسية للرئيس التالي دونالد ترمب، بل لم يذكر اسمه مطلقاً. حيث وضع جل تركيزه على الأعمال الداخلية لإدارة أوباما وهي تستعد لترك السلطة بعد ثماني سنوات. فالرئيس أوباما كان له حضور قوي هنا، لكن لم يكن حضوره مبالغاً فيه. حيث كان صانع الفيلم جريج باركر Greg Barker يتابع في الغالب وزير الخارجية جون كيري John Kerry، وسفيرة الأمم المتحدة سامانثا باورSamantha Power ، ونائب مستشار الأمن القومي وكاتب الخطابات بن رودس Ben Rhodes أثناء تعاملهم مع المشاكل والأزمات في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك النمسا والكاميرون وتشاد ونيجيريا وفيتنام واليابان وجرينلاند. وقام المخرج باركر بإظهارهم جميعًا كأشخاص محسوبين ومثقفين ولائقين، بل وحتى مثاليين.

٥ -تجربة :Experience

والذي يعرض تجربة عاشها شخص أو مجموعة من الأشخاص، ويكون محدوداً بفترة زمنية معينة ومهمة محددة. يسعى هذا النوع إلى توثيق هذه التجربة ومحاولة عرض كل تفاصيلها والعقبات التي واجهها أبطالها. ويكون الهدف منها أن يكون ملهماً ومثالاً يحتذى به، أو أن يكون كاشفاً للحقائق وموثّقا لنتائجها. قد تكون التجربة عبارة عن رحلة استكشافية لمجموعة من العلماء، أو التحقيق في قضية جنائية، أو تجربة شخص مع مرض فتاك، أو توثيق قصة شخص ما يقوم بتنفيذ مهمة صعبة كتسلق جبال مرتفعة أو الوصول للقطب الشمالي وغيرها من التجارب.

من أشهر الأفلام الوثائقية الحديثة التي تعرض تجربة مستحيلة وذات خطورة مرعبة لأحد متسلقي الجبال في تسلقه لجدار "إل كابيتان "El Capitanالجرانيتي في منتزه يوسمايت الوطني Yosemite National Parkفي كاليفورنيا الذي يبلغ ارتفاعه ٩١٤ متراً هو فيلم "الحر المنفرد "Free Soloالذي عُرض عام ٢٠١٨م. الفيلم من إنتاج ناشيونال جيوغرافيك ومن إخراج الزوجين إليزابيث تشاي Elizabeth Chaiوجيمي تشين Jimmy Chinاللذين اشتهرا بأفلام وصور فوتوغرافية تتعلق بالجبال والتسلق والأماكن الخطرة.

الأمر المميز في هذه التجربة هو أن الكثيرين قد قاموا بتسلق هذا الجدار الجبلي الشاهق منذ الخمسينيات الميلادية، ولكن أغلب التجارب كانت تتم بالاستعانة بتقنيات التسلق المضمونة كالمثقاب والحبال والخيم المعلقة وغيرها من وسائل السلامة الشخصية، وكانت العملية تستغرق عدة أيام للوصول للقمة. قد تم صناعة فيلم وثائقي عام ٢٠١٧م باسم "جدار الفجر The Dawn Wall"عن المتسلقين الأمريكيين تومي كالدويل Tommy Caldwellوكيفين جورجسون Kevin Jorgesonالذي استغرق تسلقهما قرابة الـ١٩ يوماً. وقد قاما باستعمال كافة وسائل السلامة ووسائل التسلق التقليدية التي يمكن أن تتخيلها. ونادراً ما قام أحدهما بتسلق هذا الجدار دون الاستعانة بأي وسيلة تسلق سوى اليدين والرجلين. بل وأن من كان يقوم بهذه الطريقة الحرة كان يرتدي الباراشوت على الأقل حتى يفتحها إذا وقع في منتصف الطريق.

ما تميزت به تجربة المتسلق العالمي أليكس هونولد Alex Honnoldفي الفيلم "الحر المنفرد "Free Soloهو تسلقه لهذا الجدار بدون الاستعانة بأي حبال أو أية وسيلة سلامة تذكر بما فيها الباراشوت. لم يكن يرتدي إلا ملابسه العادية والحذاء المخصص للتسلق وسلة بودرة

بيضاء معلقة في حزام الوسط من الخلف للتقليل من رطوبة أصابعه وزيادة الاحتكاك فيها. ولم يتخذ أي إجراء احترازي في حال وقع في منتصف الطريق، وهذا ما جعل الفيلم حابساً للأنفاس طوال مشاهدته.

والأمر المدهش للغاية هو أن عملية التسلق كاملة قد استغرقت قرابة الأربع ساعات فقط. والذي أُعتبر بعدها ألكس كأول متسلق منفرد حر بمعنى الكلمة لهذا الجدار الصعب، والذي تخطى بجدارة التجربة التي كانت مبهرة في حينها للمتسلقين في الفيلم السابق ذكره "جدار الفجر The Dawn Wall".

فيلم" الحر المنفرد Free Solo"

حصد الفيلم أكثر من ١٠ جوائز من أشهر وأقوى المهرجانات السينمائية العالية على الإطلاق، كالأوسكار وجوائز الاكاديمية البريطانية للأفلام BAFTAوجائزة إيمي EMMY وغيرهم الكثير. إن فيلم "الحر المنفرد "Free Soloيعتبر من أكثر الأفلام الوثائقية الملهمة التي تعرض تجربة الرجل الرياضي الذي يتخطى التوقعات والإمكانات البدنية والعقلية ليحقق حلماً صعباً وانتصاراً بشرياً نادراً.

٦ -توعية :Awareness

وهي الأفلام الوثائقية التي تسعى لتوعية المجتمع بمخاطر صحية أو بيئية أو اجتماعية أو سياسية، ويهدف إلى تغيير نظرة المجتمع وسلوكه للحد من هذه المخاطر. ويتميز هذا النوع بصراحته وشفافيته العالية عبر تصوير واقعي لمسببات هذه المخاطر ونتائجه الخطيرة وعرض آراء الخبراء والمختصين، بل وحتى عرض التجارب المريرة التي يعيشها المتضررون من هذه المخاطر. ويتخذ صانع الفيلم هنا أفضل السبل والطرق الفنية لإقناع المشاهد برسالته وللتأثير عليه.

من أشهر الأفلام الوثائقية التي تعرض تأثير البشرية السلبي على الكرة الأرضية، والذي يعتبر بمثابة المنبه القوي للدمار الذي بدأ يحل على كوكبنا جراء الممارسات السيئة التي يقوم بها الإنسان هو فيلم "أنثروبوسين: العصر البشري .Anthropocene: The Human Epoch"

يفترض صناع الفيلم أن الكرة الأرضية تعيش الآن حقبة جيولوجية جديدة -على غرار العصر الجليدي والجواريسي وغيرها -وهو العصر الأنثروبوسيني. وهي حقبة جيولوجية مقترحة يرجع تاريخها إلى بداية التأثير البشري الكبير على جيولوجيا الأرض والنظم البيئية، بما في ذلك -على سبيل المثال لا الحصر -التغير المناخي البشري المنشأ.

فيلم" أنثروبوسين: العصر البشري
Anthropocene: The Human Epoch"

فمنذ أن بدأ الإنسان بتغيير طبيعة الكرة الأرضية بأسلوبه القاسي والعنيف، أصبحت الكرة الأرضية تتطور بطريقة تختلف عن طرقه الجيولوجية السابقة منذ خلقته. حيث أصبح تطورها

عنيفاً كردة فعل بديهية للممارسات التي تجري على سطحها، والتي بالتأكيد ستتسم بالمقاومة والقضاء على البشر من أجل بقائها.

قام صناع الفيلم الكنديين الثلاثة: جنيفر بايشوال Jennifer Baichwalونيكولاس دي بنسييه Nicholas de Pencierوإدوارد بيرتينسكي Edward Burtynskyفي هذه التجربة السينمائية التأملية بالسفر إلى ٦ قارات و٢٠ دولة لتوثيق تأثير البشر على الأرض بأسلوب سينمائي متطور وذا تقنية عالية مبهرة، والذي استغرق منهم إنتاجه قرابة الأربع سنوات. ليعرض لنا في عام ٢٠١٨م بإحساس تجريبي وغير تعليمي لحظة حرجة في التاريخ الجيولوجي. مما يجلب تجربة استفزازية لا تُنسى لاتساع جنسنا البشري وتأثيره.

من الأسوار البحرية الخرسانية في الصين التي تغطي الآن ٦٠٪ من الساحل الصيني، إلى أكبر الحفارات الأرضية التي تم بناؤها على الإطلاق في ألمانيا، إلى مناجم البوتاس المخدر في جبال الأورال الروسية، إلى مصانع إنتاج المعادن في مدينة نوريلسك الروسية التي تعتبر الأكثر تلوثاً في العالم، إلى الحاجز المرجاني العظيم المدمر في أستراليا، وأحواض الليثيوم الصفراء المتبخرة في صحراء أتاكاما في تشيلي، ومكب النفايات العظيم الآهلة بالسكان في كينيا، وغيرهم الكثير. ليخرجوا في الآخر بفيلم سينمائي استقصائي وجمالي توعوي شاهد على آثار عبث الإنسان بمصيره بمحض إرادته.

يعتبر هذا الفيلم هو الفيلم الثالث لصناع الفيلم ضمن سلسلة تتشابه بين بعضها في رسائلها التوعوية وأساليبها الاستفزازية والصريحة. حيث قاموا سابقاً بصناعة فيلم وثائقي باسم "المناظر الطبيعية المصنعة "Manufactured Landscapesعام ٢٠٠٧م، وفيلم "العلامة المائية "Watermarkعام ٢٠١٤م.

حاز الفيلم على العديد من الجوائز من مهرجانات سينمائية مرموقة، وعرض في مهرجان صندانس ومهرجان تورونتو السينمائي الدولي ومهرجان برلين العالمي. وقام الكثير من النقاد بالحديث حول الفيلم على أنه "فيلم وثائقي عن الطبيعة "ولكنه يختلف عن الأفلام الطبيعية التي عهدناها، والتي تقوم بتمجيد الجمال الطبيعي للكرة الأرضية والحيوانات، وأن هذا الفيلم قد قام بتوثيق الجانب الآخر المزعج والمرعب منها.

٧ ـ طبيعة :Nature

إن أغلب وثائقيات الطبيعة تكون على هيئة سلسلة من عدة حلقات، حيث إن المواضيع التي يتناولها منتجوها وممولوها وصناعها متشعبة ومتوسعة، وتتطلب عدة حلقات ليتم تغطية أكبر عدد ممكن من المواضيع. ومن الأمثلة المعروفة في هذا المجال هي السلسلة الوثائقية الشهيرة "كوكبنا "Our Planetوالتي يقدمها السير ديفيد أتينبارا David Attenborough الذي صنع الكثير من الأفلام الوثائقية وعلق بصوته العميق المميز فيها. وقام بالعمل على وثائقيات أخرى قبلها كسلسلة "كوكب الأرض "Planet Earthو"الكوكب الأزرق "The Blue Planetولاحقاً "الكوكب المثالي "The Perfect Planetوغيرها الكثير التي قضى طوال حياته وهو يدعو من خلالها إلى

التوعية بالمحافظة على البيئة والتأمل في الطبيعة، حتى وصل الآن لعامه التسعين ولا زالت الأخبار تراودنا عن مشاريعه المستقبلية.

سلسلة" كوكبنا Our Planet"

إن مسلسلات أتينبارا الوثائقية تتخذ أسلوباً شاعرياً مبهراً في وصف المشاهد التي تفوق العقل في الإبهار هي كذلك. ويسعى إلى خلق قصص ملحمية من الأحداث التي تحدث في عالم الحيوانات والأسماك، وكأنه يقوم بتشبيه سلوكهم بالإنسان. واستقراً من أسلوبه أنه يحاول جذب تعاطف المشاهد ليعيد التفكير في الطبيعة من حوله وأن يحرص أكثر على مراجعة ممارساته المضرة بها. رغم أن الكثير من العلماء والباحثين الجامعيين ينظرون لأفلامه بأنها لا تتطرق بشكل مباشر للممارسات البشرية المؤثرة سلباً على البيئة إلا بنسبة بسيطة جداً من محتوى أفلامه. ولكنني قد أجزم بأن السير ديفيد يحرص على أن يستخدم أسلوباً ناعماً وأكثر إمتاعاً من ذلك الأسلوب المباشر الذي يطالب به الناشطون البيئيون.

مهما تحدثنا عن القيمة الوثائقية التي أضافتها أفلام السير ديفيد فإننا لن نوفيها حقها. ناهيك عن المحتوى الإبداعي في الكتابة، فإن المحتوى البصري صعد بمستوى الوثائقيات الطبيعية لمستويات يستحيل تخطيها إلا نادراً. فليس من السهل أن تجعل كل هذه الكائنات تستعرض حياتها بأسلوب رشيق وبديع دون أن تعطيها التوجيهات والسيناريو مسبقاً. إن ما يفعله هؤلاء ضرب من الإبداع الذي ليس له مثيل.

إن من الأفلام الوثائقية الطبيعية المشابهة لأسلوب سلسلة أفلام أتينبارا الوثائقية بصرياً ولكنها كانت تعليمية أكثر من ناحية المحتوى هو السلسلة الوثائقية "صخرة واحدة غريبة One Strange Rock"الذي كان من تقديم الممثل الهوليوودي الشهير ويل سميثWill Smith . لم يكتف صناع هذه السلسلة في ناشيونال جيوغرافيك بأن يقدموا تسلسلاً آسراً للعقل في عرض المعلومات وربطها ببعضها حين أرادوا أن يشرحوا مثلاً علاقة الصحراء الكبرى القاحلة في أفريقيا إلى تكوين تلك الغابات العجيبة المطلة على نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية، وإنما جعلوا من يحكي هذه المعلومات هو واحد من أكثر الشخصيات المحببة والجذابة في العالم.

سلسلة" صخرة واحدة غريبة One Strange Rock"

في نظري أن هذه السلسلة عملت على تكوين معادلة وثائقية عن الطبيعة لا يستهان بها. وكانت معادلتهم مكونة من تكوين صورة فنية مبهرة، بالإضافة إلى قصة فريدة وتسلسل مشوق في عرض المعلومة، وسيناريو مكتوب برشاقة لا متناهية، ومقدم محبوب وشغوف وذو طاقة ساحرة يقوم باختطاف عقل المشاهد طوال الطريق، وأخيراً إجراء مونتاج محترف من جميع النواحي في الألوان والموسيقى وتسلسل المشاهد.

لم أتوقف عن مشاهدة هذه السلسلة منذ تشغيلها إلا وقد وجدت نفسي قد أتممت ما يزيد عن ٧٠٪ منها. لم أتخيل أن بإمكان بعض الأعمال الوثائقية أن تسرق عقلك وتركيزك ووقتك بهذا الشكل الأشبه بالجريمة المثالية. بل إنني بالعادة أقوم بالتفكير حول ما يحدث خلف الكواليس والأساليب التقنية المتخذة في تكوين مشاهد معينة عند مشاهدة أي فيلم وثائقي، ولكنني في هذه

السلسلة استسلمت مبكراً جداً عن التفكير في كل هذا، لأنني لم أتمكن من تخيل كمية الجهد المخيف الذي وضع في صناعته.

عند مشاهدة مثل هذا الإبهار البصري ينبغي ألا تترك المجال للمشاعر السلبية المثبطة أن تتسلل إلى قلبك. فأنا مثلك قد أصاب بخيبة الأمل من استحالة وصولي لهذا المستوى من الإتقان. ولكنه من المهم أن تبني من خلال هذه الأعمال ذائقة بصرية رفيعة المستوى. وكلما رفعت من هذه الذائقة ستجد بأنها ستخدمك في مواقف معينة خلال التصوير لفيلمك لأخذ مشاهد مشابهة لها. وستجد بأن هذه المشاهد قد تكون قريبة جداً من مستوى تلك الأفلام التي كنت مبهوراً بها ويئست من محاولة صناعة مشاهد مثيلة لها. وستعلم بأن ليست كل المشاهد صعبة في صناعتها وإن كانت تبدو مستحيلة في ظاهرها. فما يهمك هنا هو أن "تحرص "على الرقي والاقتراب من الكمال مهما كانت أدواتك متواضعة.

٨ -ثقافات :Cultures

وهي الأفلام الوثائقية التي تعرض تفاصيل حياة الثقافات من أنحاء العالم. ولكل فيلم هدفه حسب الجهة المنتجة أو العارضة، والتي تسعى من خلاله إلى تعريف الناس بهذه الأماكن بهدف تشجيع السياحة أو بناء علاقات دبلوماسية واقتصادية معها أو فقط من باب الترفيه للمشاهد وجعله يرى عوالم مثيرة لم يتخيل وجودها.

وبعض المنظمات غير الربحية كمنظمة ناشيونال جيوغرافيك -التي تدير إمبراطورية علمية عريقة مكونة من مجلات وقنوات تلفزيونية ومتاحف ومحلات -تهدف إلى صناعة الأفلام الوثائقية المتعلقة بالشعوب والثقافات والبيئة والطبيعة والعلم، وتقوم بتمويل الباحثين والمستكشفين في صناعة محتواها، من أجل إقناع رجال الأعمال والسياسيين برسالتها السامية لكي يقوموا بالتبرع لها ودعمها لتتمكن من إكمال مسيرتها ومشاريعها.

وفي اعتقادي فإن هذه النوعية من الأفلام هي التي تهتم معظم المحطات العالمية كـ CNN و BBCوغيرها لصناعتها؛ لأن فيها تفاصيل دسمة بإمكانهم تشكيلها بالطريقة التي يريدونها. فبعضهم يصنع مسلسلاً وثائقياً عن العادات والتقاليد الغريبة، والآخر عن الأكلات الشعبية، وأيضاً عن الأماكن السياحية الجميلة، والصناعات التي تختص بها كل منطقة، وغيرها من التفرعات. ويتم خلال إنتاج هذه الأفلام استخدام مقدم ذي روح مرحة وشغوفة للتعلم والتجربة؛ ليتمكن من أسر المشاهد واصطحابه معه طوال الرحلة.

ومن أجمل هذه الأفلام التي تتخذ هذا الأسلوب هو "قائمة العجائب مع بيل وير The Wonder List with Bill Weir"الذي أنتجته محطة CNNوالذي كان من إخراج وتصوير صانع الأفلام البريطاني فيليب بلومPhilip Bloom . تقوم هذه السلسلة باكتشاف الثقافات من أنحاء العالم بطريقة جميلة من وجهة نظر مقدم البرنامج. حيث يقوم بعرض القصص والناس والأماكن والمخلوقات بطريقة بصرية ممتعة في العديد من الدول بأسلوب استكشافي بسيط ودون تكلف.

برنامج" قائمة العجائب مع بيل وير
"The Wonder List with Bill Weir

وهناك من الأفلام الوثائقية الثقافية الأخرى التي تتخذ أسلوباً موسيقياً وسينمائياً في عرض الثقافات والشعوب دون الحاجة إلى استخدام التعليقات الصوتية والمقدمين. حيث يضع صناع هذه الأفلام جل وقتهم وجهدهم في اختيار الأماكن المميزة وتصويرها بأسلوب سينمائي عالي الجودة ومن ثم منتجتها بطريقة سيمفونية تجعلك تعيش تجربة مختلفة. قد يعتبرها البعض مملة ولكن لهذه الأفلام روادها والمتشوقون لها.

أحد هذه الأفلام هو الفيلم الوثائقي السينمائي الأمريكي "بركة "Barakaالذي تم إنتاجه عام ١٩٩٢م من إخراج رون فريك Ron Frickeالمعروف بتصويره بعضاً من مشاهد أفلام ستار وورز. وقام بتصوير هذا الفيلم الوثائقي بتقنية ٧٠ ملم وبجودة 8K التي كانت تعتبر من التقنيات المتقدمة جداً في ذلك الزمن. وعلى غرار هذا الفيلم غير المنطوق، قام أيضاً بإخراج فيلم آخر مشابه له جداً اسمه "سمسرة "Samsaraعام ٢٠١١م وغيرها من الأفلام التي تتناول مشاهد شاعرية سينمائية ملونة وبديعة لحضارات وأماكن مختلفة من أنحاء العالم.

إن لهذه الأفلام أسلوباً مختلفاً في بناء السيناريو الخاص بها، حيث يتم استبدال النصوص والحوارات بالصورة والموسيقى. وقد يظن المشاهد لها بأنها عبارة عن مشاهد كثيرة تم جمعها بشكل عشوائي وعرضها للناس فحسب، إلا أن المتأمل في فيلم "بركة "Barakaوالمتعمق في تسلسل المشاهد المعروضة سيستنتج بأن هناك قصة يحاول صناعها روايتها لنا. حيث يبدأ الفيلم بالطبيعة -شلالات وبراكين وغابات-. ومن ثم يعرض التقاليد الدينية لشعب الهندوس والقبائل الإفريقية الذين يقدسون الطبيعة ويؤدون الرقصات المستوحاة من الحيوانات ويستخدمون طلاء الجسم المستمد من بيئتهم، وأيضاً عرض مشاهد من المسلمين المتصوفة واليهود خلال أداء صلواتهم. ومن ثم ينتقل إلى مشاهد من ممارسات الإنسان السلبية في تدمير الطبيعة عن طريق تقطيع الأشجار والتفجير والتعدين والصناعات. ويعرض مشاهد من حياة الفقراء والحياة المدنية السريعة والمعسكرات والمقابر الجماعية. ومن ثم ينتقل للآثار القديمة الفانية ومحرقة الجنائز وآثار الحروب التي تدل كلها على زوال الإنسان ومغادرته الحياة شاء أم أبى. ومن ثم يرجع للطبيعة مرة أخرى في دلالة على أنها هي الباقية أكثر من الإنسان.

فيلم" بركة Baraka"
رون فريك Ron Fricke

إن الجهد الذي تتطلبه صناعة هذه الأفلام كبير جداً ويستغرق وقتاً طويلاً. حيث إن فيلم "بركة "Barakaقد استغرق تصويره ١٤ شهراً في ٢٤ دولة وفي ٦ قارات. أما فيلم "سمسرة "Samsaraفقد استغرق ٥ سنوات في ٢٥ دولة. وخصوصاً أن هذين الفيلمين تم تصويرهما بكاميرات سينمائية ذات تقنية مكلفة جداً ٧٠ ملم وليست رقمية كما هو الحال اليوم. على الرغم من توفر الكاميرات الرقمية إلا أن صناع هذين الفيلمين ركزا على أن تكون الجودة على النحو الذي يطمحون له.

تصوير فيلم "سمسرة Samsara" للمخرج رون فريك Ron Fricke وكتابة مارك ماقيدسون Mark Magidson

مصادر الأفكار

إن الأفكار لصناعة الأفلام الوثائقية كثيرة جداً، وتكاد تجد نفسك أثناء قيادتك للسيارة والأفكار تراودك دون توقف، وقد تتعمق فيها وتتحمس لها. ولكن يعاني البعض من حالة متعبة جداً وهو وجود الحماس والشغف، ولكن حصالة الأفكار فارغة تماماً. وخصوصاً إذا جاءتك فرصة مفتوحة لصناعة فيلم وثائقي وعليك البحث عن فكرة مناسبة لها. في حينها ستحتاج إلى إيجاد الفكرة المناسبة عبر عدة طرق:

١ -**التأمل والتخيل:** وهو أن تستلهم الأفكار من كل ما حولك وإن كانت حمقاء. وأن تغوص في تفاصيلها سواء كنت في المنزل أو السوبر ماركت أو في العمل. والسر هنا يكمن في أن تقوم بتدوينها بالتفصيل في ملف خاص بالأفكار في هاتفك المحمول أو دفتر الملاحظات الذي بحوزتك على الدوام حتى ترجع إليها لاحقاً في وقت الحاجة.

٢ -**مشاهدة الأفلام الوثائقية:** فالكثير من هذه الأفلام تفتح لك آفاقاً جديدة في اختيار الأفكار وأسلوب سرد القصة والتقنيات الفنية وغيرها. حيث إن الكثير من الخبراء والمتمرسين في مجال صناعة الأفلام الوثائقية ينصحون دائماً بمشاهدة الكثير من الأفلام الوثائقية؛ لأنها سوف ترفع ذائقتك البصرية والفكرية بطريقة عجيبة.

٣ -**استشارة الأصدقاء:** قد يكون للكثيرين ممن حولك والذين تثق برأيهم القدرة على إلهامك ومساعدتك في اختيار موضوع فيلمك بل وحتى تفاصيله. باستطاعتك أن تعرض عليهم مجموعة من الأفكار وتفتح معهم باب الحوار حولها واستشارتهم والنهل من آرائهم.

٤ -**التصفح:** أن تتابع الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي والمدونات وغيرها. ففيها الكثير من الأفكار التي قد تعطيك زاوية مختلفة في النظر للأمور. قد يكون محتوى البعض منها سلبياً وسيئاً ومشتتاً، وهنا تقع عليك المسؤولية في التحكم بكل ما يتلقاه عقلك وأن تتحلى بالانتقائية.

٥ -**القراءة:** وخصوصاً الكتب التي تعرض تجارباً شخصية وسير ذاتية وقصص النجاح والفشل، بالإضافة إلى الروايات المميزة. قد تستلهم أفكارك من خلال القصص القيمة في هذه الكتب. أو قد يفيدك أسلوب الكاتب أو الراوي في أسلوب تناولك لقصصك.

٦ -**اكتشاف الذات:** أي أن تقوم بالإجابة على الأسئلة التالية لتكتشف نفسك أكثر. وقد تساعدك هذه الإجابات في اختيار الفكرة المناسبة لك:

- ما هي أكثر اللحظات المؤثرة التي عشتها في حياتك؟
- من هم الأشخاص الذين عايشتهم وتركوا عندك ذكريات لن تُنسى؟
- أين تجد الجمال في أبهى صوره؟
- ما هي المواضيع والأمور التي تستهويك وتسحرك؟
- ما الذي يخيفك؟
- ما الذي يغضبك؟

- ما الذي يقلقك؟
- ماذا تحب أن تفعل في معظم أوقاتك؟

وغيرها من الأسئلة التي قد تساعدك على فهم ذاتك. فالكثير من الأفلام المتميزة يرجع سبب نجاحها إلى محبة الناس لها لقربها من قلب صانعها، والمستوحاة من تجاربه وخبراته واهتماماته.

٧ -**كتابة اليوميات:** إن التزامك بالكتابة المستمرة ليومياتك والأحداث التي تحصل في حياتك بشكل يومي سيصقل فيك ملكة الكتابة وأسلوب السرد القصصي بالإضافة إلى استكشاف الذات. فللكتابة المستمرة حول مواضيع شتى أثر كبير في تحريك عضلات مخك وأفكارك ومشاعرك. وستجعلك تعيش في عالمك الخاص دون قيود أو حدود.

٨ -**طلب من جهة منتجة:** تأتي الأفكار في بعض الأحيان من الآخرين، وخصوصاً إذا كان على هيئة مشروع يطلبه منك أحد العملاء أو المنتجين أن تصنعه له. ويكون أغلبهم على قدرٍ عال من المرونة وترك كامل المجال لك لتبدع في الأسلوب الفني والقصصي في إخراجه. وغالباً ما تكون هذه الطلبات قريبة من القلب والشغف، والعجيب بأن بعضها لم يخطر على بالك من قبل.

٩ -**مسابقات الأفلام:** وخصوصاً تلك المسابقات ذات المواضيع المحددة. كالمواضيع التوعوية بالأمور الصحية، أو المواضيع التي تتناول إبراز جمال أو تاريخ منطقة معينة، وغيرها. إن هذه المسابقات هي بمثابة الشرارة الإبداعية لأي صانع فيلم، فهي تعطيك بداية الطريق ويتعين عليك أن تكمله إلى آخره.

١٠ -**الأنشطة المختلفة:** كالتنزه والمشي وممارسة الرياضة والاستماع للموسيقى واليوغا وغيرها من الأنشطة التي تعينك على تصفية ذهنك واستعادة صحتك.

اختيار الفكرة

إن من أصعب المراحل التي يعيشها أي صانع فيلم وثائقي هي مرحلة تحديد الفكرة أو موضوع الفيلم. فهذه هي البذرة الأولى للمشروع، ومن المستحسن أن تكون فكرة تستحق السعي والتعب من أجلها. فبعد تحديد فكرة أو موضوع الفيلم، سيعقبه جهد لا يستهان به في البحث والإعداد والتخطيط وطلب الدعم والإنتاج والتحرير ومن ثم النشر. فما يؤرق الوثائقيين في هذه المرحلة هو رغبتهم في التأكد ١٠٠٪ بأنها الفكرة المناسبة التي تستحق هذا الجهد الكبير من أجلها.

عند البحث عن الفكرة المناسبة لك لابد أن يكون عندك الجواب على السؤال: لماذا أريد صناعة هذا الفيلم؟. فلابد للفكرة أن تكون مثيرة لك وتستدعي انتباهك ومشاعرك وشغفك بشكل يفوق الوصف. وعليها أن تجذبك وتجذب خيالك ورؤيتك ووجهة نظرك. ويتعين للفكرة أن تغطي قصصاً وأحداثاً وتجارباً تجعلك تشعر بالرغبة العميقة في التحدث عنها.

هذا هو السر الذي يجعل من الأفلام الوثائقية الناجحة تنتشر بشكل أسرع وتكون مؤثرة جداً. فإن كانت قد أشعلت الشغف في قلب صانعها عندما كانت مجرد بذرة -فكرة -بالشكل الكافي، فإنها ستكون كفيلة بجعله يبذل الغالي والنفيس من أجلها.

في بداياتك كصانع أفلام وثائقية، احرص على ألا تلاحق الأفكار الكبيرة وصعبة التنفيذ، أو الأفلام التي تتطلب جهداً كبيراً وتكاليف باهظة. بل ابحث عن المواضيع التي تحيط بك، كتجربة خاصة خضتها أو قصة ملهمة من بيئتك ومجتمعك. ثق بحدسك واتبع المواضيع التي تهمك والتي تحرك مشاعرك وقلبك. ابحث عن المواضيع التي تجيب على التساؤلات التي تشغل عقلك وتزيد من حماسك للبحث عن إجاباتها.

لا تشغل نفسك بمشاعر المنافسة الوهمية، وخصوصاً عندما ترى غيرك صنع الأفلام التي لقت نجاحاً كبيراً. فكلاكما بصمة مختلفة عن بعضها، وموعد حصاده لا يعني بالضرورة موعد حصادك أنت. الشعور بالتنافسية السلبية قد يبعدك عن الطريق الأنسب لك، وعن شغفك الحقيقي، فلا تقع أسير هذه المشاعر. تمنى لغيرك الخير وكن سعيداً من أجلهم، وآمن من صميم قلبك أن هذا رزق وخير ساقه الله لهم، وسيقسم رزقاً وفرصاً رائعة مناسبة لك وتخدم شغفك في الوقت الذي كتبه الله لك.

ستتلقى الكثير من الدعم ممن حولك خلال صناعتك لأي فيلم، وفي نفس الوقت ستتلقى الكثير من النقد والتثبيط الذي قد يؤذيك ويزعجك. تعلم أن تكون في كامل تركيزك على المشروع الذي بين يديك. فإن استطعت أن تكون قوياً وصامداً أمام هذه الموجة المزعجة من النقد والاستنقاص من أفكارك ومشاريعك، بحيث أن تتخذها وسيلة للاستفادة منها وجعلها بناءةً لك ولمشروعك، فذلك نجاح بحد ذاته. وإن لم تكن بهذه القوة، وأن أي نقد قد يشكل لك إزعاجاً قد يؤثر سلباً على تركيزك، فمن الأفضل أن لا تستمع لهذا النقد، وأن لا تدع له مجالاً للتشكيك في قدراتك وإبداعك. وإن كان لك صديق تثق في رأيه، فاستأذنه في بعض من وقته لاستشارته والتحدث معه حول هذا الأمر.

بلا شك ستعيش الكثير من لحظات الشك في قدراتك وإمكانية إنجازك لهذا الفيلم. وكلنا يعيش هذه اللحظات في شتى مجالات الحياة. فمن الطبيعي أن نشكك في قدراتنا دائماً ونشعر بالخوف من احتمالية إفسادنا للأمور وعدم إتمامها على الوجه التام، وهذا بطبيعة الحال نابع من حرصنا واهتمامنا بالأمر. إن هذا التشكك مفيد في بعض الأحيان وله عدة توجهات. قد يحفزك للبحث والتقصي بجدية أكبر والذي قد يصل بك إلى المستوى الذي يجعلك تشعر بالارتياح والاطمئنان أكثر من نتاج بحثك وسعيك. وقد يجعلك أيضاً تعيد النظر في موضوع الفيلم وذلك عبر التفكير التحليلي السليم والمتأني في الموضوع. فبإمكانك أن تجلس جلسة صفاء في مكتبك ومعك كوب القهوة والقلم والورقة، لتقوم بسرد الإيجابيات والسلبيات وأبرز التحديات والفرص من وراء الفيلم. أو ما يسمى بـ SWOT Analysis. ومن ثم ستتشكل عندك صورة أوضح وأجوبة شافية ووافية لشكوكك وتساؤلاتك.

وقد تكون هذه الشكوك علامة أو رسالة تدعوك للتريث حول الأمر وتركه لفترة من الزمن، ومن ثم الرجوع إليه بعد عدة أيام أو أسابيع. حينها ستكون عندك مشاعر متجددة وأكثر صفاء لمعاودة فتح ملف المشروع مرة أخرى وتحليله بنفسية جديدة.

تقييم الأفكار

الأفكار من حولنا كثيرة، وقد تجتمع عندك العشرات من الأفكار الرائعة في نظرك لأفلام وثائقية واعدة والتي تحلم أن تعمل على صناعتها بكل جدية. ولكن قبل أن تختار إحدى هذه الأفكار لابد أن تقوم بتقييمها والتأكد من مدى جدواها، ومقدار الفوائد من ورائها التي قد تعود لك ولسمعتك. بالإضافة إلى مدى إضافتها لمجال الفكرة نفسها ونفعها للمشاهدين.

هناك عدة معايير قد تساعدك في تقييم الأفكار التي عندك والمفاضلة فيما بينها ومن ثم اختيار الأنسب منها. وأحببت أن أختصرها في عبارة (6A's)حتى يسهل تذكرها. وهي كالآتي:

١ -الوصول :Access

وهو إمكانية الحصول على ما تحتاجه من أجل عرض القصة، كالمعلومات والشخصيات والعلاقات والوثائق والمستندات والصور والفيديوهات والتصاريح وإلخ. فلا قيمة في أن تضع جل وقتك وجهدك لصناعة فيلم وثائقي عن موضوع يتعذر عليك الوصول إلى أية معلومة فيه. وفي المقابل إذا كان الموضوع غنياً بالمصادر والمعلومات والشخصيات المميزة، فإنه قد يزيد من عناصر التشويق في فيلمك ومن تنوعه. ولذلك يجب عليك أن تحدد مدى العمق الذي تستطيع أن تصل إليه في موضوع فيلمك. فبعض القصص تتطلب أن تصل إلى شخصيات مرموقة جداً لتتمكن

من تصوير لقاء معها. وبعضها يتطلب أن تصور تفاصيل حياة الشخصية الرئيسية في الفيلم وأن ترافقها لفترة طويلة. والبعض الآخر يتطلب تصاوير جمالية لأماكن يصعب الوصول إليها كأعماق البحار أو أعالي الجبال أو أماكن تتطلب تصاريح صعبة للتصوير فيها، وغيرها من المتطلبات.

يعتمد إمكانية وصولك إلى هذه المتطلبات الصعبة -بعد توفيق الله سبحانه -على أن تحدد ما تحتاجه أولاً، ومن ثم تحدد الوسائل التي ستساعدك للوصول إليها)كالتصاريح والعلاقات والفريق المناسب وإلخ...(، وفي الآخر تقييم مدى احتمالية تحققها. فكلما كان تقييمك بأن إمكانية الوصول Accessمرتفعة، كلما زاد هذا من قوة الفكرة وتميزها، ومن سهولة إتمامها. فكما ذكرت، لست بحاجة إلى أن تتعب نفسك على موضوع لا يخدمك في الوصول إلى أعماقه.

٢ -الطموح :Ambition

وهو أن تعرف مدى قرب الفكرة من طموحاتك وشغفك واهتماماتك وفضولك. فكلما كانت الفكرة قريبة من قلبك كلما كان هذا محفزاً وداعماً لك للاستمرار فيه والصبر على تحدياته، والتعمق والإخلاص أكثر في البحث والإنتاج. فالكثير من صناع الأفلام الوثائقية اختاروا مواضيع أفلامهم ليكون فرصة للتعلم والاستكشاف والفهم الأكبر للموضوع، وذلك ليصلوا إلى طموحاتهم ولشغفهم بهذا الموضوع.

فتجد الوثائقي الشغوف بتسلق الجبال يصنع فيلماً عن المتسلقين المهرة. والآخر المهتم والشغوف بالطب ستجده يصنع الأفلام التي تتحدث عن الأمور الطبية والتوعية بالأمراض الخطرة وغيرها. والشغوف بالاستكشاف تجده يصنع أفلاماً عن مواضيع تتعلق بالأماكن التاريخية النادرة أو السفر لأماكن غريبة لم يسمع بها أحد. لأن صناعة فيلم عن هذا الموضوع بالذات سيخدم حبه للمجال وفضوله فيه وطموحه منه، بل سيفتح له أفاقاً أكبر لتعلم المزيد عنه. وستجده يصل إلى مراحل متقدمة جداً من الصبر والتضحية وتقديم الأفضل في سبيل إنتاج هذا الفيلم.

٣ -الجمهور :Audience

الكثير من الوثائقيين يفكرون في جمهورهم وبكل جديّة طوال فترة إنتاج أفلامهم. فالجمهور هو المعني الأول من هذا الفيلم؛ لأن الرسالة من وراء الفيلم موجهة له وله فقط. ولكن التفكير في الجمهور ومحاولة رفع سقف الجودة -في الكتابة والإخراج والتصوير -لإبهاره وكسب رضاه لا يكفي. بل الأهم من هذا هو معرفة هذا الجمهور وتحديده بدقة. فالفيلم الموجه لفئة عمرية معينة يختلف في نتائجه عن الفيلم الموجه لفئة عمرية أخرى. والفيلم الموجه لجمهور دولة معينة يختلف أيضاً عن جمهور دولة أخرى. والفيلم الذي تنتجه ليتم عرضه في السينما والمهرجانات السينمائية يختلف عن الفيلم الذي تطمح لعرضه في التلفزيون أو اليوتيوب.

لا أقصد بهذا ألا تطمح لشريحة أكبر من الجمهور، بلا شك من الجميل أن يكون طموحك كبيراً دائماً. ولكن قوة الفيلم لا تقاس بكبر الشريحة المستهدفة، بل تقاس بإتقان بنائه مع ما يتناسب مع تلك الشريحة. فلكل شريحة الأسلوب الأمثل والأنسب في التخاطب معها وإبهارها.

باختصار، حدد جمهورك بدقة وضعه نصب عينيك دائماً. بل إن بعض الوثائقيين يجسدون هذا الجمهور المستهدف على هيئة شخص بعينه، ويفكرون به طوال فترة الإنتاج ويحاولون تحديد ما قد يبهره بناء على معرفتهم بهذا الشخص. على سبيل المثال، دائما ما أتخيل والدتي أو والدي عندما أنتج فيلماً ما، أو أتخيل مخرجاً ناجحاً بعينه. وأقوم باختيار هذه الشخصية المتخيلة من ضمن الشريحة المستهدفة التي حددتها مسبقاً. وخلال فترة الإنتاج أضع نفسي مكان هذه الشخصية المتخيلة وكأنني أشاهد هذا الفيلم الذي صنعته وأتخيل ردة فعلها ورأيها.

وبعض الوثائقيين لا يأبه بالجمهور إطلاقاً، بل يؤمن بأن هذا العمل هو عبارة عن قطعة فنية يريد صناعتها بالطريقة التي يؤمن بها هو وليس ما يريده الناس. وكلا الأسلوبين في التفكير لا غبار عليهما. وأظن بأن التفكير في الجمهور من عدمه يعتمد على نوع وموضوع الفيلم الذي تعمل عليه، والوضع الذي يتم فيه إنتاج الفيلم. فبعض المشاريع تتطلب وقتاً قصيراً جداً لإنتاجه والذي قد لا يدع لك مجالاً كافياً لتحديد الجمهور والتفكير فيه. أو قد يكون الجمهور المستهدف من الفيلم هو العميل أو الممول نفسه، وبالتالي سيتعين عليك التفكير بهم فقط دون غيرهم.

٤ -القدرة :Ability

يتعلق هذا المعيار غالباً بالناحية العملية من إنتاج الفيلم. فما نقصده هنا هو قياس مدى قدرتك على تنفيذ هذه الفكرة، وعلى قدرتك على تحمل تكاليفها. فعندما نتحدث عن التنفيذ فنعني بذلك إمكانية الوصول إلى الشخصيات والأماكن والفريق المناسب وأدوات الإنتاج المهمة والتصاريح وغيرها. وعندما نتحدث عن التكاليف فنعني بذلك توفر الميزانية التي ستغطي تكاليف عملية الإنتاج. وقد تكون الميزانية متوفرة عن طريق دعم جهة معينة أو بدعم ذاتي منك.

ولا ننسى بالطبع قدرتك البدنية والعقلية وملائمة الظروف المحيطة بك لتتمكن من خوض هذا المشروع من أوله إلى آخره. فالكثير من الأفلام تتطلب قدرة بدنية عالية، وبالتالي ستحتاج إلى ممارسة الرياضة واتباع حمية غذائية مناسبة لتتمكن من رفع أدائك خلال الإنتاج. وقد تتطلب قدرة عقلية وذلك عن طريق استحضار ذهنك وتركيزك طوال الوقت، والقراءة والسؤال حول الأمور التي تحتاج إلى الإلمام بها. ومن المهم أن تكون ظروفك العائلية والمحيطة ملائمة وهادئة ومستقرة حتى لا تكون مشتتةً لك خلال عملك.

وإذا اختل أو نقص أحدهم -سواء القدرة التنفيذية أو القدرة المالية أو القدرة الشخصية -فهذا يقلل من احتمالية قدرتك على إنتاج الفيلم. والذي سيكون بمثابة التحدي الذي سيتطلب منك التخطيط والاجتهاد والصبر لتخطيه. وسنتحدث في الفصول القادمة بإسهاب حول كيفية الحصول على الدعم المادي وعن تفاصيل الإنتاج وأبرز تحدياته.

٥ -الميزة :Advantage

والذي نقصد به هنا هو الجواب على السؤال: ما الذي سيميز فيلمك عن غيره؟ ما هي أهم عناصر القوة فيه؟. فمن المهم أن يكون لفيلمك لمسة قوة تزيد من تشويقه وترقبه من قبل الجمهور. وقد تكون الميزة في الموضوع نفسه أو في الشخصيات الظاهرة في الفيلم أو في أسلوب الكتابة أو

في المؤثرات البصرية أو الأدوات الفنية المستخدمة وإلخ... وتكون هذه الميزة غالباً هي أكثر شيء سيتذكره الجمهور عند الانتهاء من مشاهدة الفيلم.

عند بحثك عن الميزة في فيلمك، لابد أن تكون هذه الميزة تخدم أهداف الفيلم ورسالته وموضوعه وجمهوره. فلا يكفي أن يظهر في فيلمك شخص مشهور جداً ووجوده لا يخدم ما سبق ذكره. لابد لهذه الميزة أن تضيف قيمة مهمة للفيلم، وأن تجعله يتقدم عن الأفلام التي تناولت نفس الموضوع أو التي قد تتناوله لاحقاً.

عندما تشاهد أي فيلم وثائقي في المستقبل، احرص على أن تكتشف الميزة التي جعلته فيلماً قوياً وناجحاً -إن كان كذلك فعلاً-. حاول أن تلاحظ أهم نقاط القوة التي يتحلى بها. قم بتحليل الفيلم من عدة جوانب، وانظر له من زوايا مختلفة؛ لتفهم طبيعة العقلية التي كرست وقتها وجهدها لصناعته. وإن لاحظت الأمثلة التي أعرضها خلال فقرات الكتاب ستجدني اخترتها لعرض مميزاتها ونقاط قوتها التي جعلتها تستحق أن تُذكر.

بعض الوثائقيين يحرصون على أن يضيفوا قيمة سامية وجديدة لمجال الأفلام الوثائقية، وأن يرفعوا من سقف الإبداع فيه. فلا يكفيهم أن يحظوا بفرصة صناعة فيلم حول موضوع معين أو بفرصة تمويلية مرموقة، وإنما يهمهم أن يكون الفيلم مميزاً ومختلفاً وذا إضافة جديدة. وخصوصاً إذا كان الموضوع مستهلكاً أو تمت صناعة أفلام أخرى عنه.

٦ -الجائزة :Award

هل سيحقق لك الفيلم الجائزة التي تحلم بها؟. فليس هناك فائدة من فيلم لا يحقق لك النتيجة التي تطمح لها. والجوائز هنا تختلف هيئتها من شخص لآخر، فالبعض يعتبر الجائزة هو تفاعل الناس مع الفيلم وتحقق التغيير الفاعل في المجتمع. والبعض الآخر ينظر للجائزة بأنها المشاركة في مهرجان سينمائي، وغيرهم يرى الجائزة بأنها العائد المادي من ورائه. وآخرون يهمهم أن يبرز اسمهم كصانع أفلام وثائقية محترف في الساحة الفنية. ولكل جائزته التي يحلم بها ويطمح أن يكسبها.

عند قراءة سيرة الوثائقيين البارزين عالمياً، ستجد أنهم وصلوا لهذه المكانة بعد اختيار دقيق وواقعي للجائزة التي يطمحون لها. وتتغير نوعية الجائزة بعد كل فيلم يصنعونه. مثلاً، يهمهم في البداية أن يُعرفوا في الساحة وأن يُذكر اسمهم في الصحف أو في الأوساط الإعلامية. وبعدها يحرصون على أن يفوزوا في المهرجانات السينمائية المحلية. وخلالها يحرصون على أن يصنعوا أفلاماً تعود عليهم بالربح المادي ليتمكنوا من كسب لقمة العيش. وبعد عدة نجاحات فيها يغيرون الجائزة لتكون المشاركة في مهرجان سينمائي عالمي، وهكذا دواليك. فالتدرج في اختيار الجوائز هو من أساليب التفكير الاستراتيجي الذي يضمن لك صعوداً صحياً وواقعياً مع تقادم الزمن. فقد نصحني أحدهم: لكي تكسب المليون ريال، لابد أن تتعلم كسب المائة ريال أولاً.

○ ○ ○

بعد أن تفكر برويّة في كل هذه المعايير ومدى توفرها في الأفكار التي عندك، بإمكانك أن ترسم جدولاً تضع في صفوفه عناوين الأفكار وفي أعمدته المعايير السابق ذكرها (6A's) وتقوم بتقييم كل معيار لكل فكرة من ٥. ومن ثم تجمع نتائج المعايير لكل فكرة لتقوم بمفاضلة الأفكار التي حصلت على أعلى نتيجة.

#	الفكرة	Access	Ambition	Audience	Advantage	Award	المجموع
١	الفكرة الأولى	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٢٥
٢	الفكرة الثانية	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٢٥
٣	الفكرة الثالثة	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٥	ـــ/٢٥

الخطوة القادمة

بعد قرارك النهائي في فكرة فيلمك الوثائقي، انتقل معي للفصل التالي الذي سنبدأ فيه بالتفصيل في هذه الفكرة والعمل على بناء أساساتها وملامحها وعظمها ولحمها، حتى تكون جاهزة للإعداد والتخطيط لإنتاجها.

الفصل الرابع
القصة

"أعتقد أن ما أحبه في عملية صناعة الوثائقيات هو في جعلك تستحضر نفسك فيه. ولعل هذا أن يجعلك تسأل أسئلة جيدة، وقد يجعلك تكتشف المزيد عن نفسك أيضًا".

سوليداد أوبراين Soledad O'Brien

القصة هي عبارة عن حدث أو مجموعة أحداث، تمت صياغتها بطريقة تجذب الجمهور سواء كانوا قراء أو مستمعين أو مشاهدين، وتتكون من بداية ووسط ونهاية. وتحتوي على عناصر مشوقة كالشخصيات الجذابة، والتوتر المتصاعد، والصراعات التي غالباً ما تنحل في نهايتها. تقوم القصص بجذب المشاهدين عاطفياً وفكرياً، وتشجعهم على ترقب الأحداث إلى نهايتها.

إن طرق بناء القصص الجاذبة والقوية منتشرة في الكتب التعليمية، وطرقها معروفة وبالإمكان تعلمها. وفي بعض الأحيان لا تختلف عقلية كاتب الأفلام الروائية عن كاتب الأفلام الوثائقية. فهناك بعض الأدوات الأساسية التي تضفي الإثارة والتشويق في القصص، وبالإمكان الاستعانة بها في كلا النوعين من الأفلام. وقبل أن تبدأ في بناء القصة وهيكلتها وتصميمها، لابد لك من أن تضع جهداً لا يستهان به في عملية التعمق في موضوع الفيلم، وذلك عبر إجراء عملية البحث الحثيث حوله.

البحث

في اللحظة التي تجد نفسك فيها أمام الفكرة والموضوع المناسب والأمثل الذي يتواءم مع شغفك ومع كل المعايير المذكورة في الفصل السابق، اعلم بأنك قد خطوت الخطوة الأولى فقط في مشوار صناعة الفيلم الوثائقي، وما سيحدث بعد ذلك هو العمل الحقيقي. بإمكاني أن أشبه الأمر بتسمية مولودك بالاسم الذي يتناسب مع شغفك وشغف شريك الحياة. وأن هذا الاسم كان خطوة البداية فقط، وما سيتلوه من جهد وتعب وسهر لإطعامه وحمايته وتربيته وتأمين احتياجاته هو الجهد الحقيقي الأكبر.

إن أهم خطوة بعد اختيار الفكرة هو عملية البحث حولها، وذلك عبر التعمق أكثر في الموضوع وطرح الأسئلة الصعبة ومحاولة الإجابة عليها. أن تعرف أكثر عن الأمر، أن تتثقف حوله بشكل أكبر، ألا تترك مجالاً لأي خطأ في طرح المعلومات والقصة خلال الفيلم. أن تتثبت من صحة المعلومات وأن تفهم أكبر قدر ممكن من جوانب الموضوع.

بعض صناع الأفلام الوثائقية يستهين بهذه المرحلة ويتسرع في الانتقال لعملية الإعداد أو حتى الإنتاج، دون أن يأخذ وقتاً كافياً ليبحث عن موضوع الفيلم ليتثبت من المعلومات، وليفهم أكثر عن الأمور التي قد تفوت عليه. وغالباً ما ينعكس هذا الإهمال على فيلمهم. فتجده تحول إلى فيلم سطحي ليس فيه أي عمق أو إبداع. بل وسيظهر جلياً على الفيلم أن عند صانعه نقص كبير في فهم الموضوع، وأنه لم يتعمق في القضية ولم يقم بالبحث الذي يستحقه الأمر، وأيضاً ستظهر عليه علامات الندم من تسرعه. وخصوصاً إذا اكتشف بعض المعلومات المهمة والصادمة حول

موضوع الفيلم في وقت متأخر جداً، والذي قد يؤدي إلى تغييرات جوهرية حول كامل الفيلم. وقد يتعذر عليه فعل أي شيء حيال الأمر لعدم توفر الميزانية الكافية أو الوقت ليعيد التصوير. ولكي لا تقع في مثل هذه الظروف المزعجة، وأيضاً لكي يأخذك الجمهور بجدية، لابد لك من أن تعطي لعملية البحث اهتماماً كبيراً وجاداً مهما كان الموضوع بسيطاً.

خذها قاعدة رئيسية، قوة الفيلم يعتمد بدرجة كبيرة على جودة البحث الذي وضع فيه. فالأفلام القوية هي التي تتحلى بعنصر المفاجأة والتحدي والمعلومات الصادمة والأحداث المشوقة وغيرها من العناصر التي تقويها، ولا يمكن أن تصل لهذا المستوى لولا البحث الجيد حول الموضوع.

لطالما تغيرت أفكار الأفلام التي عملت عليها بعد عملية البحث الجادة. فقد وجدنا أنفسنا أمام قصة أعمق وأكبر مما نتخيل، مما أدى هذا إلى إجراء الكثير من التعديلات على الفكرة الرئيسية وتفاصيلها وعلى أهداف الفيلم وخط سير القصة.. وإلخ. لدرجة أن عملية البحث قد أثرت في أحد الأفلام التي عملت عليها على اختيار اسم الفيلم الذي أصبح دقيقاً بدرجة كبيرة. وفي أفلام أخرى أثر عملية البحث في اختيار أماكن التصوير ومواصفات الممثلين الذين سيقومون بتجسيد الأحداث الحقيقية التي حصلت. بالإضافة إلى اختيار الأدوات الطبية الصحيحة في تصوير المشاهد الطبية، حتى لا نقع في نقد حاد من الأطباء بسبب عدم اختيارنا الأدوات الصحيحة التي تخدم المشهد، أو بمحاولتنا لتجسيد المشهد الطبي بطريقة ليس سليمة من الناحية العلمية.

لقد قمنا ببحث كبير جداً قبل إنتاج فيلم "فوسفين "عام ٢٠١٤م والذي جعلنا نقف على أرض أكثر صلابة وأعطانا الثقة الكاملة عند العمل عليه. فلم يكن صناعته عبارة عن حماس طائش، بل كان عبارة عن فيلم استقصائي بمعنى الكلمة. كان استقصائياً في أسلوب عرض القصة وحتى في عملية إنتاجه. بذلنا كل ما استطعنا بذله لنعطي الموضوع حقه في البحث والتقصي الذي استغرق عدة شهور. كان اختيارنا المبدئي لاسم الفيلم عادياً جداً لدرجة أنني لا أذكره الآن، ولكنني أذكر جيداً تلك اللحظة التي قررنا فيها أن نسميه بـ "فوسفين "والذي يدل على اسم الغاز السام المنبعث من المادة الصلبة -فوسفيد الألمنيوم-. وهذا الغاز هو الذي يؤدي إلى مقتل الناس بعد استنشاقه لفترة طويلة وليس المادة نفسها. ولا أخفيك بأن الفيلم في بداياته كان سطحياً لدرجة مخجلة، ولو لم نقم بهذا البحث الجيد لما توصلنا إلى الكثير من الأمور المهمة والعميقة التي عرضناها.

هل كل المواضيع تحتاج إلى البحث؟

الكثير يسألني هذا السؤال، وبعض الكتب التي تعلّم صناعة الأفلام الوثائقية بالإضافة إلى بعض الوثائقيين يجيبون عليه بـ "لا"، وأن البحث يعتمد على عمق الموضوع ومدى أهمية هذه العملية في تقوية القصة. ولكني أجيب دائماً بـ "نعم"، فالبحث مهم مهما كانت القصة أو الفكرة. البحث لا يعني دائماً التقصي حول المعلومات والأخبار وغيرها، وإنما يشمل البحث حول الأسلوب

الأمثل لعرض القصة. فمشاهدتك للأفلام الوثائقية المشابهة لموضوعك سيساعدك على أن تتعرف على الأساليب الجديدة والإبداعية في الإنتاج والمونتاج وأسلوب السرد القصصي.. وإلخ.

بإختصار، البحث هو أن تصل إلى مستوى أعلى مما أنت عليه الآن. أن تزيد من علمك وفهمك، وتزيد من مهارة تفكيرك، ومن ذائقتك البصرية والاخراجية. وكل ما من شأنه أن يجعلك صانع أفلام أقوى وأذكى وأكثر وعياً.

وبالنسبة لي فإن عملية البحث مهمة في جميع جوانب الحياة، وليس فقط عند صناعة فيلم وثائقي. فعندما أقرر أن أمارس الرياضة، وأن أحافظ على أسلوب غذائي صحي، فإنه بلا شك يتعين علي أن أقوم بالبحث الجاد حول الأمر. وينطبق هذا على كل شيء أقوم به بمعنى الكلمة. لماذا؟ لأنني تعلمت بالطريقة الصعبة بأن البحث الجيد -بعد توفيق الله -يقيك الكثير من الأخطاء والتعثرات، ومضيعة الوقت والمال والجهد.

هل تذكر نصيحة كبار السن والتي في فحواها أن نسأل عن سعر أي منتج في عدة أماكن قبل أن نشتريه من مكان معين؟. هذه النصيحة بسيطة في شكلها، ولكنها عميقة ومهمة جداً في مضمونها، بل من المفترض أن تكون أسلوب حياة قبل الإقدام على فعل أي شيء.

بالتأكيد واجهت في حياتك شخصاً ناجحاً في مجال معين أو في مسابقة أو في الدراسة، وتجده يتحلى بالثقة العالية والإقدام وقوة القلب خلال العمل على المشروع، وخصوصاً عندما يتواجه مع التحديات الكبيرة. وعندما تسأله عن سبب هذه الثقة وقوة القلب، تجد الإجابة دائماً بأنه بعد توفيق الله قد قام بالبحث اللازم حول الموضوع .He did his homeworkولذلك أكسبه هذا الفعل كل هذه الدراية وكل هذه الثقة واللياقة العالية في الأداء.

مصادر وطريقة البحث

إن مصادر البحث كثيرة ومتنوعة ومنتشرة في كل مكان. ومن المهم أن تقرر مسبقاً الوسائل المثلى التي يمكنك الاستقاء منها كل ما تحتاجه حول الموضوع. ومن المهم أيضاً أن تقرر حيال مدى احتياجك لفريق بحث محترف وشغوف ليقوم بهذه المهمة معك -وليس بالنيابة عنك-. وذلك عبر عقد اجتماعات مهمة يتم فيها مناقشة الموضوع بتوسع وبعقلية متفتحة، وليتم طرح الأسئلة الصعبة والمهمة لتحديد الأماكن التي ستبحثون فيها عن الإجابات. قد تكون مصادر البحث عبارة عن:

- كتب(عربية وإنجليزية).
- أفلام(Youtube, Vimeo, Netflix, Starzplay, OSN, ...).
- إنترنت(Google، أبحاث، مقالات، ملخصات، أخبار، ...).
- استشارات ولقاءات ومهاتفات) مع الموضوع، ذو العلاقة بالموضوع، أطباء، مختصون، خبراء..).
- الأرشيف(المرئي أو المكتوب عند جهات مختصة).
- وغيرها مما لم يُذكر.

من المهم جداً خلال عملية البحث أن تكون كالصياد الذي يخطط للقضاء على الفريسة. وذلك بأن تكون متيقظاً وحريصاً طوال هذه العملية لتتصيد المعلومات الأكثر أهمية، وتحاول ربطها ببعضها بالشكل الذي يخدم قصتك وفيلمك.

ومن المهم جداً أن تكون نتائج بحثك مرتبة ومنظمة بالطريقة التي تسهل عليك الوصول إليها لاحقاً. وذلك باستخدام برامج Power Pointأو Keynoteأو ملفات Wordأو .Pages وأن تقوم بطباعتها ووضعها في ملف مرتب تحمله معك على الدوام. أو أن تقوم بإعداد جدول يحتوي على أنواع المعلومات ومن ثم تفاصيلها ومن ثم الروابط المهمة التي بإمكانك مشاهدتها بعد الضغط عليها.

إن استخدام التقنية المعلوماتية لحفظ وأرشفة نتائج بحثك فيها خطوة مهمة جداً. حتى تتمكن من الوصول إليها في أي وقت باستخدام هاتفك الذكي أو جهازك اللوحي أو "اللابتوب ."كـ Google Driveو Dropboxوغيرهما. فالكثير لم يعد يقوم بطباعة أي ورقة، بل يكفيه أن يرتبها في هذه المواقع. بل إن Google Driveيتيح لك خاصية مشاركة الملفات مع أعضاء الفريق، وبإمكان كل عضو أن يقوم بالتعديل والتعليق على الأمور المهمة.

إن من أكبر الأخطاء التي يقع فيها معظم فِرق البحث هو الفوضوية، سواءاً في عملية البحث نفسها أو في مشاركة المعلومات وترتيبها. حيث يقومون بمشاركة الروابط والتعليق عليها بطريقة متسرعة عبر مجموعة "الوتساب "المخصصة للمشروع مثلاً، ومن ثم يجدون أنفسهم غارقين في كم هائل من الروابط والمعلومات التي لا يعلمون أهمية ما فيها أو مدى احتياجهم لها. ويظن الفريق بأن هذا الحماس هو ما يُقصد به بالبحث الجيد، بل هو العكس تماماً. فما يجب أن يحدث خلال عملية البحث الجيد هو:

- تحديد الأهداف منذ البداية.
- تحديد الأسئلة المهمة ومواطن البحث.
- تحديد خط سير البحث.
- تحديد مهمة كل عضو في الفريق.
- تحديد أسلوب عرض المعلومات وترتيبها.
- عقد الاجتماعات الدورية لمراجعة نتائج البحث والنقاش حولها لمعرفة كيفية استخدامها في الفيلم.

فالأمر ليس أن تبحث أكثر، وإنما أن تبحث بشكل أذكى. وأن ينعكس نتاج بحثك على أدائك وأداء الفريق وعلى مستوى الفيلم.

العثور على الضيوف

إن من أهم الأمور التي يجب أن يتضمنها بحثك في هذه المرحلة هو العثور على الضيوف أو من يحتمل أن تجري معهم لقاءات في فيلمك -إن تطلب الفيلم إجراء لقاءات-. فالعثور عليهم ليس بالأمر السهل، وستواجه الكثير من العقبات في رحلة البحث عنهم. حتى وإن عثرت عليهم

فإنك قد تواجه بعض الصعوبات في إقناعهم للظهور في فيلمك. فقد يتردد بعضهم من الظهور في وسائل الإعلام إما لتخوفهم من أي تبعات سلبية على مستقبلهم المهني أو الاجتماعي، أو بسبب عدم علمهم الكافي بموضوع الفيلم. لذلك ركز نطاق بحثك على من تربطهم علاقة قوية بموضوع وقصة الفيلم، وحاول التوصل إلى وسيلة اتصال بهم لتتحدث معهم عن تفاصيل مشروعك وعن مدى رغبتهم في إجراء لقاء معهم.

السر في إقناعهم يكمن في صراحتك المطلقة معهم حول موضوع الفيلم وحول مستقبله، وأيضاً في إظهار شغفك حول القصة ورسالتك من ورائه واهتمامك بهم. يفضل في بعض الأحيان أن تطلب منهم لقاء شخصياً في منزلهم أو مكتبك أو في مقهى عام، للتعرف عليهم أكثر، ولتعرف مدى مناسبة ظهورهم في الفيلم. فهذه اللقاءات المباشرة ستكشف لك الكثير عن شخصياتهم ومحتوى كلامهم، وقد يكون هذا المحتوى لا يناسبك.

بناء القصة

بعد الانتهاء بشكل سليم وشامل من عملية البحث والفهم الأعمق حول موضوع فيلمك، حان الآن وقت بناء قصتك بالأسلوب الصحيح ووضع كل ما في عقلك من تصور وإبداع على الورق.

إن ما في عقلك وشغفك جميل جداً ولا يمكن أن يتصوره أحد، لأنك أنت من تتخيله وتحلم به وتخلقه. لذلك من المهم أن تترجم كل هذا بطريقة مناسبة حتى يستفيد منها من حولك ليكونوا عوناً لك على إتمام الفيلم. فالإبداع والشغف وحدهما لا يكفيان، وإنما يجب أن تتحلى بإمكانية إيصال هذا الإبداع إلى من حولك وأن تساعدهم على استيعابه.

عندما نتحدث عن "بناء القصة "فإن ما نقصد به هو العمل على كتابة وإعداد ما نسميه بـ "سيناريو الفيلم ."السيناريو في الأفلام الروائية يحتوي على النص والحوار والمشاهد والمشاعر وغيرها من التفاصيل، وله طريقة بناء محددة ومعروفة. ولكن في الأفلام الوثائقية فإن لمصطلح السيناريو شمولية أكبر وذا طريقة صياغة وبناء مختلفة سنتحدث عنها فيما بعد.

وقبل التفصيل في كيفية إعداد هذا السيناريو، وجب علي أن أتحدث قليلاً عن أساسيات بناء القصة لمعرفة أسرار زيادة التشويق فيها. فمن المهم جداً أن تتمكن مبدئياً من بناء قصة الفيلم بطريقة مشوقة وعاطفية ودرامية، وذات عناصر إبداعية تشد الجمهور لمشاهدته، قبل الخوض في مكونات السيناريو.

الرواية الدرامية للقصة

انتشر استخدام كلمة "دراما "والتي تصف غالباً الفن المسرحي أو الأفلام التي لا تصنف من ضمن الكوميديا المضحكة أو التراجيديا المأساوية أو (الأكشن) الحركية. ولكن إذا رجعنا إلى أصل الكلمة ومعناها، وذلك بالرجوع إلى منشئها من اللغة الإغريقية، لوجدناها تأتي بمعنى "تناقض - "وهو العنصر الذي يهمنا من الموضوع -. فعندما نصف أسلوباً ما بأنه درامي فنعني

بذلك بأنه يحتوي على متناقضات تتصارع من أجل أن يستمر أحدهم، وهو الأسلوب الأمثل في الرواية القصصية. حيث إن الجمهور ينشد لهذا الصراع بين متناقضين، لأنه بطريقة ما يُذكره بحقيقة فهمه للحياة وأن كل ما فيها هو عبارة عن صراع من أجل البقاء.

وفي نظري، فإن فهم عناصر الدراما سيساعدك على بناء أسلوب قصصي مشوق وجاذب. على الرغم من أهمية توفرها في الأفلام الروائية، إلا أن أهميتها لا تقل في الأفلام الوثائقية، بل أعتبر استخدامها والاهتمام بها من الذكاء في صناعة الوثائقيات. إن عناصر الدراما تتكون من الآتي:

١ ـشخصية :Character

إن الأسلوب الدرامي في الرواية يعتمد على القصص التي تحركها "شخصيات ."لابد أن تكون هناك شخصية البطل Protagonistالتي نتعاطف معها ونستشعر معاناتها. فوجود الشخصية مهم جداً وهو عنصر أساسي في اللمسة الدرامية. وفي بعض الأحيان تكون هناك الشخصية المعادية لهذا البطل أو ما يسمى بالخصم Antagonist، وفي الأفلام الوثائقية قد لا يكون الخصم شخصاً بعينه وإنما قد يكون المجتمع بأكمله أو القوانين الصارمة أو الظروف المحيطة وغيرها.

عندما أقوم بتصوير فيلم عن منطقة تاريخية مهجورة أو منطقة جميلة، فإني أحرص دائماً على أن أربط هذا المكان بشخص له علاقة وصِلة بها؛ لأنه هو العنصر الذي سيجعلني وسيجعل المشاهدين يرتبطون بهذا المكان. فتصوير المكان وحده وإضافة الموسيقى إليه وبعض المعلومات لن يشد المشاهد بالشكل الكافي. تخيل معي إذا أضفنا إلى هذا التصوير شخصاً يحكي لنا عن ذكرياته مع هذا المكان، وما يعنيه له وما يذكره به. ويتحدث إلينا عن الزاوية الشغوفة العاطفية التي ينظر من خلالها إليه، ويضيف إلى كلامه بعض المعلومات المهمة عن هذا المكان. بلا شك سيساعدنا هذا الشخص في تعلقنا كمشاهدين بهذا المكان، وذلك عبر تعلقنا به أساساً. هذا الشخص قد يكون ضيفاً له علاقة بالمكان ويتم تصويره بأسلوب إبداعي، أو قد يكون معلّق الفيلم الذي لا نعرفه ولكنه يهيج فينا هذه المشاعر عن طريق قراءة نص مؤثر، أو قد يكون مخرج الفيلم نفسه وهو يحكي لنا مشاعره عن هذا المكان سواء بظهوره في الفيلم أو بصوته فقط.

٢ ـرغبة :Desire

وهو أن تحتاج الشخصية إلى إنجاز أمر ما، أو الحصول عليها أو الوصول إلى هدف ما. أن يكون عنده الرغبة العالية والعميقة لهذا الشيء. إن وجود الرغبة هي طريقة جذب ذكية جداً، فهي ترفع من نسبة التعاطف لدى المشاهدين ومن رغبتهم في متابعة القصة إلى آخرها لمعرفة النتيجة النهائية، وهل حصلت الشخصية على مبتغاها أم لا.

٣ ـتعارض :Conflict

غالباً ما تكون الرغبة التي تريد أن تصل إليها الشخصية تتعارض مع الواقع المحيط بها .Need against natureمثلاً، إذا افترضنا أن الشخصية عبارة عن طالب في المرحلة الثانوية،

ويرغب في أن يحصل على درجات عالية ليلتحق بالجامعة التي يريدها. قد يكون عنصر التعارض هنا هم رفقاء السوء الذين يسعون لتدميره بعادات سيئة أو يقومون بضربه في المدرسة بشكل يومي، أو قد يكون المعلم الذي يتحدى الطالب عبر الترصد له ووقوفه حائلاً أمام إعطائه الدرجة التي يستحقها لسبب ما. أو قد يكون العنصر هو بعد المدرسة عن منزله التي يمشي إليها يومياً لمسافات طويلة دون أن يقله أحد بسيارته. أو معاناته مع العنصرية في تلك المدرسة التي تنبذ لونه أو عرقه، وهكذا. كل هذه السيناريوهات تعبر عن التصادم ما بين ما يريده وما يريده المجتمع أو البيئة المحيطة به، وهذا ما يزيد من تشويق القصة.

٤ -عقبة :Obstacle

وهي الصعوبات والتحديات التي تقف في طريق هذه الشخصية لتحصل على رغبتها. وتختلف عن العنصر السابق من ناحية، وهو أن العقبات عبارة عن أحداث وتحديات مفاجئة -واحدة أو أكثر -تؤخره عن الوصول لهدفه، وتحصل وتنتهي في وسط القصة. فلو افترضنا المثال السابق، قد تكون العقبة عبارة عن حادث سير حصل للطالب مما تسبب في ضرر إحدى ساقيه وبالتالي أصبح عاجزاً عن المشي، وجعلته يواجه تحدياً زاد من صعوبة الوصول للهدف. ولكن هذا الضرر من الحادث ليس القصة الرئيسية ولا يعتمد عليها الموضوع بشكل كبير، وليس عبارة عن تعارض conflictما بينه وبين المجتمع المحيط به، وإنما هو عبارة عن تحد مفاجئ واحد ضمن تحديات أخرى قد تحصل له.

٥ -نهاية مرضية :Satisfactory Ending

ولا نعني بذلك النهاية السعيدة، وإنما إنهاء القصة بطريقة مُرضية -سواء للجمهور أو الشخصية أو معارضيها أو المخرج-. النهاية التي قد تجعلك تبكي أو تبتسم أو تنفعل بشدة أو تصاب بالدهشة والمفاجأة. النهاية المُرضية للهدف من الفيلم ولصانعه، الذي دائماً ما يقال حينها:)المخرج عاوز كدا .(!النهاية التي تصل بك إلى التفكير المتعمق للتوصل إلى استنتاج معين أو استيعاب رسالة معينة.

الكثير من القصص لا تنتهي بنهاية سعيدة، وإنما تنتهي بطريقة تمت صياغتها بذكاء شديد جعلتك تقف مدهوشاً للحظة. هذه اللحظة من الذهول هي التي تصنع الفارق في النهايات المرضية الذكية. قد تكون القصة التي تتناول مثالنا السابق، تنتهي بمنعطف ملتوٍ مفاجئ Twist، أو بتدخل من عنصر غير متوقع Unpredicted Element، أو بلحظة مظلمة Dark Momentنتج عن تراكم هائل من المشاعر لدى شخصية البطل، أو نهاية مفتوحة Open-endedذات مشاعر مختلطة ورسالة مبطنة جداً.

ووجب عليّ التحذير من استخدام النهاية المفتوحة بلا سبب واضح؛ لأنه يكثر استعماله بسبب عجز صانع الفيلم من اختيار نهاية مناسبة، فالنهاية المفتوحة هي الأسهل في إنهاء أي فيلم. وإذا تم استخدامه بسبب هذا العجز والتسرّع سيكون ذلك واضحاً وجلياً للمشاهدين. لذلك لابد أن يكون لاستخدامه غاية ومعنى ورسالة.

قوس القصة Story Arch

بإمكاننا أن نتعلم الكثير من أساليب البناء الدرامي المستخدمة في الأفلام الروائية. وقد عرف هذا الأسلوب منذ زمن الفيلسوف الإغريقي أرسطو Aristotle في القرن الرابع قبل الميلاد في كتابه الكلاسيكي "الشعراء ."The Poeticsوالذي تحدث فيه عن أهمية اتباع الطريقة السليمة لبناء "حبكة القصة "Plot،

وقد قسمها إلى ٣ أقسام: بداية ووسط ونهاية. وذكر بأن الأحداث التي تحدث في كل قسم لابد لها أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأقسام الأخرى.

تطورت هذه الطريقة على مر السنين لتصل إلى الأسلوب الشائع المستخدم حالياً عند معظم الروائيين والكتّاب الم حبكة Arch Plot ."Structureوتم اس القصة تأخذ شكل القوس المتجه للأعلى. س مقسم في أساسه إلى نفس الأقسام الثلا Act 1 - Act 2 وإضافة فقرات إضافي

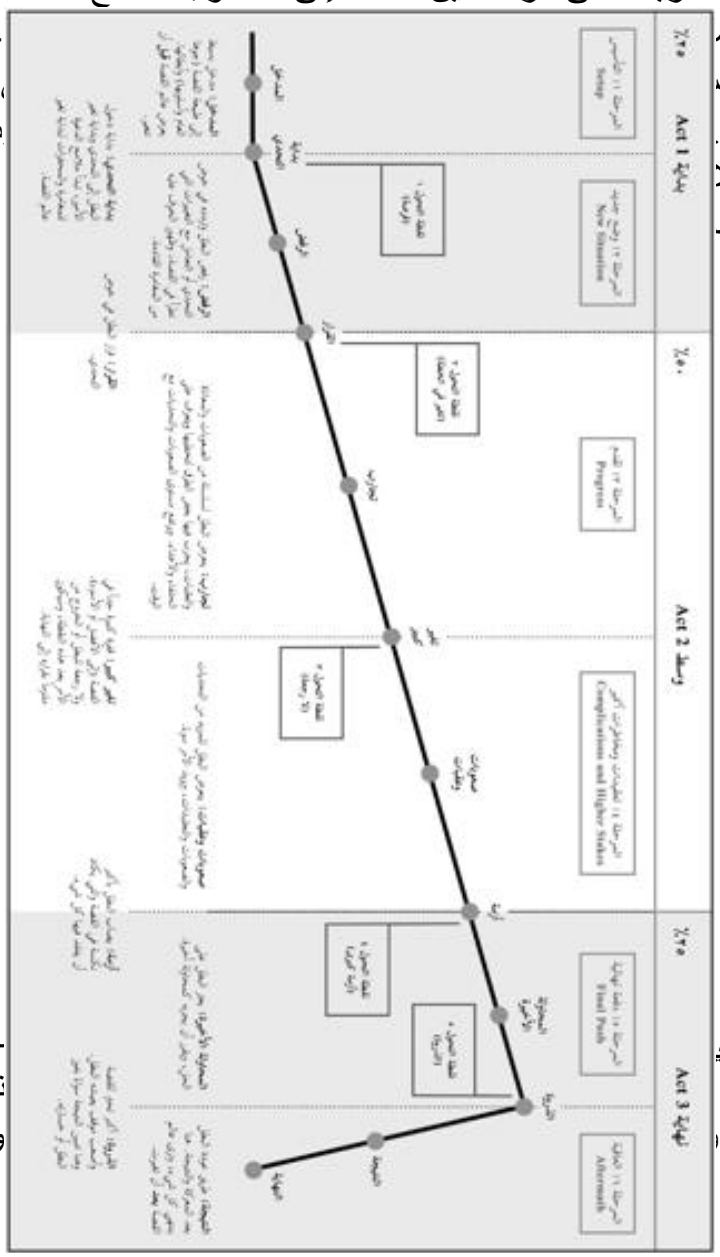

كما نلاحظ في ستخدمة في الرواية القصصية التي تدور ني أشرح لك قليلاً تفاصيل هذه الهيكلة ور التي سأذكرها، يُفضّل أن تستحضر The Pursuit /

Happiness, Lord of the Rings, The Shawshank Redemption, Harry Potter, The Matrix، وغيرهم. وستجد نفسك لا إرادياً وأنت تتصور تفاصيل أحداث هذه الأفلام وتربطها مع الشرح الذي سأقوم به حول هذه الهيكلة خطوة بخطوة. وبذلك سترسخ هذه المعلومات في عقلك أكثر.

١ -البداية :Act 1

وتشغل ما يقارب ٢٥٪ من مدة القصة أو الفيلم. تبدأ بمدخل إلى القصة لنفهم الجو العام ومكان حدوثها وتفاصيل حياة البطل، وعن حاله قبل أن يتغير عالم القصة وقبل تعرضه للتحديات والأحداث التي سنشهدها لاحقاً. ومن ثم يتواجه البطل مع الفرصة التي تدعوه لتحدٍ معين ولمغامرة جديدة. هنا تبدأ ملامح التعارض Conflictما بين رغبة البطل Desireوالواقع المحيط به Nature. يواجه البطل هذا التحدي بالرفض والتردد في البداية، ومن ثم نعيش معه اللحظة التي يقلب فيها الأمور في رأسه، وقد يتقابل مع مرشد أو موجه ينصحه بأن يخوض هذه المغامرة. وينتهي هذا القسم بقبول البطل بخوض هذا التحدي، وتبدأ طبيعة عالم الفيلم بالتغير.

٢ -الوسط :Act 2

يشغل هذا القسم ما يقارب ٥٠٪ من القصة وهو الأطول بين الأقسام الأخرى. ومعظم الأحداث المهمة تحصل هنا. بسبب قرار البطل في الاستمرار، هنا تبدأ المشكلات والعقبات Obstaclesتنهال عليه، ويبدأ بالتصدي لها وتخطيها وتجربة طرق وحيل مختلفة. بالإضافة إلى أنه يبدأ هنا بالتعرف على الحلفاء الذين سيساعدونه في رحلته، وأيضاً بالتعرف على أعدائه وخصومه. تتوالى الأحداث إلى أن يصل إلى نصف هذا القسم ليتواجه مع حدث رئيسي يغير تماماً من مسار القصة -سواء للأفضل أو للأسوأ -مما يزيد من صعوبة الرحلة أو سهولتها بدرجة كبيرة. ولا يمكن للبطل الرجوع بعد هذا الحدث. ومن ثم يستمر البطل في مواجهة التحديات والعقبات إلى أن ينتهي هذا القسم بأزمة كبرى هي الأصعب في كل القصة. ويصاب فيها البطل بأكبر نكسة، والتي تكاد أن تفقده رباط جأشه وتحمله، ويشعر بأنه قد يفقد الأمل في كل شيء.

٣ -نهاية :Act 3

ويشغل هذا القسم الـ ٢٥٪ المتبقية من مدة القصة، والتي بها تصل أحداث القصة إلى نهايتها. بعد الأزمة الكبرى التي أصابت البطل في آخر القسم السابق، نرى عليه آثار التعب ونشعر بعظم ثقل الأمر عليه. ومن ثم -وبطريقة ما -يجد البطل الحل الذي قد يخرجه من هذه الأزمة، ويقرر حينها أن يجرب هذا الحل كمحاولة أخيرة. وعند قمة القوس والذي نسميه بـ "الذروة Climax"، يعيش البطل أكبر لحظة حاسمة في القصة وأكبر تحد. وهنا يحسم الأمر تماماً بفوز البطل أو خسارته. وبعدها يبدأ منحنى القوس بالنزول ونرى النتيجة النهائية للقصة، ونرى عودة البطل إلى عالمه بعد رحلة طويلة من المعارك مع التحديات والعقبات. وهذا ما نسميه بـ "النهاية المُرضية Satisfactory Endingالتي تحدثنا عنها سابقاً. ونرى بعدها عالم القصة بعد التغييرات التي أصابتها.

○ ○ ○

إن ما تحدثنا عنه ليس لزماً على الوثائقيين أن يستخدموه، وإنما هو مجرد اقتراح قد يفتح لك آفاقاً جديدة وقد يفيدك في حياكة قصة فيلمك لا أكثر. فلكل وثائقي أسلوبه الخاص في رواية القصة ولا يحده أي شيء. فإن شعرت بأنك تمكنت من بناء حبكة الأحداث واستطعت أن تغوص في أعماق شخصية البطل بالشكل الذي يجعلنا نشعر به ونتعاطف معه، فاستمر على ما أنت عليه ولا تبالي. ولكن إن وقعت في حيرة من أمرك في كيفية جمع شتات قصتك ولم تعرف الأسلوب الأمثل لبناء القصة كما حصل معي في بعض مشاريعي، فجرب أن تلقي نظرة على الأسلوب الذي شرحناه آنفاً، علّك تجد فيه منفذاً يبصرك لأسلوب مختلف وفريد.

من المهم أن نتعلم من أسلوب الفيلسوف الإغريقي أرسطو ومن طريقة "هيكلة قوس الحبكة "بأن الأمر كله عبارة عن "تسلسل "Sequence، أي أنه لابد للقصة أن تسلك مساراً منطقياً متصاعداً في عرض تفاصيلها وترتيب منظم لأحداثها. لابد لك من أن تساعد المشاهد على أن يفهمك سريعاً، لا تترك له مجالاً لفقد تركيزه أو اهتمامه بالفيلم بسبب عدم تسلسلك المرتب في بناء الأحداث. عند مشاهدتك للكثير من الأفلام الوثائقية الممتازة، ستتعرف على العديد من الطرق الرائعة والجديدة والمدهشة في بناء القصة وأساليب عرضها. لذلك شاهدها بعناية ولاحظ أساليبها وتأملها جيداً، ودوّنها وتعلم منها.

طريقتي في بناء قصتي

إن بناء التسلسل المبدئي للفيلم الذي سأعمل عليه يبدأ عادة بالورقة والقلم واللابتوب. حيث أقوم بالبحث حول الموضوع بشكل متوسع وبتعمق شديد، وأقوم بالكتاب و)الشخبطة (على الورق وتدوين كل المعلومات التي حصلت عليها، محاولاً ربط النقاط ببعضها. بل وتكثر الأوراق بشكل متواز، حيث إن الورقة الأولى تكون مخصصة للمعلومات العامة، والورقة الأخرى للأفكار الإبداعية حول الفيلم، والثالثة حول المتطلبات التي سأحتاجها لاحقاً، والرابعة حول التسلسل المقترح للفيلم.. والخ.

بعد عدة ساعات وقد تصل إلى عدة أيام، أجدني في النهاية قد اكتفيت من عملية البحث، وأجدني قد وضعت التسلسل المبدئي للفيلم بكامل تفاصيله والذي يعتبر بمثابة العمود الفقري للمشروع، بالإضافة إلى تفاصيل الإنتاج وتفاصيل الضيوف وأسمائهم والأسئلة التي ستوجه لهم وغيرها من التفاصيل. وأصبح بهذا جاهزاً ومتسلحاً بشكل ملائم على الأقل في هذه المرحلة المبكرة من المشروع. ما يهم هنا هو صفاء الذهن والتركيز بكامل جوارحك؛ لأنك تقوم في هذه المرحلة برسم طريقك في هذا المشروع وتحديد ملامحه، لذلك يتوجب عليك معرفة كل تفاصيله ومعلوماته.

ضع في حسبانك أن التسلسل الذي وضعته لا يعني بالضرورة هو التسلسل الذي ستبقى عليه حتى النهاية، وليس بالضرورة أن يكون تسلسلاً صائباً وناجحاً، أو أن يكون التسلسل الأمثل لفيلمك. فكما ذكرت مراراً وتكراراً بأن مشوار صناعة الفيلم الوثائقي يتعرض للكثير من التعديلات

والتطويرات خلال الإنتاج. ولكن ما ستضعه الآن يعتبر بداية جيدة ستساعدك على الأقل على البدء بثقة عالية. قد تتخبط قليلاً في البداية وقد تواجه الكثير من الانتقادات والاقتراحات والتعديلات، لكن مع الوقت ستبدأ بالتعرف على ملامح القصة المتناسبة مع شغفك وطريقتك ولمستك وأسلوبك.

○ ○ ○

إن الأساس الذي سيقوم عليه بناء تسلسل الفيلم قد يكون بعدة أشكال:

١ -**التسلسل المنطقي:** وهو بأن تعرض المشكلة أولاً بكل تفاصيلها بتسلسل مرتب، ومن ثم تنتقل إلى الحلول المتاحة، وبعدها تعرض التجارب التي اتخذت للقضاء على المشكلة، وتختمها في الآخر بالنتائج والاستنتاجات. وتعتبر هذه الطريقة هي الأسلوب الذي يتخذه المهندسون والباحثون والأكاديميون في استعراض أبحاثهم وتجاربهم. وتنفع عادة في الأفلام التي تتناول قضايا شائكة أو تعرض حالة اجتماعية.

٢ -**التسلسل الزمني:** وهو أن تستعرض أحداث القصة بناء على تقادم الزمن. وذلك أن تبدأ القصة منذ بداياتها ومن ثم تتسلسل في الأحداث حسب تعاقب الوقت إلى نهايتها. وتنفع هذه الطريقة مع الأفلام التي تتناول قصة حياة شخص معين أو تجربة واقعية حصلت أو حادثة قديمة أو رحلة استكشافية.

وعند مشاهدتك للأفلام الوثائقية البارزة والناجحة والمؤثرة، فإنك ستكون مطلعاً على العديد من الطرق التي يتخذها صناع الأفلام لعرض قصصهم. ولكل صانع فيلم لمسته الخاصة في بناء البداية التشويقية لفيلمه وفي عرض الأحداث والانتقال بين المواضيع. بإمكانك أن تستفيد من هذه النظريات الفنية والاستعانة بها في بناء قصة فيلمك.

السيناريو

لابد أن تعلم بأن السيناريو في مجال الأفلام الوثائقية يتجزأ إلى جزأين:

- سيناريو ما قبل الإنتاجPre-Script
- سيناريو ما بعد الإنتاجPost-Script

على عكس الأفلام الروائية التي تحتوي على نوع واحد من السيناريوهات فقط والتي يتم بناؤها قبل عملية الإنتاج. والسبب وراء وجود سيناريو ثانٍ في مجال الأفلام الوثائقية يرجع إلى أن احتمالية تغير القصة أو تغير مسارها أو إضافة أحداث جديد خلال عملية الإنتاج عالية جداً. فلا يمكنك التنبؤ بمجريات الأحداث خلال عملية الإنتاج، وخصوصاً إذا كان فيلماً تشاركياً أو مُلاحِظاً أو انعكاسياً. فنسبة كبيرة من السيناريو ما قبل الإنتاج يتغير خلال فترة التصوير، ولذلك دعت الحاجة إلى بناء سيناريو آخر -ما بعد الإنتاج -لإجراء التعديلات على السيناريو المبدئي ليتناسب مع الرؤية الجديدة التي تكونت خلال مرحلة الإنتاج. ويتم بناء هذا السيناريو عادة قبل أو خلال

مرحلة المونتاج. وما سنتحدث عنه في هذا الفصل هو السيناريو الأول فقط، وسيتم التطرق للسيناريو الثاني في مكانه من هذا الكتاب.

سيناريو ما قبل الإنتاج Pre-Script

إن السيناريو المبدئي في الوثائقيات يكون ذا تفاصيل ومواصفات معينة تهدف إلى توضيح كافة جوانب الفيلم لكل من له دور في عملية إنتاجه -من قريب أو من بعيد-، كفريق الإعداد والإنتاج وما بعد الإنتاج، والمموِّلين المحتملين والمسوِّقين والجهات التي تعطي التصاريح اللازمة وغيرهم. فإن تمت صياغته وإعداده بعناية واهتمام فإنه سيسهل على فريق الفيلم أداء مهامهم على أكمل وجه، كإعداد جدول الإنتاج والجدول المالي وغيرها من الحسابات المهمة.

ومن أبرز فوائد هذا السيناريو المبدئي هو دوره المهم في الحفاظ على التركيز على الأساسيات خلال فترة الإنتاج العاصفة بالتغييرات والأزمات. فهو بمثابة القبلة للفيلم والذي سيساعد صانعه وفريقه للرجوع إلى الأصل، وعدم التشتت في خضم هذه العواصف.

إن لكل صانع فيلم أسلوبه الخاص في بناء هذا السيناريو المبدئي، فبعضهم يتخذ أسلوباً تعبيرياً يشرح فيه كامل رؤيته وقصته والأحداث، وبعضهم يرتبها على هيئة جدول، والآخر يرتبها على هيئة رسم هندسي يضع فيه تسلسل القصة وتفاصيلها، وغيرها من الطرق المختلفة.

ولأن الخبراء اختلفوا في أن يضعوا طريقة موحدة لبناء سيناريو الأفلام الوثائقية، فإني أرى بأن اختيار الطريقة المثلى لصياغة السيناريو المبدئي يعتمد على وضع الفيلم:

١ -الفيلم الوثائقي المكتوب :Scripted Documentary

بعض الأفلام تكون معلوماتها جاهزة وتسلسلها واضح، واحتمالية تغييرها خلال فترة الإنتاج ضئيلة جداً، كالأفلام التاريخية والأفلام التعليمية والأفلام السياحية وغيرها. حيث إن كل مكوناتها تكون محددة بعناية، إلى درجة أن صناعها يحددون بالضبط المعلومات التي يريدون من الشخصيات الظاهرة في الفيلم قولها. بل ويعدون قائمة محددة بالمشاهد الجمالية التي يريدون تصويرها، ويحددون النص الذي سيقرأه المعلق والمدة لكل فقرة.

إن هذا النوع من الأفلام الوثائقية هو الأسهل في التنفيذ ونسبة فشله منخفضة جداً. لذلك سيتخذ أسلوب الجدول في ترتيب فقراته وتفصيل محتواها ووصف المشاهد وتحرير النصوص وتحديد الأسئلة وغيرها. ويكون هذا الجدول مقسماً إلى ٣ أعمدة: النص الصوتي، المشهد المرئي،

الأصوات)موسيقى، مؤثرات صوتية، ..وإلخ .(وعدد الصفوف يعتمد على عدد فقرات الفيلم.

سيناريو الفيلم: .....

#	الصوتي	المرئي
١		

٢ -الفيلم الوثائقي غير المكتوب :Unscripted Documentary

ويرمز إلى الأفلام الوثائقية الاستقصائية أو غير واضحة المسار، أو احتمالية تغيّر أحداثها خلال فترة الإنتاج عالية. وأكاد أجزم بأن هذا النوع من الأفلام هو الأصعب بين كل أنواع الأفلام الأخرى سواءاً الروائية أو الدعائية وغيرها؛ لأن نسبة الخطر فيه مرتفعة جداً وقد يفشل المشروع برمّته في أية لحظة. وقليل من الوثائقيين من يحرصون على إنتاج أعمال من هذا النوع؛ بسبب الضغط الكبير الذي يتعرضون له والتوتر المستمر وعنصر المغامرة، فالطريق ليس واضحاً لديهم بالشكل الكافي. لذلك فإن السيناريو الذي سيبنى هنا سيكون تعبيرياً بشكل كبير. حيث سيضع فيه صانع الفيلم كل تصوراته ورؤيته وقصته بالتفصيل، بالإضافة إلى تسلسل الفيلم بشكل مبدئي ليكون بمثابة خارطة للطريق لا أكثر.

سيتعين على صانع الفيلم أن يفصل فيه قدر المستطاع وأن يبذل قصارى جهده في أن يتأكد من كل شيء، وأن يصمم طريقاً شبه مؤكد لما سيصبح عليه الفيلم حتى ما بعد الإنتاج. أي بمعنى آخر، يجب أن تكون عنده الرؤية الثاقبة وحس التنبؤ العالي بما قد يحدث خلال الإنتاج، بحيث يحرص على تقليل نسبة تغير السيناريو بعد الإنتاج عن السيناريو ما قبل الإنتاج. وبالطبع هذا سيتطلب مهارة عالية وخبرات سابقة في مثل هذه الأفلام.

إن للسيناريو ما قبل الإنتاج Pre-Scriptفي الأفلام الوثائقية غير المكتوبة عدة طرق في بنائه:

المعالجة :Treatment

هي عبارة عن فقرة تعبيرية يشرح فيها صانع الفيلم طريقته في حياكة القصة من أولها إلى آخرها، ويشرح فيها ما سيراه المشاهد على الشاشة بكل تفصيل. ويتم الاستفادة من "هيكلة قوس الحبكة "Arch Plot Structureالسابق شرحها في بناء هذه الفقرة، ويقوم بتوضيح خط سير القصة وأحداثها قدر المستطاع، وعن الشخصيات التي سيقابلها والأسئلة التي سيسألهم إياها والأماكن التي سيقوم بالتصوير فيها ..إلخ. بالإضافة إلى التطرق إلى أي طلبات معينة يحتاجها أو إجراءات معينة يجب عملها قبل عملية الإنتاج، كإجراء أبحاث إضافية مُكلفة، أو السفر لتفقد أمر معين، وغيرها من الطلبات.

تسلسل الفيلم :Segments

هو باختصار عبارة عن تصميم مسار الفيلم بالطريقة الهندسية الشهيرة "مخطط تدفق العملية ."Process Flow Chartرغم أن الكثير من صناع الأفلام الوثائقية لا يستعملون هذه الطريقة، ولكن دراستي لمجال الهندسة الصناعية أمدني ببعض الأدوات التي وجدتها مهمة جداً وساعدتني في تنظيم عملي، ومنها هذا التصميم. إنه عبارة عن مربعات وأسهم تدل كل واحدة إلى الأخرى، ويحتوي كل مربع على المرحلة من الفيلم مع ذكر بعض التفاصيل عنه، كشرح مكونات المرحلة والأمور المهمة التي يجب التركيز عليها والأسئلة التي ستطرح فيها ومدة كل مرحلة وإلخ. بإمكانك اعتباره كتحويل الجزء التعبيري في أسلوب "المعالجة "Treatmentإلى رسم توضيحي يسهل فهمه أكثر. وفيما يلي تصميمي لتسلسل حلقة من مشروع مسلسل وثائقي لتتضح الصورة أكثر.

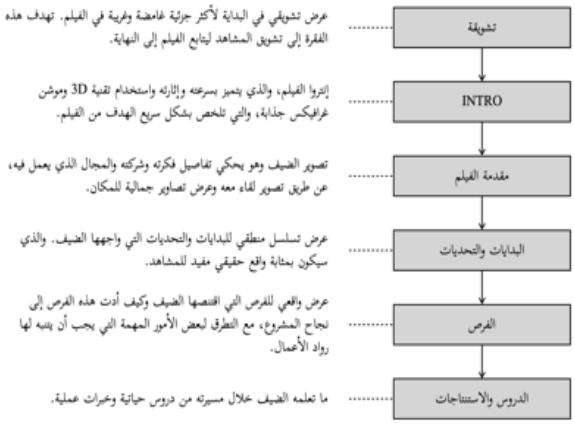

سيناريو منسّق :Formatted Script

وهو عبارة عن جدول مشابه للجدول المستخدم في الفيلم الوثائقي المكتوب Scripted Documentary، فبعض الوثائقيين -وإن كان فيلمهم استقصائياً وليسوا واثقين من بعض الأمور التي قد تحصل في عملية الإنتاج -يفضلون أن يكتبوا السيناريو المبدئي على هيئة جدول؛ لأنه يرتب لهم أفكارهم وتفاصيل فيلمهم بطريقة مريحة، ويكون أكثر وضوحاً لفريق العمل من طريقة المعالجة Treatmentتسلسل الفيلم Segments، ويسهّل عليهم استيعاب كامل تفاصيل الفيلم بهذه الطريقة. بل إن أغلب الممولين والمنتجين للأفلام الوثائقية يصرون على أن يكون هناك جدول محبك بحذافيره للفيلم الذي سيقومون بتمويله وإن كان استقصائياً أو ذا مسار غير محدد. حيث إن طبيعة عملهم كمستثمرين يحتم عليهم أن يكونوا متأكدين من كل شيء. ولكل وثائقي أسلوبه الخاص في إعداد السيناريو بناء على ما يتفق عليه مع فريق عمله.

حفظ الحقوق الفكرية

الكثير من صناع الأفلام بشكل عام يهملون أمراً مهماً يتعلق بحفظ حقوق فكرتهم التي عملوا عليها وصرفوا الكثير من الوقت والجهد في بنائها وصياغتها والتخطيط لها. ولأننا دائماً ما نتخذ أسلوباً يتسم بالثقة الساذجة مع كل من حولنا، حيث نقوم بإرسال ملفات المشروع وكل ما عملنا عليه لشركات الإنتاج المحتمل العمل معها في المستقبل، أو لبعض الجهات التي نسعى للحصول على دعم منها، دون أن ننتبه إلى احتمالية تسرّب الفكرة لأشخاص قد يستغلون هذا المحتوى وينسبونه لأنفسهم. وقد يقومون بإنتاجه أو إنتاج عمل يشبهه بدرجة كبيرة.

وبالطبع الكثيرون من هؤلاء الوثائقيين يؤمنون بأنه لا يمكن لهؤلاء السارقين أن ينتجوا هذا العمل بنفس مستوى طموحهم وشغفهم، ويؤمنون أيضاً بأن أي فكرة في الهواء لا تساوي شيئاً. ولكني أؤمن أيضاً بأن حدث مؤذ كهذا قد يؤلمك وبشدة لفترة ليست بسيطة، وخصوصاً إذا كنت في بداياتك، أو أن الذي سرق هذه الفكرة هو شخص تعرفه جيداً.

ولكي تقي نفسك من مثل هذه المواقف التي قد تضرك نفسياً وحتى مادياً، فإنه من المهم أن تسجل فكرتك عند الجهة الرسمية في بلدك التي تحفظ الحقوق الفكرية للمشاريع حتى لو لم تبدأ في عملية الإنتاج بعد. فهدف هذه الجهات هو إعطاؤك فسحاً يُثبت بأنك أنت من تملك هذه الفكرة وبالتالي تحميك من أي عملية سرقة.

أغلب شركات الإنتاج الاحترافية دائماً ما تتعامل مع اتفاقية مهمة تسمى "مذكرة عدم إفشاء سرية Non-Disclosure Agreementأو "NDA"، وهي عبارة عن ورقة من صفحة واحدة يُذكر فيها اسم الطرفين المجتمعين، وبعض البنود التي تنص على المحافظة على أي معلومات أو أفكار تم التطرق لها في ذلك اليوم، وغيرها من البنود التي تحمي حقوق الطرفين المجتمعين. وليس في توقيع هذه الاتفاقية أي عيب أو انطباع يوحي بعدم الثقة ونحوها، وإنما أصبحت عادة روتينية مقبولة لكل المحترفين في المجال.

بل من حقك أن تطلب من الجهة التي قد تعمل معها أن تعد هذه المذكرة -إن كان عندها صيغة تعمل بها عادة -ليتم التوقيع عليها قبل البدء في الاجتماع، وبعضهم يقومون بتأجيل التوقيع عليه لآخر الاجتماع من باب الأدب وإظهار حسن النية، وأن هذه الورقة فقط إجراء روتيني لا غير.

تنفيذ القصة

هنا نكون قد انتهينا من بناء القصة وتفاصيلها وأحداثها وكل ما له علاقة بها، لننتقل إلى مرحلة التنفيذ والتي تبدأ بالتخطيط والإعداد الجيد والمتقن، والذي سنتحدث عنه بإسهاب في الفصل القادم.

يزيد إحساس الرهبة والتوتر والخوف عند صانع الفيلم كلما تقدم خطوة في عملية صناعة أي فيلم. وبالطبع ستشعر برهبة الموقف عندما تجد نفسك في مرحلة تبدأ فيها الأمور بالاتسام بالجدية، وأنه لا مجال للتراجع الآن. فقد أصبح الكثير يعلم عن المشروع، بل وأصبح له فريق

-ولو كان قليلاً -مستعد ليخوض معك هذه التجربة. إن مشاعر التوتر التي قد تشعر بها طبيعية جداً، ونابعة من حرصك على إتمام هذا الأمر بأفضل طريقة ممكنة، ومن رغبتك في أن تكون تجربة ناجحة لا عكسها. وقد تكون نابعة عن تذكرك لتجربة فاشلة سابقة جعلتك تتحسس من الدخول في أي مشروع. كل صناع الأفلام يشعرون بهذا التوتر من حين لآخر كلما توغلوا أكثر في مشاريعهم، وخصوصاً في بداياتهم في المجال.

اعلم بأن هذا المشروع بدأ عندك ومعك لأنه قُدّر له ذلك. قُدّر لك أن تكون أنت الشخص الذي يعمل عليه لتعرضه للناس. إن شغفك بالموضوع لم يكن عبثاً، بل حدث عندك لسر ثمين فيك. إذا نظرت للأمر بهذه الطريقة وشعرت من أعماق قلبك بأنه تم اختيارك لتكون الشخص الذي يعرض هذه القصة ويرويها، وأنك أنت الذي سيعمل ليل نهار ليقوم بإيصال أصوات وهموم وتجارب هؤلاء الأشخاص في قصتك، حينها سيزول شعور التوتر تدريجياً ليحل محله شعور المسؤولية والقوة.

إن تركيزك على ما بين يديك وترك أي صوت سلبي خارجي أو حتى داخلي هو مخرجك من هذا التوتر. أن تؤمن بأن هذه "المهمة "Taskأوكلت لك، وأنك ستفعل أفضل ما عندك لتكون على قدر هذه الثقة. انظر لنفسك بأنك الملهم الذي سيقود هذا الفريق وهذه الشخصيات الذين سيراقبون كل طلباتك وتوجيهاتك، وسيسعون جاهدين لتحقيق رؤيتك وحتى اقتراح أفضل أفكارهم لك.

تنفس بعمق، تنفس كثيراً. اهدأ كل لحظة وأخرى واعتزل فريقك لعدة دقائق لتهدأ بأسلوبك الخاص. البعض يهدئه السكون بأن يجلس في سيارته لعدة دقائق دون أي صوت، وبعضهم يغلق عينيه ليقوم بممارسة التأمل عبر التنفس العميق. والبعض الآخر يستمع للموسيقى الهادئة، والآخر الصاخبة. ما يهم هو أن يكون كفيلاً بإيصالك إلى تلك النقطة، نقطة السكون الداخلي. النقطة الخالية من أية شائبة، المليئة بالطاقة والحيوية والبداية الجديدة، والتي ستحتاجها كثيراً لشحن طاقتك وتصفية ذهنك لتركز على طريقك.

الفصل الخامس
الإعداد

"بالنسبة لي، خط سير الفيلم ليس شيئاً يمكنك التخطيط له مسبقاً، خاصة بالنسبة لفيلم وثائقي، لا يمكنك كتابته أو رسمه؛ لأنها تتطلب مواجهة مع الواقع، مع التاريخ، والأخلاق والقيم. بعد تحديد المحتوى جيداً، عليك أن تجد خط السير الصحيح للتعبير عن هذا المحتوى".

ريثي بان Rithy Panh

ها أنت الآن قد وصلت إلى هذه المرحلة التي ستقوم فيها بتجهيز كل ما تحتاجه لتحول ما عملت عليه في الفصول السابقة إلى واقع يشاهد أمام الجمهور. فوصولك هنا يعني بأنك على إلمام كامل بكافة تفاصيل قصتك وعلى استعداد تام لخوض هذه المغامرة.

إن ما سنعمل عليه في هذا الفصل سيتطلب تركيزاً عالياً وصبراً وحلماً؛ لأنك من الآن وصاعداً ستبدأ بالتخطيط للتعامل مع العالم الخارجي بجدية أكبر، وستبدأ بالعمل مع عدد أكبر من أعضاء الفريق. والذين سيرجعون إليك باستمرار لطرح الأسئلة والاستفسارات، وعرض الكثير من العقبات والتحديات التي ستتطلب إبداعك وصبرك في حلها معهم. ومن المهم في هذه المرحلة أن تكون حاضراً بذهنك على أكمل وجه، فكما قيل" :أفضل إعداد للغد هو القيام بأفضل ما لديك اليوم."

مرحلة الإعداد تعتبر من أهم المراحل في أي مشروع من أي نوع، وغالباً هي المرحلة التي تستغرق المدة الأطول من بين جميع المراحل الأخرى، لإدراك مدراء المشاريع جيداً بأنه: "إذا فشلت في التخطيط فإنك قد خططت للفشل . "فما ستفعله في هذه المرحلة سينعكس بشكل أو بآخر على مرحلة الإنتاج وحتى على النتيجة النهائية للمشروع.

قال إبراهام لينكولن ذات مرة : "امنحني ست ساعات لقطع شجرة، وسأقضي الأربعة الأولى في شحذ الفأس"، فأغلب مشاريع الأفلام تستغرق عدداً قليلاً من الأيام في مرحلة التصوير والإنتاج، ولكنها في المقابل قد تستغرق شهراً أو أكثر خلال مرحلة الإعداد والتخطيط. فقد يتطلب الأمر أن تقضي مائة ساعة في الإعداد لساعة واحدة من التصوير؛لأن يوماً واحداً في مرحلة الإنتاج يكون مُكلفاً جداً، وخصوصاً إذا كان الأمر يتطلب سفراً وعدداً كبيراً من الفريق وأدوات كثيرة. ويزيد الأمر خطورة إذا كانت عندك ميزانية محدودة، فإن لم تخطط جيداً لهذا اليوم ستجده -مع أول مواجهة لأي تحد ولو كان بسيطاً -يتجزأ من تلقاء نفسه إلى عدة أيام، وبالتالي يؤدي هذا إلى تكاليف مضاعفة قد تؤدي بك إلى الإفلاس مبكراً، وربما فشل المشروع.

سنتحدث في هذا الفصل عن أبرز الطرق التي ستساعدك على الاستعداد الجيد قبل البدء في عملية التصوير، وذلك للتقليل من المشاكل المحتمل حدوثها ولضمان انسيابية وسلاسة الأمور. سنبدأ في البداية بالتحدث عن كيفية إعداد الملف التعريفي للمشروع Proposalوالذي سيكون مهماً ولا يمكن الاستغناء عنه أبداً. ومن ثم سنتطرق إلى كيفية إيجاد التمويل اللازم للمشروع، فلا يمكن لأي مشروع أن ينجز دون دعم مادي ومعنوي. ومن ثم سنستعرض سويةً أهم أعضاء

الفريق الذين ستحتاج إلى مهاراتهم وخبراتهم في جميع مراحل الإنتاج، وكيفية التعاقد والاتفاق معهم. وسنختم بالشرح المفصل عن كيفية بناء خطة محكمة للإنتاج بكل مكوناتها.

الملف التعريفي للمشروع Proposal

إن لكل مشروع في الدنيا ملفا يعرض تفاصيل هذا المشروع بأسلوب مقنن يجيب على كل التساؤلات حوله. ولا يمكن لأي فريق أو أي جهة أن تتعاون في العمل على مشروع ليس له ملف تعريفي خاص به؛ لأن عدم وجوده يقلل بشدة من جدية المشروع، وقد يتسبب في فشله.

مهمة هذا الملف الأساسية هو جمع شتات المشروع وتنظيمه. ويختلف عن سائر الملفات التي عملت عليها في الفصل السابق من عدة نواحي، وهو أنه ذو شمولية أكبر وتفاصيل أكثر، وله طريقة بناء متفق عليها في جميع أنحاء العالم. فلا مجال للاجتهاد هنا، وإنما يجب اتباع الطريقة المعهودة في جميع الملفات التعريفية المعمول بها في جميع الشركات والجهات.

إن الهدف من هذا الملف يتلخص في الآتي:

١ -**زيادة التركيز خلال المشروع:** حيث سيساعدك على الحفاظ على وجهتك خلال مرحلة ما قبل الإنتاج، والإنتاج، وما بعد الإنتاج. فهو بمثابة حجر الزاوية للمشروع والذي يقوم عليه باقي البناء. فإذا تم بناؤه باهتمام فإنه سيساعدك بعد توفيق الله في مواجهة جميع التحديات وتخطي العقبات. وكما ذكرنا كثيراً بأن صناعة الأفلام الوثائقية دائماً ما تتعرض للكثير من التغيرات والاقتراحات والمفاجآت في كل مراحل صناعتها. ولكي لا يتعرض الفيلم لتغيرات حادة تحده عن طريقه الأساسي وجب أن يكون هذا الملف حاضراً معك طوال الطريق للاحتكام إليه.

٢ -**الحصول على الدعم:** لكي يتم إنتاج هذا العمل على أكمل وجه لابد من الحصول على الدعم المادي الذي يغطي تكاليفه. ويكون الدعم من جهة رسمية أو خاصة أو غير ربحية أو من شخصية معينة. ولكي يتم عرض المشروع بالشكل الجيد والمشرّف وليكون مستحِقّا للدعم والتمويل لابد أن يتم تصميم هذا الملف مسبقاً لتقديمه لهذه الجهات. فهذه الجهات ستحتاج الكثير من المعلومات لتقيس مستوى تلبية الفيلم لأهدافها الاستراتيجية وتوافقها مع رسالتها، ولمعرفة مدى جديّة الفريق وراء هذا الفيلم.

٣ -**اختيار الفريق:** سيساعدك هذا الملف على تحديد الكفاءات التي ستحتاجها بدقة في مشروعك دون زيادة أو نقصان. بالإضافة إلى أن إعداد هذا الملف باحترافية عالية قد يستقطب المحترفين وذوي الخبرة وشركات الإنتاج الذين تطمح لأن تعمل معهم لإنتاج هذا المشروع، فقد يكون هذا الملف سبباً لإقناعهم بأن ينضموا لفريق الفيلم.

عناصر الملف التعريفي للمشروع

يجب في البداية أن يتم تحديد الهدف أو الجهة المعنية بقراءة هذا الملف، فالملف الموجه لجهة تمويلية يختلف قليلاً عن الملف الموجه لفريق العمل. فبعض المعلومات قد تكون عالية

الحساسية، لذلك يتم ذكرها في نسخة دون أخرى، كالتفاصيل المالية وأرقام التواصل وغيرها من المعلومات السرية.

وقد يختلف الملف أيضاً في الأسلوب التعبيري في الكتابة، فالملف الموجه للجهة التمويلية لابد أن يكون مليئاً بمصطلحات تحفيزية وتشويقية لكسب اهتمامهم وجذبهم لتمويل المشروع. أما النسخة الموجهة للفريق لابد أن تتحلى بالجدية والتفاصيل الدقيقة قدر المستطاع، لأن عملهم يتطلب استيضاحاً لكل شيء له علاقة بالفيلم. وغيرها من الفروقات التي تتبع المبدأ المعروف" :لكل مقام مقال."

يختلف حجم الملف التعريفي وعدد صفحاته من مشروع لآخر. فملف مشروع فيلم قصير قد يحتوي على صفحتين إلى ٣ كحد أقصى. وملف مشروع الفيلم الطويل من ٧ إلى ١٠ صفحات، وهكذا. ولكن ضع في الحسبان بأن عدد الصفحات لا يدل أبداً على مدى قوة المشروع، وإنما بمحتواه واحترافية إعداده وتصميمه. فمحتوى الملف غالباً ما يعكس شخصية صانع الفيلم وفريقه، فإن كان متقناً ومنظماً وذا معلومات مثبتة وصحيحة، ويحتوي على كافة الإجابات على أسئلة قارئه، فإن هذا سيعطي انطباعاً إيجابياً عن فريق الفيلم.

وأيضاً يجب مراعاة اللغة المستخدمة في كتابته، وذلك عبر تقصيك المسبق عن اللغة المفضلة عند الجهة التمويلية وعند فريق العمل. ويجب أيضاً مراجعته عدة مرات للتأكد من خلوه من الأخطاء الإملائية واللغوية. بإمكاني أن أتنبأ بالكثير من الأمور عن شخصية صانع الفيلم إذا وجدت أخطاء إملائية فادحة في الملف التعريفي الخاص بمشروعه، ودائماً ما تكون الانطباعات سلبية جداً.

قد يعتبر البعض أن ما قلته ضرباً من المثالية الزائدة، ولكني أظن بأن الكثيرين من ممثلي الجهات التمويلية يشاركونني هذا الرأي. فوجود هذه الأخطاء -وخصوصاً إذا كانت بديهية وواضحة -يعطي انطباعاً بأن من أعده استعجل في إرسال الملف، ولم يهتم بمراجعته أو عرضه على خبير لغوي ليدققه. مما يجعل قارئه يشعر بأن من أعده لم يُعره ذاك الاهتمام الذي يستحقه. وقد يؤدي هذا الأمر في أسوأ حالاته إلى فقد اهتمام ممثل هذه الجهة بالمشروع برمته، وجعله يضع الملف جانباً.

إن الملف التعريفي للمشروع يحتوي على العناصر الأساسية التالية:

١ -**صفحة الغلاف :Cover Page** حتى وإن كان عدد صفحات الملف قليلاً، فإنه من اللائق أن تبدأه بصفحة غلاف يحتوي على اسم المشروع أو الفيلم الوثائقي، اسم صانع الفيلم ومعلومات التواصل كالإيميل ورقم الجوال أو رقم هاتف المكتب، اسم الشركة التي ينتمي لها صانع الفيلم أو اسم المؤسسة التي يملكها مع وضع الشعار الخاص بهذه المؤسسة وموقعها الالكتروني، تاريخ اليوم الذي تم فيه تجهيز الملف أو تاريخ إرساله للجهة. وإن كان مناسباً فحبذا إضافة صورة مناسبة تعبر عن فحوى المشروع.

٢ -**المحتويات :Table of Content** إن كان عدد صفحات الملف أقل من ٣ صفحات فإنه ليس ضرورياً إضافة صفحة مخصصة للمحتويات.

٣ -**نبذة :Brief** ويتم فيه استعراض القضية ما وراء القصة التي يهدف صانع الفيلم تناولها في فيلمه، وذلك عبر عرض نبذة موسعة عن القضية وعرض بعض الإحصاءات عنها وتوضيح المشكلة، ليتبين للقارئ أهمية الموضوع وأهمية صناعة هذا الفيلم. ومن المهم أن يتم التفصيل فيه قدر المستطاع مع ذكر الأدلة وأبرز نتائج الأبحاث التي تم إجراؤها مسبقاً. ولا يتم هنا التطرق للفيلم بعد، وإنما يهدف هذا الجزء إلى تهيئة القارئ عقلياً ليأخذ لمحة عن الموضوع وأهميته.

٤ -**ملخص الفيلم :Summary** ويتم هنا عرض شرح عن قصة الفيلم وأحداثه. وله قسمان:

Logline:ويكون عبارة عن جملة واحدة فقط تشرح ملخص فكرة الفيلم بأسلوب يشد من يقرأه ويزيد من اهتمامه لمشاهدته. وله طريقة محددة لكيفية صياغتها:

- تتكون من جملة واحدة أو اثنتين، وعدد كلمات لا تزيد عن ٥٠ كلمة.
- يُذكر فيها الشخصيات الرئيسية وأهدافها وأعداؤها ومكان القصة.
- لا يُستخدم فيه أسماء الشخصيات، وإنما وصف واضح ومناسب لها.
- استخدام كلمات تشويقية في وصف الحدث الرئيسي للفيلم.
- استخدام الزمن الحاضر والفعل المضارع في صياغته قدر الإمكان.

مثال /فيلم لعبة العاج :The Ivory Game
ناشطوا الحياة البرية يستغلون الصيادين لمحاولة إنهاء تجارة العاج غير القانونية في إفريقيا.
وإذا أردت أن تطّلع على الـ Loglineالخاص بأي فيلم، فما عليك إلا أن تبحث عنه في موقع imdb.comأو نتفلكس، وستعثر عليه في أول جملة تحت اسم الفيلم وغلافه.

Synopsis:وهو ملخصٌ للفيلم مشابه للـ Loglineولكنه يحتوي على جمل وعدد كلمات أكثر، ويكون محتواه ذا شمولية وتفاصيل عالية، وليس له قوانين صارمة في صياغته.

٥ -**الأهداف :Objectives** يتم هنا وضع قائمة بالأهداف المرجوة من وراء الفيلم، كإبراز قضية معينة، أو تسليط الضوء على شريحة معينة من الناس مع عرض معاناتها وتحدياتها، أو التغييرات التي يطمح صانع الفيلم أن تحدث في نظرة الناس لأمر معين، أو نتائج ملموسة يطمح أن تتحقق على أرض الواقع، وغيرها من الأهداف.

٦ -**الرسالة :Message** يصيغ صانع الفيلم هنا جملة تشرح بالضبط ما يريد إخبارنا به ورسالته بكل اختصار من وراء الفيلم. وهنا تتبين نيته من إنتاجه ومن عرض هذه القصة.

٧ -**الشريحة المستهدفة :Target Audience** لابد من تحديد تفاصيل الجمهور المستهدف بكل دقة، مع ذكر الفئة العمرية والجنس والمنطقة وغيرها من التفاصيل. فلتحديد الجمهور المستهدف

أهمية كبيرة في اختيار الأسلوب الأمثل في تناول القصة وفي تفاصيل قد لا تلقى لها بالاً، كاختيار اللهجة واللغة واحترام العرف العام لتلك المنطقة وغيرها من الأمور.

٨ -**المعالجة :Treatment** يتم هنا إضافة المعالجة التي عملت عليها مسبقاً في الفصل السابق، وبإمكانك اختصارها وإجراء التعديلات اللغوية والبلاغية عليها حسب الشخص أو الجهة المستهدفة لقراءة هذا الملف. وبعض الجهات التمويلية تطلب السيناريو المنسق Formatted Scriptوذلك لرغبتهم في رؤية الشكل الشبه النهائي للفيلم وللتأكد من حبكته وتنظيمه ومكوناته بدقة. فبعض هذه الجهات تهتم بهذه التفاصيل لكي لا يحتوي السيناريو على أي أمور تخالف توجهاتهم وأهدافهم.

٩ -**تسلسل الفيلم :Segments** يتم هنا وضع التسلسل المبدئي الذي عملت عليه في الفصل السابق، مع إضافة ملاحظة بعدها بأنه قد تجرى بعض التعديلات عليه، وأنه من المحتمل أن تتغير بعض تفاصيله لاحقاً.

١٠ -**عن المخرج :About Director** يتم هنا عرض نبذة موجزة عن صانع الفيلم وخبراته وأبرز مشاريعه السابقة، وإن أمكن وضع الروابط لتلك المشاريع. ويفضل هنا انتقاء المشاريع المشابهة للمشروع المذكور في هذا الملف، فإن كان المشروع فيلماً وثائقياً فيستحسن عدم وضع مشاريع الإعلانات التجارية أو الأفلام الروائية التي عمل عليها المخرج سابقاً إن كان عنده قائمة لا بأس بها من المشاريع الوثائقية.

١١ -**رؤية المُخرج :Director's Note** بغض النظر عن نوع مشروع الفيلم الذي تريد صناعته، فإن أغلب العملاء والمنتجين والجهات الرسمية ذات العلاقة تطلب شرحاً يسمى "رؤية المخرج "Director's Noteلتتعرف أكثر على شخصية الذي سيعملون معه ورؤيته وأهدافه. فهذا الشرح سيظهر جوانباً من شخصيتك تهم كل من حولك. فنسبة كبيرة مما تحاول بيعه وإقناع هؤلاء العملاء به هو "أنت "وشخصيتك وموهبتك وشغفك، ويهمك أن تبني علاقة ما بينك وبينهم. حتى لو لم تعمل معهم في هذا المشروع فإنك قد تعمل معهم لاحقاً إن اقتنعوا بك. الكثير من الفرص التمويلية تتحقق لأولئك الذين استطاعوا أن يقنعوا هذه الجهة أو هذا المنتِج بهم وبشخصيتهم. فإن أحبوك فهذه دلالة على ثقتهم بك وأنك ستصنع لهم عملاً يفوق كل توقعاتهم.

١٢ -**اللقاءات :Interviewees** قائمة بأسماء الأشخاص الذين ستقابلهم مع نبذة بسيطة عن كل واحد منهم، ومعلومات التواصل معهم، وقائمة الأسئلة التي ستسألهم إياها.

١٣ -**أماكن التصوير :Locations** من المهم وضع قائمة تفصيلية بالأماكن التي ستصور فيها فيلمك مع ذكر المدة التقديرية التي ستحتاجها في كل منطقة، مع توضيح الاحتياجات الاستباقية لكل مكان كالتصاريح أو سيارات الدفع الرباعي وغيرها.

١٤ -**أدوات التصوير " Equipmentاختياري:"** بعض المنتجين والممولين يطلبون تفصيلاً دقيقاً للأدوات التي ستستخدم في التصوير -كأنواع الكاميرات والصوتيات والإضاءات وأعدادها-، وخصوصاً إذا كانت هناك أدوات عالية الحساسية في استخدامها في مناطق معينة -كالطائرات ذات التحكم عن بعد Dronesوغيرها-.

١٥ ـفريق العمل " Teamاختياري:" قائمة بأهم أعضاء فريق المشروع مع ذكر منصب ودور كل واحد منهم. وبإمكانك أيضاً وضع قائمة بأسماء الكفاءات التي تطمح أن تعمل معها بعد الحصول على الدعم.

١٦ ـالخط الزمني للمشروع :Timeline لهذه الفقرة أهمية كبيرة، فهي تعرض المدة الزمنية التي سيستغرقها المشروع من أوله إلى آخره. ويتم توضيح تفاصيل المهام التي ستنجز في كل مرحلة. بالإضافة إلى تحديد موعد الانتهاء من المشروع وتسليمه بدقة. إن تحديد يوم التسليم مهم حتى بالنسبة لك أنت، فالفيلم قد يتعرض للكثير من التطوير وإعادة الصياغة وإعادة المونتاج وقد لا يتوقف هذا المنوال إلى الأبد. لذلك لابد أن تضع يوماً محدداً بصرامة، والذي سيتوجب عليك أن تترك العمل عليه تماماً بعدها لتنتقل إلى تجربة وثائقية أخرى.

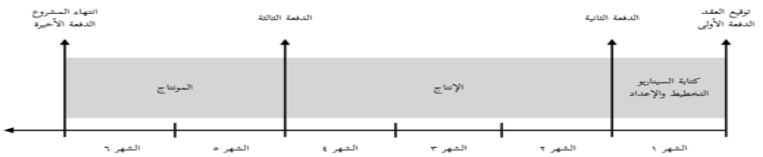

١٧ ـميزانية المشروع :Budget وهو الجدول الذي يحوي كامل تكاليف الإنتاج، ومن المهم ضمه في الملف الذي سيتم تقديمه أو إرساله للجهة التي قد تدعم فيلمك. ومن المهم تحري الدقة والبحث اللازم خلال إعداده، فالتكلفة النهائية هي التي ستقوم بطلبها من الجهات الداعمة. وإن زادت التكلفة عليك خلال مرحلة متأخرة بسبب ضعف في إدارة الأمور أو عدم البحث جيداً في التكاليف، فإن أغلب هذه الجهات قد لن تقوم بدفع أي مبالغ إضافية لك لاحقاً. وهذا الذي حصل معي في كل المشاريع التي عملت عليها بلا استثناء، مما اضطرني الأمر أن أدفع من جيبي الخاص.

تكاليف الإنتاج

دائماً ما يقف هذا الأمر عائقاً أمام صناع الأفلام المبتدئين الطموحين. ولطالما كانت عندنا الكثير من الأفكار الرائعة التي كنا نحلم بصناعة فيلم جميل عنها، ولكن كانت تكاليفها هي ما جعلتنا نتنازل عن هذه الأحلام والطموحات.

إن العثور على التمويل اللازم للمشروع هو جزء لا يتجزأ من العملية كلها، فكما أن تصوير المشروع جزء أساسي منه، فإن التمويل كذلك. فالبعض ينظر إليه على أنه عائق، وهو في الحقيقة ليس كذلك. هو عبارة عن مرحلة من مراحل المشروع الذي يجب أن تتعلم طرقه وأساليبه. هو شر لابد منه، فكل صناع الأفلام الوثائقية بلا منازع يضطرون إلى إضافة مهارة "جمع الدعم Fundraising"إلى قائمة مهاراتهم الأخرى. وإن لم يستطيعوا فإنهم يبحثون عن صاحب الخبرة

في هذا المجال؛ ليقوم بهذه المهمة بالنيابة عنهم، مقابل نسبة يتفقون عليها فيما بينهم. وسنقوم بشرح كيفية العثور على الدعم فيما بعد.

تكاليف الإنتاج تكون مقسمة وموزعة على الأمور التالية، ويتوجب عليك إعداد جدول لكل هذه التفاصيل لكي تعرف التكلفة النهائية لمشروعك:

١ -**تكاليف الشركة المنفذة:** حيث إن بعض صناع الأفلام يفضلون العمل مع شركة متخصصة تقوم بإدارة المشروع وتأمين كامل متطلباته وفريقه له. وهذه الشركات تقوم بحساب تكاليف المشروع بالكامل وتزيد عليه هامشاً ربحياً لها.

٢ -**تكاليف ما قبل الإنتاج:** كالبحث والكتابة والإعداد والتخطيط والحجوزات وكل ما له علاقة بالاستعداد قبل أن تبدأ الكاميرا بالتصوير. فلهذه المرحلة مصاريف مهمة ينبغي عدم الاستهانة بها. وسيتم التطرق بالتفصيل عن أبرز مهام هذه المرحلة خلال هذا الفصل.

٣ -**تكاليف الإنتاج:** كتكاليف الفريق واستئجار الأدوات أو شرائها، والممثلين وتكاليف استئجار أماكن التصوير، والتموين والالتزامات كلها خلال مرحلة الإنتاج.

٤ -**تكاليف ما بعد الإنتاج:** كالتحرير والرسوم المتحركة والمؤثرات ثلاثية الأبعاد والموسيقى وتسجيل التعليق الصوتي وغيرها.

٥ -**التكاليف التسويقية:** وهي تكاليف الحملات التسويقية كالترويج في وسائل التواصل الاجتماعي، أو تصميم موقع خاص بالفيلم. بالإضافة إلى تكاليف ترشيح الفيلم في المهرجانات السينمائية العالمية، فأغلب هذه المهرجانات تشترط دفع رسوم رمزية قبل التقديم للمنافسة على جوائزها. وغيرها من التكاليف اللازمة للتسويق للفيلم بالشكل المناسب له.

○ ○ ○

إن للتجارب والخبرات السابقة أهمية كبيرة في إيجاد حلول كثيرة للتقليل من تكاليف الإنتاج. فبعض هذه التكاليف تكون مبالغة بشكل كبير. وهنا تكمن مهارتك في تحديد مواطن الهدر والبحث عن الحلول التوفيرية. إحدى هذه المهارات هو ما يسمى بـ "Make-or-Buy Analysis"، والذي سيساعدك على القرار حيال شراء أمر ما أو استئجاره. وذلك عبر حساب قيمة الإيجار الإجمالية ومقارنتها مع سعر السلعة أو الأداة. فبعض المشاريع قد تكون مدة إنتاجها طويلة كالبرامج الوثائقية وغيرها، ومن المستحسن هنا أن تقوم بهذه المقارنة حتى تختار الحل الأوفر.

وهناك طريقة يتخذها صناع الأفلام المبتدئين، وهو الاستعانة بمساعدة أصدقائهم الشغوفين مثلهم ليقوموا بعملية الإنتاج سوياً بدون أي تكلفة مرتفعة، كاستعارة كاميرات التصوير والأدوات الخاصة بهؤلاء الأصدقاء مثلاً، وأن يكونوا معك خلال عملية الإنتاج. أو أن يتشاركوا التكاليف سوياً، كتكاليف الطعام والوقود وغيرها من التكاليف البسيطة. إن التعاون من هذا النوع له لذة خاصة، وهي لذة البدايات والتضحيات والأحلام والآمال. ولكل صانع أفلام تجربة مشابهة في

بداياته، وتجده يتذكر تلك الأيام وفي قلبه الحنين للشغف الذي كان عنده في تلك الفترة. فهذا الشغف ليس له مثيل ولن يتكرر أبداً؛ لأنه نبع في أصعب الأوقات وأكثرها تعرضاً للتحديات والصبر عليها. ولن يشعر بها من كان عنده الدعم ومن توفر عنده كل ما يحتاجه.

رحلة البحث عن الدعم

إن الحصول على التمويل والدعم المادي لفيلمك هو رحلة مغامرة بحد ذاتها. فأنت هنا تسعى بكل جهدك لتجعل هذه الجهة تقوم بإخراج المال من جعبتها لتضعه في جعبتك أنت، وهذا من أصعب الأمور. ولكي تتمكن من جعلها تفعل هذا الفعل لابد أن يقتنعوا بك أولاً، ومن ثم قصتك وبمستقبل هذا المشروع والعائد الذي سيعود لهم منه، سواء على هيئة ربح أو علاقات أو تسويق. ويزيد صعوبة إقناع هذه الجهات عندما يعلمون بأن هذه المشاريع لا تعود لهم بربح مادي بالعادة، وإنما ربح معنوي وتسويقي في أغلب الأوقات، وقد يزيد هذا من تردد هذه الجهات للخوض معك في هذه الرحلة.

وليس في طلب المال لإنتاج فيلمك أي عيب أو مذلة. فالبعض يتحسس من هذا الأمر ويعتبره تقليلاً من قيمته ومكانته. وهذا بالطبع ليس التفكير الذي يقوم عليه عالم صناعة الأفلام وعالم الأعمال أيضاً. فهذا المجال عبارة عن شراكات وتعاونات وتبادل مصالح. فالمال الذي ستأخذه من هذه الجهة لن يذهب إلى جيبك الخاص بالكامل، بل تم دفعه لك لتنتج هذا المشروع الذي سيخدم مصلحتهم قبل مصلحتك أنت.

ولا ينبغي أن يكون أسلوبك يعلوه التوسل والتوتر عند طلب الدعم، تذكر دائماً بأنك عبارة عن صانع فرص. فأنت تعطيهم فرصة أن يشاركوك معك في عملية إنتاج قطعة فنية، وفرصة تسليط الضوء على قضايا ومواضيع مهمة، وفرصة نشر التوعية والفائدة والفن. الكثير من الممولين يقدّرون هذه الفرص ويرغبون باللقاء مع شخص ذي ثقة عالية بفنه وموهبته وموضوعه ليصنع لهم هذا المنتج الفريد.

ويجب أن تعلم بأن الجهات تقوم بالاستثمار في الأشخاص وليس في الأفكار، فلن ينفعهم المشروع إن لم يتقبلوا صانع الفيلم ولم يثقوا به. فإن حصل هذا القبول والثقة فلن يضرهم شيء بعد ذلك. لذلك من المهم أن تحرص على أن تبيع لهم فكرة هويتك وشخصيتك وإبداعك وتفانيك وموهبتك قبل أي شيء. فإن تيسر هذا انفتحت كل الأبواب بعدها بإذن الله.

وبطلبك لهذا المال تكون قد أشركتهم معك في القرار حول بعض الأمور، كالمحتوى واختيار الشخصيات وأماكن التصوير وتاريخ التسليم وغيرها. فلهم الحق في القرار معك مقابل الدعم المادي الذي وافقوا عليه.

بعض صناع الأفلام يمانعون أن يتدخل أحد في المحتوى وغيره من الأمور، ويجب توضيح الشروط التي يريدها الطرفان خلال الاتفاق على التعاون. وهناك الكثير من الممولين يقبلون بعدم التدخل في المحتوى، والبعض الآخر يرغبون في مشاركة صاحب الفيلم القرار في كل

شيء، فلكلٍ طريقته في إدارة الأمور. ولكن الأهم من هذا كله هو التوافق ما بين صانع الفيلم والممول أو الداعم، وتقبلهم لبعضهم وارتياحهم للعمل سوياً من أجل هدف مشترك.

○ ○ ○

بإمكان هذه المغامرة -رحلة البحث عن ممول -أن تكون من أمتع اللحظات ومن أسوأها في نفس الوقت، ويعتمد ذلك على طريقة نظرتك لها. فالبعض ينظر لهذا السعي الحثيث والاجتماعات الكثيرة والخروج من أغلبها بدون نتائج جيدة، وعدم قدرتهم على النوم في الليل، وجلوسهم الطويل في صالة الانتظار أمام مكتب العميل، وقيادتهم للسيارة تحت الشمس وعلى المقعد المجاور لهم الحقيبة التي تحوي ملف المشروع والكثير من الأحلام والطموحات، على أنها مغامرة ممتعة. وينظرون إليها بأنها قد تتحول إلى قصة نجاح وأن نهايتها حتماً ستكون سعيدة. وقد يتذكرون بعض الأفلام السينمائية التي تحكي عن قصص تجارب مماثلة، والتي تكون نهاياتها سعيدة بعد مغامرة شاقة وحالمة.

البعض يستمتع بهذا التعب، وقد يشعر بأنها جزء من تركيبته وجيناته. وأن هذه هي الحياة وهذا هو حقيقة العيش،)لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر .(ويستمتعون بها خصوصاً إذا كانوا قد عاشوا تجربة سابقة مماثلة. فطعم السعادة الذي تذوقه في ساعة النصر لا يشبهه أي طعم آخر. وإن إحساس النشوة عند الوصول -الذي قد يدوم عدة ثوانٍ -هو أجمل وأعمق من اختزال أي جهد للوصول إليه.

قد يكون كلامي حالماً بعض الشيء -ولكن هذا هو الواقع الذي عشته وعاشه الكثيرون ممن تعبوا لتحقيق أحلامهم -وهو أنه خلال مرحلة الإنتاج خصوصاً -المليئة بالتعب والإرهاق -لا أفكر إلا في تلك اللحظة التي سيصفق فيها الجمهور بعد مشاهدة الفيلم. هذه الثواني القليلة من الموجة العاصفة المليئة بالإعجاب والانبهار والدهشة هو ما أسعى لسماعه دون أي شيء آخر. عشته لأول مرة في أحد المهرجانات السينمائية، ويستحيل أن أصف لك ما حصل في قلبي حينها من الزوابع الجياشة. كان أعمق إحساس شعرت به في حياتي، فأصبح كالإدمان بالنسبة لي كلما فكرت في صناعة فيلم جديد.

ونفس الشعور يراودني في اللحظة التي أوقّع فيها على عقد أو اتفاقية مع ممول أو عميل. الثانيتان التي يستغرقهما إمضاء التوقيع، وصوت القلم وهو يتراقص على سطح الورقة تكون بمثابة السمفونية العذبة التي أتمنى ألا تنتهي.

ما أريد قوله هو أن لكل هذا التعب والسعي والسهر نهاية لا شك سعيدة، وستكون ممتعة وربما مبكية. لذلك ضع النهاية نصب عينيك خلال سعيك. فكر في الجائزة التي ستحصل عليها، سيخفف هذا كثيراً من مشاعر الألم خلال المغامرة. وستعلم يقيناً بأن هذا الألم زائل ولن يدوم، ما سيدوم هو سعادة الانتصار فقط.

بعد هذه التهيئة النفسية قبل هذه الخطوة الصعبة، دعنا نستهل الحديث عن رحلة البحث عن التمويل وأبرز تفاصيله وصعوباته.

مصادر الدعم

إن الأماكن التي بإمكانك الحصول منها على دعم لفيلمك كثيرة جداً. والفرص متوفرة في كل مكان وتحتاج إلى من يبحث عنها ويستغلها. وقد تبدأ رحلة البحث عن الدعم قبل الإنتاج أو بعده. ومصادر التمويل قد تكون:

١ -جهة حكومية: وزارة أو هيئة أو إدارة.
٢ -شركة خاصة: وخصوصاً إذا كان عندها برامج مجتمعية أو حملات توعوية تدعم المشاريع المشابهة لمشروعك.
٣ -رجل أعمال: معروف عنه دعم المواهب ودعم المشاريع التنموية والإبداعية.
٤ -جهة بث: أي محطة تلفزيونية أو منصة الكترونية تعرض مثل هذه المشاريع، وقد تتفق معهم قبل الإنتاج أو بعده.
٥ -مسابقة أو منحة: وخصوصاً تلك التي تفتح باب تقديم الأفكار والملفات اللازمة لترشيح الفائزين المستحقين للدعم.
٦ -صندوق دعم: بعض المهرجانات السينمائية والمنظمات يكون عندها صندوق استثماري لدعم الأفلام التي تدور حول مواضيع محددة.
٧ -الأصدقاء والعائلة: قد يجد أحدهم الحل عند أقرب الناس إليه، ولا ضير من المحاولة.
٨ -مالك الخاص: بعض صناع الأفلام وخصوصاً المتمرسين والذين صنعوا أفلاماً تم بيعها مسبقاً، وعندهم الدراية الكاملة بكيفية التربح من المشاريع، يقومون باستثمار أموالهم في المشاريع التي يؤمنون بأنها ستعود لهم بالربح لا محالة. فالبعض يتوفر عنده مبلغ يفي بالغرض خلال فترة الإنتاج ويستثمره في المشروع ليكسب عائداً أكبر بعد إنتاجه من خلال بيعه أو الحصول على الرعاية.

الترويج للفكرة Pitching

يجب أن تعلم بأن ما ستقوم به الآن هو عبارة عن "مبيعات "Sales، فلابد أن تتقن هذا الفن وأن تقرأ عنه وأن تأخذ لمحة عن أبرز المهارات والطرق والتقنيات فيه.

بعد إعداد الملف التعريفي لفيلمك خذ متسعاً من الوقت لوضع خطة البحث عن الداعم، وذلك بأن تحدد الجهات المحتمل اهتمامها بتمويل مشروعك. وإذا وضعت القائمة بهذه الجهات ضع خطة جيدة لجدولة زيارتك لهم. ولكن قبل أن تتوجه إليهم لابد أن تقوم ببحث شامل حول هذه الجهة، لتفهم توجهاتها ونوع المشاريع التي تمولها. لابد أن تفهم نفسياتهم وميولهم وذلك عن طريق مشاهدة أعمالهم السابقة وحسابات التواصل الاجتماعي أو الموقع الرسمي، أو حتى عبر الاتصال على أحد معارفك الذي عمل معهم مسبقاً أو حصل منهم على دعم لمشروعه لتستشيره وتطرح عليه بعض الأسئلة المهمة.

بعض ممثلي الجهات يفضلون أن يشاهدوا الملف التعريفي للمشروع على هيئة عرض Power Pointأو .Keynoteحقق لهم ذلك مع إحضار نسخة من الملف التعريفي لتسلمه لهم

يدوياً أو عبر إرساله بالإيميل، ولا تنس ورقة الـ NDAالتي تحدثنا عنها في نهاية الفصل السابق.

اتفاقية الدعم

إن الاتفاقية ما بينك كصانع الفيلم وما بين الجهة الداعمة قد تكون على النحو الآتي:

- **دعم:** بحيث يكون هو الداعم الوحيد للمشروع دون مقابل مادي، أو مجموعة داعمين.
- **رعاية:** وذلك مقابل تقديم خدمات تسويقية له عن طريق وضع شعاره في بداية الفيلم تحت Product Placement، أو عرض منتجاته في الفيلم بطريقة غير مباشرة "...هذا الفيلم برعاية "مسمى وقد يكون هناك أكثر من راعٍ للفيلم.
- **اتفاقية عرض:** وهو عملية بيع الفيلم لجهة بث أو قناة أو منصة الكترونية أو وسيلة وقد مواصلات، وتدفع لك مقابل شراء كامل حقوق الفيلم، أو العرض الأولي لمدة محددة يكون هذا الاتفاق قبل إنتاج الفيلم أو بعده.
- **شراكة:** وهو أن تتفقا على مشاركة الأرباح لاحقاً مقابل تمويله لإنتاج الفيلم مادياً ومعنوياً.

إن لأي اتفاق سمة لابد أن تتحقق فيها، وهو "التوافق Harmony". فتحقّق هذا الأمر كفيل بأن يجعل الكثير من التحديات القادمة تمضي بكل سلاسة ويسر وتفاهم. الكثير من صناع الأفلام يهملون هذا الأمر ويركزون على الدعم الذي سيأتي من هذه الجهة وإن لم يكن بينهما توافق أو نقاط اتفاق مُطمْئِنة، فتجده يقبل بالتعاون من تلك الجهة التي قد يظهر عليها الكثير من العلامات التي لا تعطي انطباعاً مريحاً. لا تنس بأن هذا الاتفاق هو كعقد الزواج، فأنتما مرتبطان بالعمل على المشروع لمدة معينة وقد تكون طويلة، ومن أهم دعائم هذا الارتباط هو التوافق الروحي والعقلي. فلا تهمل هذا الجانب أبداً.

عند صياغة العقد فيما بينكما، اتفقا على تحديد من يصيغه ويعمل عليه، سواء كنت أنت الذي ستصيغه أم هم. ولابد أن يكون عندك محام أو أحد الأصدقاء الذين تثق برأيهم القانوني ليقيّم لك بنود هذا العقد وليقوم بالتعديلات المناسبة علَيه. لا تهمل أبداً هذا الأمر، فالكثير من الخلافات المؤسفة التي حصلت ما بين المتعاقدين أنقذها بند واحد يفصل في هذه الخلافات. وغالباً ما يكون من أجرى التعديل عليه أو اهتم بإضافته في العقد هو المحامي أو الصديق الخبير بالأمور القانونية. وهذا الأمر حصل معي شخصياً بالطريقة الصعبة، وأصبحت لا أهمله مطلقاً.

البحث عن الفريق

الفريق الجيد هو الذراع الأساسي لأي مشروع، ولا يقوم مشروع ويتم إنجازه بشكل ممتاز لولا الفريق المتفاني والشغوف والموهوب. لذلك فإنه من الأهمية بمكان أن تركز على اختيار أعضاء الفريق المتمكن والمتمرس، والمؤمن بك و برسالتك ليعينك على تحقيق الهدف.

بعض صناع الأفلام الوثائقية يقومون بعملية اختيار أعضاء الفريق بأنفسهم، وذلك عبر التواصل بهم شخصياً والتعاقد معهم. والبعض الآخر يقوم بالتعاقد مع شركة إنتاج متخصصة

لتساعده على ترتيب كافة الأمور دون أن يتدخل في التفاصيل أو أن يرهق نفسه بها. والبعض لا يفضل هذا المسار، لأنه قد يزيد من تكلفة الإنتاج عليه، فالشركة المتخصصة سوف تضيف هامشاً ربحياً لها على تكلفة الإنتاج، وقد يكون هذا الهامش مبالغاً فيه. ولكن بعض صناع الأفلام يعلمون مسبقاً بقيمة هذا الهامش فيحسبونه ضمن الميزانية المطلوبة للإنتاج لكي يتمكنوا من التعامل مع هذه الشركات. فالعمل معهم سيوفر عليهم الكثير من الجهد الذي يفضل أن يضعوه في أمور أخرى تتعلق بالإبداع والنتيجة النهائية.

إن عملية الإنتاج هو عبارة عن عمل جماعي مشترك. فنتيجة الفيلم الذي عمل عليه فريق بارع بالتأكيد سيكون أفضل من الفيلم الذي عمل عليه شخص أو شخصان. فما سيساهم به الفريق الممتاز للمشروع لا يقدر بثمن في أغلب الأحيان. قد تجده يمدك بالأفكار، وقد يكون سبباً في تذليل الكثير من الصعاب، وقد يفوق توقعاتك بتحقيق المستحيل لك. فبالطبع إذا اجتمعت عدة عقول على تنفيذ أمر ما أفضل من عقل أو عقلين، وكما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" :يد الله مع الجماعة."

لا أعني بكلامي هذا أن تحرص على استقطاب أكبر عدد ممكن من الفريق لتنفيذ فيلمك، فالعدد الزائد عن الحاجة قد يؤدي إلى نتيجة عكسية تضر بفيلمك و بسلاسة تقدمه. ما أريدك أن تركز عليه هو اختيار العدد المناسب والمهارات والخبرات المطلوبة بالضبط لهذا الفيلم دون زيادة أو نقصان. لذلك عند إعداد الملف التعريفي للمشروع حاول أن تحدد بدقة ما تحتاجه وبكل حيادية وبعيداً عن العاطفة والمجاملة، فتنفيذ المشروع باحترافية وجودة عالية وبأقل تكلفة ممكنة هو الاستراتيجية الأساسية التي يجب أن تتخذها. فكن حكيماً في تحديد ما تريد.

إن هناك بعض المعايير المهمة التي قد تساعدك على اختيار الفريق المناسب لمشروعك:

١ -**الخبرة:** وذلك بأن تشاهد الأعمال السابقة التي عملوا عليها، وبإمكانك الاجتماع بهم أو محادثتهم هاتفياً لتسألهم عن بعض الأمور التقنية لتعرف مدى خبرتهم فيها. ولا تحرص كثيراً على الذين يمتلكون شهادات أكاديمية من معاهد أو جامعات، فما يهمك هنا هو مدى قدرتهم وكفاءتهم على تحقيق المطلوب.

٢ -**السُمعة:** لست بحاجة إلى شخص ذي سمعة سيئة أو ذي أخلاق عدوانية. فمشروعك سيعاني من الكثير من الضغوط والتحديات ومن المهم أن يكون عضو الفريق ذا صدر رحب وصبر عالٍ وتفهم لمثل هذه التحديات و معتاد عليها، لا أن يكون متأففاً أو ممن يفقد أعصابه ورباطة جأشه سريعاً. وبإمكانك أن تتواصل مع المخرجين والمنتجين الآخرين لتسألهم عن انطباعهم عن هذا الشخص.

٣ -**التفرغ:** بعض أعضاء الفريق ملتزمون بوظائف صباحية أو مشاريع أخرى، ومن المهم أن تعرف مسبقاً المدة التي ستحتاج تواجدهم معك فيها. ولا يعني هذا أن تكون فوضوياً، وذلك بأن تطلب منهم التزاماً طويل الأمد والمشروع لا يتطلب هذا الالتزام. فقد تحتاج إلى تواجدهم معك

خلال عطلة الأسبوع فقط، أو لأسبوع واحد لا أكثر. لذلك اعرض عليهم المدة المطلوبة بدقة ودعهم يقررون حيال العمل معك وتدبير أمورهم الأخرى ليتماشى وقتهم مع مشروعك.

٤ -**التكلفة:** وذلك أن يتناسب المبلغ الذي يطلبه منك هذا العضو مع ميزانيتك التي وضعتها مسبقاً. فإن كان المبلغ يتخطى توقعاتك فحاول أن تتفاوض معه وبكل ودّ لتلتقيا في منطقة محايدة تتناسب معكما. وإن لم تتفقا فتفرقا بكل مودة وضع في حسبانك الرقم الذي طلبه في المشاريع القادمة.

٥ -**البدائل:** لا تصر على العمل مع شخص بعينه، وخصوصاً إذا لم يكن متفرغاً وقد حاول قصارى جهده لينسق وقته من أجلك ولم يستطع. كن مرناً وضع بعض البدائل حتى وإن اتفقت مع أحدهم. فلا تعلم ما تخبئه الأيام من ظروف، وقد يستأذن منك في منتصف المشروع لظرف طارئ خارج عن إرادته. إن مرونتك العالية وصدرك الرحب في هذه المواقف سيعكس مدى حسن إدارتك للأمور، وسيعكس سمعة جيدة عنك في المشاريع القادمة.

أعضاء الفريق

إن فريق العمل في مشاريع الوثائقيات يتكون من الآتي، وقد يزيد حسب احتياجك في مشروعك:

- **المنتج التنفيذي** Executive Producer: هناك بعض الجدل حول الدور الفعلي للمنتج التنفيذي، ومع ذلك فإن المنتج التنفيذي بشكل عام هو الداعم المالي الرئيسي للمشروع، ولكنه وله الكلمة الأخيرة في الموافقة أو الاعتراض على. غير مسؤول عن القرارات اليومية فيه الفيلم الوثائقي بعد الانتهاء منه.
- **المنتج** Producer: هو المسؤول عن اختيار أعضاء الفريق والتعاقد معهم، والمشرف على يعمل المنتج بشكل وثيق مع المنتج التنفيذي والمخرج. المصاريف اليومية للمشروع.
- **المخرج** Director: وظيفته الأساسية هي خلق رؤية الفيلم بكل تفاصيله، والتأكد من يتواصل المخرج. محافظة الفريق على المعايير العالية خلال جميع مراحل صناعة الأفلام بشكل مباشر مع المصور ليشرح له رؤيته الفنية في تصوير المقابلات والمشاهد الجمالية ويكون على تواصل أيضاً مع مدير الإنتاج وكاتب السيناريو والمحرر. والتمثيلية وغيرها إن المهام الموكلة إلى مخرج الفيلم كثيرة جداً، لذلك وجب اختياره- وغيرهم إذا تطلب الأمر- ويفضل أن تكون عنده خبرة كافية في المجال، لأن الأسئلة ستنهال عليه من. بدقة وبجدية فريق العمل حول الأمور التقنية والفنية، ويجب أن تكون عنده الإجابة عليها جميعها.
- **كاتب السيناريو** Script Writer: هو المسؤول عن كتابة النصوص والحوارات والأسئلة يعمل على النسخة المبدئية من سيناريو. وقائمة لقطات التصوير وبناء هيكلة الفيلم بشكل عام ما قبل الإنتاج وأيضاً السيناريو ما بعد الإنتاج، وقد تتكون من عدة نسخ.
- **الباحث** Researcher: وهو المسؤول عن إجراء عملية البحث الشاملة حول قصة الفيلم، وله دور أيضاً. بالإضافة إلى عرض نتائج هذا البحث على الفريق وترتيبها بطريقة مناسبة

خلال مرحلة المونتاج في التدقيق على المعلومات المذكورة في الفيلم وقد يُطلب منه إجراء وقد يكون عنده فريق يساعده في مهامه. أبحاث إضافية ضرورية.

- **مدير الإنتاج Production Manager:** وظيفته هي تقديم الدعم للمخرج، والقيام بمهام حيث يقوم بالأعمال اليومية لجدول الإنتاج والخدمات. متنوعة لضمان الإنتاج بسلاسة اللوجستية والتنسيق مع الضيوف والممثلين والمواقع ورحلات السفر والفنادق وغيرها. ويكون عنده بالعادة مجموعة من. بالإضافة إلى توفير كافة الأدوات والتموين للفريق المساعدين.
- **مساعد الإنتاج Production Assistant:** الأبطال المجهولون في فريق صناعة الأفلام قد يكون هؤلاء متدربين في الجامعة أو أصدقاء مهتمين أو. الوثائقية هم مساعدو الإنتاج أشخاصًا يريدون ببساطة تعلم مجال صناعة الأفلام الوثائقية من الألف إلى الياء أو حتى يقومون بمجموعة متنوعة من المهام التي يطلبها منهم مدير. متخصصين في هذه المهمة المسؤولون عن. الإنتاج، كالتنسيق والإعداد والتواصل وتوفير الأدوات والتموين وغيرها والمسؤولون عن شراء الأشياء اللازمة Coordinatorsالتنسيق والتواصل بالعادة يسمون واستئجارها Runners.
- **مدير التصوير Director of Photography أو DOP أو DP:** هو المسؤول عن الرؤية الفنية في التصوير، حيث يشرف على المصورين ومدراء الإضاءة والصوتيات وغيرهم ممن وبحسب الميزانية الموضوعة لإنتاج الفيلم. لهم دور مهم في تكوين الصورة المراد تصويرها. وبحسب كمية عبء العمل، قد يقوم مدير التصوير بالتصوير بنفسه.
- **المصور Camera Operator:** هو المسؤول عن التصوير وإدارة الكاميرا وكروت ولابد أن يتحلى بسرعة البديهة وبالتيقظ أيضاً في أداء. الذاكرة والعدسات والإكسسوارات وعليه أيضاً تفادي أي. التصاوير، فقد يتوجب عليه الإسراع في تصوير لقطة قد لن تتكرر. خطأ قد يؤدي إلى فقد الملفات المصورة، فرأس مال المشروع كله بيديه.
- **مهندس الصوت Sound Recorder:** المسؤول عن تسجيل الصوت في اللقاءات والمشاهد ويحرص في بعض الأحيان على تسجيل صوت الطبيعة. التمثيلية والمشرف على أدواته. للأماكن التي يتم تصويرها لاستخدامها لاحقاً في المونتاج إن تطلب الأمر ذلك.
- **مدير الإضاءة Gaffer:** المشرف على تنسيق توزيع الإضاءة في مكان التصوير بالإضافة ويكون عنده بالعادة مجموعة من. إلى مسؤوليته في توفير الكهرباء لمكان التصوير ، فأدوات الإضاءة تكون Best Boy Gripو Best boy Electric المساعدين لأداء مهمته. ثقيلة جداً وكثيرة في بعض الأحيان.
- **ممنتج Editor:** بعد تصوير الفيلم يقوم الممنتج الموهوب وذو الخبرة والذكاء ببناء المظهر يقوم باختيار اللقطات المصورة والمسموعة وتنسيقها وترتيبها لتخدم. النهائي للفيلم الوثائقي والممنتج في الوثائقيات يختلف عن الروائيات، فالممنتج في. تسلسلاً منطقياً وبارعاً للقصة الوثائقيات من المهم أن يكون ذا عقلية إخراجية وذا فهم عميق للقصة، ليتمكن من بناء توجه فما يقوم به هو بمثابة. مناسب بعد أن تعرضت القصة لبعض التغييرات خلال مرحلة الإنتاج ليطبقه Storyboardأما الممنتج في الروائيات فعنده سيناريو واضح و . للمشروع "السحر" وغالباً ما يكون. على برنامج التحرير، ولا يتطلب منه إبداء تغييرات جوهرية على الفيلم

الممنتج الرئيسي للفيلم الوثائقي هو المخرج نفسه؛ لأن عنده وصفة لا يمكن أن يفهمها أحد Assistant Editorوقد يكون عنده مجموعة من المساعدين ليقوموا بتنسيق التصاوير . غيره وقد. وغيرهم Color Correctorومصحح الألوان Sound Mixerوتنقية الأصوات Motionيتعامل مع شركة أو مواهب تقوم بتصميم الرسوم المتحركة وثلاثية الأبعاد اللازمة لشرح بعض الأمور والإحصاءات في الفيلم وغيرها من Graphics & 3D الطلبات.

- وظيفته هي تأليف وتلحين الموسيقى المناسبة:**Music Composer** **المؤلف الموسيقي** يقال دائماً بأن الفيلم الوثائقي هو في الغالب تجربة بصرية، ومع ذلك. لجو الفيلم الوثائقي تعطي الموسيقى الشعور والعاطفة المطلوبة للاستمتاع بهذه التجربة البصرية، ولا ينبغي يمكن أن تلعب الموسيقى التصويرية الجادة دوراً حاسماً في الإنتاج الوثائقي. الاستهانة بها ولكن بعض. بالعادة يقوم الممنتج باختيار مقطوعات موسيقية مناسبة جاهزة من مواقع كثيرة يطمحون إلى أن تكون المقطوعات الموسيقية للفيلم أصلية ومن تأليف -وهم قلّة-المخرجين فريقه، وهنا يأتي دور مؤلف الموسيقى فقط.
- وهو صاحب الصوت العميق والمؤثر الذي يحكي أحداث الفيلم ويقوم: **Narrator** **الراوي** بجذب انتباهنا طوال فترة المشاهدة، وله دور مهم جداً في ربط الأحداث في الفيلم ببعضها ويجب على المخرج اختيار الراوي بدقة، فلكل نبرة صوت رسالة ودلالة وشعور يختلف من راوٍ لآخر.
- بعض الأفلام والمسلسلات الوثائقية تتطلب مقدماً أو أكثر يظهر خلال:**Host** **المقدم** دوره. وغالباً يكون هدفه هو جذب المشاهد لمتابعة الفيلم. التصوير ليتحدث عن موضوع الفيلم وغالباً ما يكون المقدم شخصيةً. مشابه لدور الراوي، ولكنه يختلف عنه بظهوره بنفسه هنا مشهورة أو ذا جاذبية عالية، وقد يكون المخرج وصانع الفيلم نفسه في بعض الأحيان.
- الذين يقومون بأداء المشاهد التمثيلية في الفيلم، حيث إن بعض الأفلام:**Cast** **الممثلين** ودورها جوهري في "Docudramaدوكيودراما "الوثائقية تتطلب مشاهداً تمثيلية تسمى ويجب اختيار الممثلين بدقة بحيث يتشابهون. توضيح وإعادة تخيل الكثير من الأمور في الفيلم مع الشخصيات الحقيقية، ويكون عندهم المهارة الكافية للتعبير عن المشاعر المطلوبة

والتعابير العميقة.

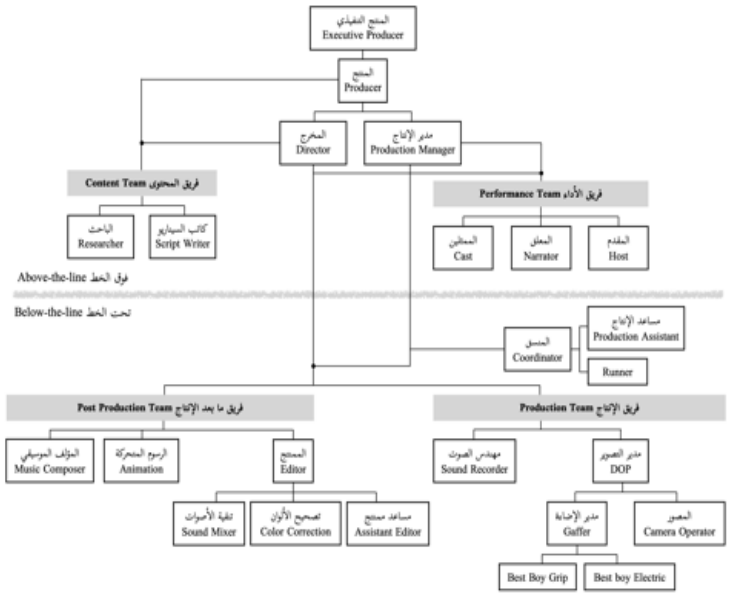

التعاقد مع أعضاء الفريق

إن لكل عضو في الفريق طريقته الخاصة في التعاقد معه، ويعتمد ذلك على منصبه في الفيلم ومدى أهمية دوره فيه، والمدة الزمنية التي سيلتزم بها في المشروع. بالإضافة إلى أن لكل عضو طريقته الخاصة في احتساب تكلفة عمله، فالبعض يتم محاسبته بالساعة والآخر باليومية وغيرهم بالمدة كاملة.

ولكي يسهل علينا الأمر، بالإمكان تقسيمهم إلى مجموعتين: فوق الخط Above-the-line وتحت الخط .Below-the-lineوهذه طريقة تتخذ عادة في حساب ميزانية أعضاء الفريق، بحيث يتم رسم خط أفقي ووضع الأعضاء الإداريين الذين لهم دور جوهري في القرارات الكبيرة في عملية الإنتاج فوقه، والمنفذين والتقنيين تحته)شاهد الرسم البياني السابق. (

فوق الخط :Above-the-line

وهو الفريق الإداري والتنفيذي في عملية إنتاج الفيلم وغيرهم الذين غالباً ما يستمر عملهم خلال أغلب مراحل إنتاج الفيلم. والذين يكون لهم الصلاحية في إصدار قرارات جوهرية في المشروع، ولهم دور مؤثر في تشكيل الرؤية الإبداعية للفيلم. وهم: المنتج التنفيذي، المنتج، المخرج، كاتب السيناريو، الباحث، المقدم، الراوي، الممثلين، مدير الإنتاج. وغالباً ما يتم التعاقد معهم بالمدة الكاملة حسب عدد الأسابيع والشهور، وفي بعض الأحيان بمدة الفيلم نفسه حسب عدد الدقائق.

تحت الخط :Below-the-line

وهو الفريق المنفذ للمشروع ومن في حكمهم من التقنيين. وغالباً ما يبدأ عملهم من مرحلة الإنتاج إلى ما بعد الإنتاج. وهم: مساعدو مدير الإنتاج، مدير التصوير ومساعدوه، مدير الإضاءة ومساعدوه، مهندس الصوت، المحرر وكل من يعمل معه، والمؤلف الموسيقي. ويتم التعاقد معهم بعدد الأيام التي يعملون بها في المشروع، أو عدد المنتجات التي يقدمونها -كعدد المقطوعات الموسيقية التي يعمل عليها المؤلف الموسيقي-، أو عدد الدقائق والثواني في المشروع - كالمحرر ومساعديه.

○ ○ ○

ولكل بلد ولكل ثقافة ومنطقة عرفها السائد في كيفية احتساب التكلفة وأيضاً مقدارها، بل إنه يصل الأمر في بعض الأحيان إلى اختلاف طريقة الحسبة في منطقتين داخل دولة واحدة، لدواع مختلفة. فالمخرج في بعض الأماكن يحسب تكلفته بعدد دقائق الفيلم، والبعض الآخر بالمدة التي سيستغرقها الإنتاج، وهكذا.

ولذلك فإنه يتعين عليك أن تقوم بعملية بحث ميدانية عن طرق احتساب التكلفة لأعضاء فريق العمل حسب المنطقة التي يتواجدون فيها. وفي بعض الأحيان يكون عندك عدة مجموعات من الفريق من دول مختلفة، ولكل مجموعة طريقتها في حساب تكلفتها بحسب المنطقة التي هي فيها. حتى لو كان عندك عدة مصورين موزعين على دول مختلفة وتتشابه مهامهم وعدد أيام عملهم، فإن لكل مصور طريقة مختلفة في حساب تكاليف عمله.

وقد ينشأ هنا خلاف بين أعضاء الفريق، بحيث يعترض المصور من منطقة معينة على طريقة حسبتك لتكلفته -حتى وإن كان متوافقاً مع العرف في منطقته -ويرى بأن المصور في المنطقة الأخرى يربح أكثر منه. هنا يجب عليك اتخاذ أسلوب التقبل لوجهة النظر، ومحاولة توضيح الفارق المناطقي والعرفي في احتساب التكلفة بكل هدوء.

○ ○ ○

يعتمد حجم وشكل العقد مع كل عضو في الفريق على مدى أهمية عمله ومدى التزامه. وتكون بإحدى الطرق التالية:

- **عقد اتفاق Contract:** ويتطلب وقتاً من الزمن. وهو أقوى طرق التعاقد وأكثرها تعقيداً لصياغته، بالإضافة إلى تواجد محام أو شخص ذي خلفية قانونية جيدة للعمل عليه ومراجعته. ويكون هذا النوع من العقود ما بين الجهة المنتجة أو المالكة للمشروع وأعضاء الفريق فوق الخط Above-the-line المهمين جداً، كالمخرج والمنتج، والذين لا يمكن للعمل أن يتحقق ويحتوي على الكثير من البنود التي تلزم الطرفين بأداء المهام المطلوبة منهم. بدون تواجدهم وعدم الإخلال بحقوق الآخر وتفاصيل الحقوق المالية وغيرها.
- **نموذج عرض عمل Job Offer From:** هو نسخة مختصرة من عقد الاتفاق ويتكون من يتم فيها ذكر اسم المتعاقدَين، وتوضيح المهام المطلوبة من العضو وحقوقه. صفحة واحدة ووضع بعض الشروط والتفاصيل حول الأخلاقيات. والمدة الزمنية ومرجعيته الإدارية

وتكون هذه الطريقة لأعضاء الفريق الذين يتطلب تواجدهم لوقت. الرئيسية والدفعات وغيرها أقصر، والذين يعملون لحسابهم الخاص Freelancers.

- **فاتورة من العضو نفسه Invoice:** بعض الأعضاء قد ينتمون إلى جهة معينة أو يكون مالكاً لمؤسسته الخاصة، فيتم إرسال كامل الطلبات والمدة المطلوبة له عبر الإيميل من قِبل مدير المشروع، ويرد عليه بعد موافقته بالفاتورة وفيها كافة التفاصيل والشروط، ليوقع مدير ويعتبر هذا بمثابة العقد بينهما، ولا يستوجب الأمر صياغة. المشروع عليها دلالةً على الموافقة عقد آخر.
- **بيان الموازنة Statement of Balance:** وهو عبارة عن وصل بالمبلغ المتفق عليه وفيه اسم العضو والمهام التي أداها ومدتها والتكلفة الإجمالية، ليوقع على استلامه لهذا المبلغ سواءاً وهذه أبسط طرق التعاقد، حيث إن عمل العضو قد يكون بسيطاً. نقداً أو تحويل للحساب البنكي ، لذلك يكون التعاقد معه مبنياً على الثقة وعلى توقيع-يوم أو يومين-أو مدة عمله قصيرة جداً هذه الورقة بعد الانتهاء من عمله، ويستلم أتعابه بعدها مباشرة.

استعدادات ما قبل الإنتاج

إن أهم جزء في مرحلة ما قبل الإنتاج هو محاولة تخيل مرحلة الإنتاج والترتيب لها بالشكل الذي يتماشى مع رؤيتك وهدفك. فمرحلة الإنتاج كما ذكرنا مراراً وتكراراً مليئة بالتغيرات المفاجئة والتحديات، وفي بعض الأحيان تصبح مغرقة بخيبات الأمل. لذلك، فإن الاهتمام بالاستعداد النفسي والعقلي وحتى الجسدي مهم جداً في المرحلة الحالية، لكي ترفع من ثقتك بنفسك ومن أدائك طوال الرحلة.

مهما تحدثنا عن أهمية مرحلة التخطيط والإعداد فإننا لن نوفيها حقها. فكل الوسائل والتقنيات التي سنتحدث عنها هي عبارة عن رسم خارطة محكمة لطريقك. هدفها هو ترتيب مهامك لتبقى حاضراً طوال الوقت وفي كامل تركيزك، حتى لا تنسى شيئاً و لكي تعطي كل زاوية في القصة حقها من الاهتمام. وهدفها أيضاً هو تحديد مواطن الصرف بكل دقة، حتى لا تتسع فوهة الهدر والإسراف. وأيضاً تهدف جميع الخطط في هذه المرحلة إلى جمع شتات الفريق والضيوف وكل من له علاقة بالإنتاج، ليكونوا في مسار ثابت معك وليلتزموا بها. فـ "الالتزام Commitment" هو أهم أمر يجب أن يفعله الجميع ليحصلوا على أقصى استفادة ممكنة من هذه الخطط، وإلا فإن العمل عليها سيكون مجرد مضيعة للوقت والجهد.

إن العضو المسؤول عن بناء أغلب هذه الجداول وهندستها هو "مدير الإنتاج Production Manager" مع فريق من المساعدين. هدفه الرئيسي هو الالتزام بالمدة الزمنية الموضوعة للمشروع، وإدارة المصاريف المتفق عليها، وتوفير كل ما يلزم سواء أشخاص أو أدوات أو أي طلبات لفريق الإنتاج. وأيضاً مهمته الرئيسية هو الحزم في إلزام جميع فريق العمل بالخطة التي وضعها مهما كانت مناصبهم. فبإمكان المخرج مثلاً أن يطلب كل التعديلات التي يريدها خلال مرحلة الإعداد، ولكن ليس بإمكانه أن يقوم بالتغييرات أثناء مرحلة الإنتاج، فعليه أن

يكون مثالاً يحتذى به للفريق في الالتزام بالخطة وفي احترام توجيهات مدير الإنتاج. وإن شعر المخرج بأهمية إجراء تغيير ما في الخطة، فإن عليه أن يدلي بالأسباب المقنعة لمدير الإنتاج لكي يقرر حيالها. وإن كان الموضوع أكبر من استطاعة مدير الإنتاج أن يقرر فيه وخصوصاً إذا تطلب هذا التغيير تكاليفاً إضافية، فعليه أن يأخذ موافقة المنتج. فالمنتج هو المسؤول الأول عن هذه التكاليف الإضافية والذي بيده الموافقة عليها وصرفها.

○ ○ ○

ولكي يتم الترتيب لكل متطلبات الإنتاج والاستعداد الجيد لها، لابد من إنشاء عدة جداول وقوائم تساعد مدير الإنتاج وفريقه من ترتيب أمورهم:

- **جدول الإنتاج Production Table:** وهو الجدول الأساسي لكامل المشروع، والذي يضم أوقات وتواريخ وكافة تفاصيل كل متطلبات الإنتاج، سواء اللقاءات والتصاوير الجمالية ويكون عبارة عن جدول مقسم إلى عدة أعمدة تضم. لأماكن معينة أو مشاهد الممثلين وغيرها وصف المشهد والزمان والمكان والممثلين المطلوبين فيه وضيوف اللقاءات، بالإضافة إلى أدوات التصوير المطلوبة وأعضاء الفريق اللازم تواجدهم.
- **قائمة التصاوير Shot List:** وهي عبارة عن قائمة بالمشاهد الجمالية وزواياها وتفاصيلها وقد يتم الإشارة في جدول الإنتاج بالرجوع لقائمة تصوير. المهمة لكل مكان ومنطقة على حدة منطقة معينة لمعرفة تفاصيل أكثر عن المشاهد المطلوبة.
- **قائمة أسئلة المقابلات Interviews Questions List:** وهي كل الأسئلة والمحاور التي تخطط لطرحها والتحدث عنها في لقاءاتك مع الضيوف.
- **سيناريو الحوارات Screenplay:** ويستخدم في المشاهد التمثيلية فقط، ومن المهم العمل عليها من قِبل كاتب السيناريو، ليس فقط لتحديد نصوص الحوارات وإنما لتوضيح المشاعر بالإضافة إلى تفاصيل المكان والأدوات التي تدعم أداء. التي يجب على الممثل إظهارها أيضاً الممثلين في مشاهدهم Props.

- **القصة المصورة Storyboard:** وهي عبارة عن رسم توضيحي يستخدم في المشاهد إن إنشاء هذا الرسم التوضيحي. التمثيلية، وتهدف إلى تحديد أُطر وزوايا التصوير لكل مشهد سيساعدك في التخطيط للمشاهد التمثيلية وترتيبها وتوضيح كامل تفاصيلها، وبإمكانك من وسيختصر عليك الكثير من الجهد في. خلاله إجراء بعض التعديلات اللازمة خلال التصوير

شرح رؤيتك لمدير ال

لا يتطلب مهارة عالية، فيكفيك أن Storyboardإن تصميم الـ . تصوير والفريق بشكل عام وهناك لغة وطريقة متعارف. توضح الشخصيات وزاويتها ومواقعها وبعض التفاصيل عليها عليها يفضل الالتزام بها ليسهل وصول المعلومة للفريق.

- وهي عبارة عن عدة صور مستقاة من أعمالك السابقة أو:Mood Board**أجواء الفيلم** وغالباً تكون هذه الصور لمدير التصوير حتى. أعمال أخرى مشابهة للفيلم الذي تريد تصويره يستطيع التعرف على الجو العام الذي تريد خلقه في مشاهدك، كتوزيع الإضاءة والألوان وقد يحتاج المنتجين والممولون في أن يشاهدوا هذه الصور حتى يتأكدوا .والزوايا وغيرها من توافق الجو العام مع رغباتهم وطموحاتهم.
- ي عبارة عن جدول مالي يضم كافة تفاصيل المصاريف، كتكاليف ه:Budget**الميزانية** الفريق والتنقلات والسكن واستئجار أدوات التصوير والتموين ومبلغ إضافي للطوارئ وتكون القيم فيه محددة بدقة حتى يتمكن مدير الإنتاج ومساعدوه من العمل في. وغيرها نطاقها.
- وهي من القوائم المهمة التي يجب أن يعمل عليها فريق إدارة:To Do List**قائمة المهام** الإنتاج، بحيث يتم فيها تحديد كافة المهام التي يجب الانتهاء منها وتجهيزها، مع تحديد تاريخ وتتضمن المهام استخراج تصاريح التصوير، استئجار. الانتهاء والعضو الموكل بالعمل عليها الأدوات والسيارات، تذاكر السفر، حجز الفنادق، الترتيب مع الضيوف والممثلين وغيرها من المهام.
- وهو نموذج يتم التوقيع عليه من قِبل الضيوف:Release Form**اتفاقية عرض الإنتاج** والممثلين، ويتضمن موافقتهم على ظهورهم في الفيلم وعدم اعتراضهم على ما قالوه وما عادة ما-. في حال الممثلين-سيظهر في الفيلم، وأنهم قد استلموا مستحقاتهم من إدارة الإنتاج تكون صيغة هذه الاتفاقية بسيطة وليس هناك صيغة عالمية متفق عليها، يكفي أن يكون الكلام فيه واضحاً ومفصلاً بطريقة مقبولة حسب الفيلم ومتطلباته.
- وهي ورقة يتم إرسالها لكافة أعضاء الفريق وتحوي:Call Sheet**خطة عمل يوم الإنتاج** تفاصيل جدول التصوير والمواقع وساعات التواجد وأحوال الطقس وأماكن مواقف السيارات تعتبر هذه الورقة مهمة جداً بسبب. وأسماء الفريق وأرقام تواصلهم وغيرها من التفاصيل ويقوم. توفيرها للهدر في الوقت والجهد الذي قد يحصل بسبب عدم وضوح الأمور مسبقاً

بإعداد هذه الورقة مساعد المخرج أو مدير الإنتاج.

الاطمئنان

هذه الكلمة قد يصعب الشعور بها، وبعيدة كل البعد عن كافة فريق العمل خصوصاً في هذه المرحلة. فالجو سيعمُّه الكثير من القلق والانشغال الكبير بتنظيم وتخطيط وتأمين كافة الأمور، وقد لا يكون بوسعك النوم في الليل لكثرة انشغال عقلك وتفكيرك عما سيحصل غداً.

ولكن في خضم هذا الانشغال، حاول أن تبحث في أعماق قلبك عن ذلك الشعور بالطمأنينة من كيفية سير الأمور. قد لا يكون ذلك الشعور كبيراً وواضحاً، ولكنه ذلك الإحساس بالأمل بما تفعله والشعور بالسعادة من عملك مع هذا الفريق. إنها تلك اللحظة في وسط العاصفة عندما تبتعد قليلاً عن الضوضاء لتقف في مكان هادئ لتتخيل نهاية المشوار، واليوم الذي سيعرض فيه الفيلم أمام الناس.

اجعلها عادة عندك بأن تبتعد عن الضوضاء لعدة دقائق إذا اشتدت الأمور وبدأ مستوى التوتر يصل بك إلى مراحل مرتفعة جداً، لتتنفس تنفساً عميقاً وليهدأ عقلك قليلاً. ولكي ترى الجائزة من هذا السعي والجد والاجتهاد في خيالك وقلبك. ستشعر حينها بالامتنان من هذا كله، ومن توفيق الله سبحانه وتعالى لك بأن يسر لك أداء هذه المهمة. وحينها ستشعر بالاطمئنان بأن كل شيء سيسير على ما يرام.

خذ قسطاً جيداً من النوم الآن، فقد أديت كل ما عليك في مرحلة الإعداد وقبله، ولا تفكر في شيء إطلاقاً. لتصحو غداً بكل انتعاش في أول أيام تصوير مشروعك، لتنطلق في رحلة تحقيق الحلم الذي لطالما انتظرته. انتقل معي للفصل القادم لنرى سويا كيف يبدو هذا اليوم.

الفصل السادس
الإنتاج

"أحاول أن أتعلم من كليهما، من الروائيات ومن الوثائقيات. في كلتا الحالتين عليك أن تجد طريقة لجعل الكاميرا سرية قدر الإمكان، ومرنة بما يكفي لتكون قادراً على التقاط اللحظة عندما تحدث. تعلمت من الفيلم الوثائقي أن لا يكون لدي فكرة مسبقة عما يمكن أن يكون عليه المشهد".

مايكل غوندري Michel Gondry

إن مرحلة الإنتاج هي الرحلة الحقيقية، هي المغامرة التي يعيش فيها صانع الفيلم أجمل أيامه ولحظاته. إنها مليئة بالمصاعب والمفاجآت والاكتشافات. تتكون فيها كل معاني التضحية والصبر والتعاطف والحب مع القصة، والسعي لروايتها بالطريقة التي تستحقها.

تجد فيها الوثائقي يتنازل عن كل الأبراج العاجية ومظاهر المكانة الاجتماعية؛ ليصبح حقيقياً. تجده يرضى بكل ما قد يواجهه من التعب والجوع والبحث الحثيث والذهاب إلى الأماكن الخطرة والبعيدة، بل إنه قد يعمل لوحده في بعض الأوقات، ومع فريق مكون من ١٠٠ شخص في أوقات أخرى. وقد يجد نفسه في أعالي الجبال، وأعماق البحار، وفوق رمال الصحراء الحارقة، وفي أجواء وبيئات أسوأ من كل ما سبق، ولا يرى أمامه سوى قصته التي يريد تحقيقها.

إن ما يدور في عقل المخرج قد لا يتخيله أي أحد. فجزء من عقله يتابع الأمور التقنية ويتأكد من سيرها بالمستوى المطلوب، وجزء آخر يتخذ القرارات الكثيرة والحاسمة المتعلقة بالتحديات والعقبات، وجزء ثالث يحاول أن يكون مثالاً يحتذى به في الإدارة والقيادة والالتزام والسيطرة على التوتر والقلق والخوف.

أما الجزء الأهم من عقله يعمل على بناء القصة لبنة لبنة. وقد لا تصدق عندما أقول بأن ما يدور في هذا الجزء من عقل المخرج هو تحرير الفيلم مشهداً بمشهد في خياله وهو في قمة انشغاله وسط عملية التصوير. يتخيل القصة ويقوم بتغييرها وتعديلها وإضافة الاقتراحات التحسينية عليها، ويرسم مساراً بديلاً لها كلما تصادم مع أحداث جديدة غير متوقعة. ويترقب تلك اللحظة الحاسمة التي يتمكن فيها من جعل الضيف الذي يقوم بتصويره يبكي من شدة تهيج مشاعره على مآسيه وآلامه. تلك هي ما أسميها بـ "اللحظة الذهبية "التي يتمكن فيها صانع الفيلم من الوصول إلى أعمق نقطة في قلب ضيفه الذي يصوره.

كم هو متعب ومؤرق أن نعيش في عقل كهذا، عقل لا يتوقف عن العمل أبداً ولا يتوقف عن التفكير والتخطيط وحل المشكلات وإجراء التعديلات وطرح الاقتراحات وتحمل الظروف الصعبة في آن واحد. تعلمت من تجربتي بأن الأهم من الكاميرا وغيرها من الأدوات الصماء هو "عقلية الوثائقي"، أن تكون في قمة تركيزها على بناء القصة طوال الطريق.

إن أكبر تحد يواجهه الوثائقي ليست الأمور التقنية بالمقام الأول -رغم أنه يواجه فيها التحديات بالطبع-، وإنما الانحرافات التي تحصل خلال الإنتاج في مسار القصة المخطط لها مسبقاً. ولا يسلم أي وثائقي من هذه الانحرافات، ويظل عقله مشغولاً طوال الوقت بكيفية تعديل مسار القصة إلى الطريق الذي يريده. صعب جداً أن يتم بناء قصة جديدة خلال التصوير، فأنت هنا

على شفا حفرة من الفشل إن لم تتصرف سريعاً. فنجاح المشروع وأمل كل أعضاء الفريق و المنتجين والممولين معلق في عنق هذا الوثائقي المسكين.

بعد هذه المقدمة حول أهمية التركيز على القصة والحفاظ على ترابطها، سنقوم بالتطرق إلى الأمور التقنية المهمة في عملية الإنتاج حتى تكون ملماً بها وبتفاصيلها.

أدوات الإنتاج

إن للجانب التقني في عملية الإنتاج خبراءه ومحترفيه، وقد تستعين بأحدهم عند صناعة فيلمك أو قد تقوم بالتصوير بنفسك. وعند الاستعانة بالخبراء في عملية الإنتاج يفضل أن يكون عندك دراية مسبقة بالأمور المتعلقة بالكاميرات والأدوات حتى تتكون بينك وبين هؤلاء الخبراء لغة تواصل سلسة ومتناغمة. وحتى تتمكن من إبداء الاقتراحات والحلول المناسبة عند وقوع أي تحدٍ تقني، وذلك بناءاً على ثقافتك العامة حول هذه الأدوات.

إن أدوات الإنتاج المهمة في صناعة الأفلام الوثائقية تنقسم إلى التالي:

١ -**الكاميرا :Camera** والتي غالباً ما تكون كاميرات رقمية، إما كاميرات فوتوغرافية فيها خاصية تصوير الفيديو الرقمي (DSLRمثال Canon 5D، (Sony A7s، أو كاميرات رقمية سينمائية)مثال RED، (Arri Alexa، أو الكاميرات التلفزيونية كبيرة الحجم والمصممة غالباً ليتم حملها على الكتف)مثال .(Panasonic HPX-3700بالإضافة إلى الكاميرات الصغيرة المتعددة الاستخدامات، كالكاميرات الصغيرة ذات العدسة الواسعة التي تستخدم في الأماكن الضيقة وتحت الماء وبالإمكان تثبيتها على أي مكان)مثال (GoPro، والكاميرات اليدوية المحمولة Camcorders، بالإضافة إلى خاصية التصوير في الهواتف الذكية. ولكل كاميرا الخواص التقنية التي تخدم صانع الفيلم حسب حاجة المشهد والظروف الإنتاجية والبيئية التي يواجهها.

٢ -**الإكسسوارات** :**Accessories** وهي الأدوات التي ترافق الكاميرا وتساعد صانع الفيلم على تكوين المشهد الذي يريده. وتكون هذه الإكسسورات مقسمة إلى:

- **العدسات** :**Lenses** بعضها فيها خاصية التكبير والتصغير اليدوية وتسمى Zoom ، والأخرى تكون ثابتة البعد ويتعين على المصور أن يحرك الكاميرا بكاملهاLenses لكلو .Prime Lensesنحو الشيء أو عنه إن أراد تكبير الصورة أو تصغيرها وتسمى

عدسة مميزات معينة تجعل تجربة التصوير بها ذات

جودة أعلى وصورة أنقى، وتزيد هذه المميزات من تكلفة العدسة بطبيعة الحال.

Prime Lenses

Zoom Lenses

- **الحوامل الثلاثية Tripods:** والتي يتم تثبيت الكاميرا عليها، وتنقسم إلى أنواع وأصناف حسب الوزن والمواد المصنعة منها ومدى تحملها للأوزان الثقيلة، بالإضافة إلى الرأس الحامل للكاميرا الذي يعطي تحريكاً سلساً وثباتاً عالياً خلال التصوير.

- **الحوامل اليدوية Manual Holders:** وهي الإكسسوارات التي تساعد المصور على التصوير بتقنية Hand Held في المزعج التي تعطي شيئاً بسيطاً من الاهتزاز غير حيث إن حمل الكاميرا باليد مباشرة سيؤدي إلى اهتزاز مزعج لا يحبذه المشاهد. مشهده التي تساعد علىوالأدوات . لذلك وجب وجود أدوات تعطي هذه اللمسة بطريقة مقبولة وحوامل الكتف Monopodsتحقيق هذا النوع من الرؤية الفنية هي الحوامل الأحادية وأيضاً هناك من الحوامل اليدوية المتطورة التي تلغي الاهتزاز .Shoulder Support تماماً وتعطي المصور حرية التنقل بل وحتى الجري خلال تصويره دون الشعور بأي

اهتزاز يذكر، وتسمى بـ

Steady Camأو Stabilizer.

Stabilizer
Monopod
Shoulder
Support

- **اللقطات المتحركةTracking:** وهي الأدوات التي تعطي مشاهد متحركة ذات سلاسة ولها أشكال وأنواع حسب. عالية وكأن الكاميرا تتحرك على سكة حديدية أو على رافعة فهناك الـ. نوع التحريك المطلوب والمسافة المراد للكاميرا قطعها وأيضاً وزن الكاميرا كلفة والتي يستطيع المصور أن يصعد عليها معذات السكك الحديدية الكبيرة والم Dolly الذي يشابه الفكرة السابقة ولكنها أصغر بكثير في الحجم Sliderكاميرته، وهناك أيضاً الـ والتي هي عبارة عن رافعة مختلفة في الأحجام Craneوفي الآخر هناك الـ والمسافة،

.وتقوم بتحريك الكاميرا للأعلى وللأسفل ولليمين واليسار

Dolly
Slider
Crane

- وهي عبارة عن شاشة أكبر تنقل ما يظهر في شاشة الكاميرا**:Monitorشاشة المراقبة** ويحتاجها بعض صناع الأفلام لأسباب مختلفة تتعلق برغبتهم في رؤية أوضح. بالضبط وأكبر لمشاهد التصوير، أو رغبتهم في أن يشاهدوا التصوير بعيداً عن المصور حتى لا

يزعجونه بوقوفهم قريباً منه.

٣ -**الإضاءات :Lights** وهي تختلف في أنواعها وقوة سطوعها ودرجة ألونها. وتنقسم بشكل عام إلى قسمين:

Arri Lights
Monitor

- **الإضاءات الساخنة Hot Lights:** كالإضاءات الكشافة مثل إضاءات Arri 300 و Arri 750 والتي تعطي ضوءاً قوياً ساطعاً كضوء الشمس، وتحتاج في أغلب الأحيان إلى Gel Filters، وتغيير ألوانها Diffusers وتعطيلها أدوات خاصة للتخفيف من حدتها وتكون ساخنة جداً وتحتاج إلى ارتداء قفازات خاصة

عند الامساك بها.

- **الإضاءات الباردة Cold Lights:** وتكون على هيئة إضاءات أنابيب مشعة كتلك الموجودة في البيوت والمحلات التجارية Fluorescent Tube كإضاءات شركة Kino والآخر مُزرَق Daylight، وتكون ألوان إضاءاتها على نوعين أحدهما مُصفَر Flo التي تكون على LED ومن ضمن الإضاءات الباردة أيضاً هي إضاءات الـ Tungsten. مرونة عالية في التنقلات من حيث الحجم، وأيضاً من حيث التحكم فيهيئة ألواح وذات ويفضلها الوثائقيون جداً لقوة تحملها وسهولة تنقلهم بها، درجة سطوعها وحتى ألوانها ولأن غالبيتها يحتوى على خاصية التوصيل الكهربائي عن طريق البطاريات، والتي تخدم

بشكل جيد خصوصاً في المناطق النائية التي لا يتوفر فيها تيار كهربائي مباشر.

LightsKino Flo

٤ -**الصوتيات :Microphones**ولا تقل أهميتها عن أهمية الكاميرا، فبإمكان صانع الفيلم الوثائقي أن يستغني عن الإضاءة في أصعب الظروف، ولكن يستحيل أن يستغني عن الكاميرا والصوتيات مهما كانت الظروف. هناك ٣ أنواع للصوتيات التي تمكنك من التقاط أصوات الضيوف أو أصوات الطبيعة بشكل أنقى خلال تصوير فيلمك الوثائقي من تلك الصوتيات المغروسة بداخل الكاميرا عديمة الجدوى:

- **Shotgun:**اميرا حتى تأخذ صوتاً أكثر صفاءاً لما والتي يتم تركيبها في أعلى الك

يجري أمام المصور.

Shotgun Mic

- **Boom Mic:**والتي يتم إدارتها عن طريق مهندس الصوت، وتكون معه عدة أدوات تساعده على التقاط الأصوات التي يريدها صانع الفيلم سواء لقاءات ميدانية أو أصوات طبيعة وغيرها، ويتعين على هذا المهندس توجيه أدواته نحو الصوت مباشرة ليتمكن من ZOOMمثال)جهاز تسجيل الصوت : وأدواته الرئيسية هي. التقاط الأصوات المطلوبة

- RODE Micمثال)الميكروفون الرئيسي - Standحامل الميكروفون - (H4n سماعات الأذن -الغطاء الصوفي للميكروفون الرئيسي لعزل الذبذبات غير المرغوب بها Headphones.

- **Radio Mic Transmitters:** وهو الميكروفون الذي يتم شبكه عند نحر الضيف، ويتم إلى -الموجود في جيب الضيف- Transmitterإرسال صوته مباشرة عن طريق المرسل الطريقةولهذه . الموصول بالكاميرا مباشرة أو بجهاز تسجيل الصوت Receiverالمستقبل ميزة جيدة في تسجيل صوت واضح ومباشر من الضيف، بالإضافة إلى حرية مهندس الصوت في التنقل إلى أماكن بعيدة نسبياً عن الضيف ومعه المستقبل الموصول بجهاز بل وفي بعض الأحيان يتم الاستغناء عن مهندس الصوت في هذه الحالة. تسجيل الصوت ولكن. ويتم توصيل المستقبل بالكاميرا مباشرة دون الحاجة إلى متخصص يدير هذا الأمر لابد من التنبه هنا إلى الاستماع إلى الصوت المسجل عن طريق سماعات الأذن طوال وكما يقال دائماً في أوساط. الوقت للتيقظ إلى أية أعطال فنية أو أصوات غير مرغوبة الإنتاج:

."إن التصوير دون الاستماع إلى الصوت، كالتصوير دون النظر إلى شاشة الكاميرا"

Boom Mic

الاهتمام بأدوات الإنتاج

لطالما اعتبرت أدوات الإنتاج بمثابة الشركاء والأصدقاء، بل أتعاطف معهم وأحاول جاهداً الحفاظ عليهم وتشجيعهم على تقديم أفضل أداء. فبعض الأدوات التي أستخدمها قد بنيت معها علاقة تكونت مع مرور الوقت والتجارب القاسية.

Radio Mic Transmitters

الكاميرا التي صبرت علي وأعطتني أفضل النتائج وكان التعامل معها سهلاً وتحديد إعداداتها ليس معقداً هي التي أضع ثقتي بها للأبد. وأنظر لها كما ينظر الفارس لفرسه، حيث تجده يهتم بها ويطعمها وينظفها ويمرنها ويبني علاقة عميقة قلبية معها، هكذا بنيت علاقتي مع أدواتي.

لذلك، أرى أن لهذه الأدوات حقوقاً وآداباً تستدعي على الوثائقي الحقيقي أن يحترمها وأن يفي بها. منها:

١ -العناية الشخصية بهم كالتنظيف المستمر للعدسة ومستشعر الكاميرا وحتى حامل الكاميرا وغيرها. والحرص أثناء التصوير على عدم تعريض فتحة العدسة الخلفية ومستشعر الكاميرا للهواء وإغلاقه سريعاً عند تبديل العدسات.

٢ -الاهتمام بتخزينها في حقائب وأرفف مناسبة ومقاومة للصدمات والتقلبات. ومن المهم عدم التوفير عند شراء الحقائب المناسبة لها. فبعض الحقائب قد تكون باهظة الثمن، ولكنها في المقابل تحمي الأدوات من الاهتزاز والتخبط ووصول الحرارة العالية والماء لها.

٣ -أن يكون مناخ مكان التخزين مناسباً وذا برودة مناسبة تتناسب معها.

٤ -الاهتمام بالبطاريات وشحنها على الدوام، بالإضافة إلى تهيئة الذواكر وتخزينها في حافظات صغيرة مناسبة.

٥ -في مكان التصوير، الحرص على تحديد مكان تخزينهم قبل فعل أي شيء. على أن يكون مكاناً بعيداً عن عبث الناس وأن يكون ذا نظافة ودرجة حرارة مناسبة. والحرص على إرجاع كل قطعة إلى مكانها المخصص لها بعد الانتهاء من استعمالها.

٦ -عدم تعريض الكاميرا لبيئات صعبة وذات درجة حرارة مرتفعة. وإن كان لابد من ذلك فيجب الحرص على إغلاقها وإراحتها كل فترة، وتغطيتها بحماية مناسبة من الأمطار والأتربة والحرارة.

٧ -فهم سيكولوجية الكاميرا واستيعاب قدراتها. وذلك عبر التمرن على إجراء الإعدادات المناسبة والوصول إليها سريعاً، ومعرفة القدرات التي يمكنها أن تقدمها لك.

وغيرها من الآداب التي تستدعي منك أن تكون شخصاً مسؤولاً ومتفهماً وعقلانياً ومحترماً في التعامل مع هذه الأدوات. فهم بمثابة الفريق الذي يعمل معك ليحقق لك رؤيتك وهدفك. ويستحقون منك كل الاهتمام والرعاية ليعيشوا معك أكبر فترة ممكنة.

فقد تعلمت هذا بالطريقة الصعبة عندما كنت لا أحسن معاملة كاميرتي الأولى، والتي بدأ يظهر عليها المشاكل التقنية الغريبة بعد فترة من الزمن. وكنت لا أجد تفسيراً منطقياً لهذه المشاكل ولم أعرف كيفية حلها. ولكنني عندما بدأت أهتم في الكاميرات التي بعدها، فهمت أن ما أصاب تلك الكاميرا هو الاستياء من أسلوبي معها.

كيف تختار أدواتك؟

يقوم بعض صناع الأفلام بشراء واقتناء الأدوات التي سيستخدمونها حتماً وبشكل متكرر ومستمر في مشاريعهم، كالكاميرا والعدسات والصوتيات والحوامل الثلاثية. وفي حين احتاجوا إلى أدوات إضافية فإنهم يقومون باستئجارها. ومن المهم جداً على صانع الفيلم أن يتعرف على أدواته جيداً ويتعرف على مميزاتها وقدراتها حتى يتمكن من استخدامها بالطريقة الأمثل في مشروعه.

وهناك عدة طرق تجعل من صانع الفيلم ملماً بمميزات وقدرات أدواته. إحدى هذه الطرق هي مشاهدة فيديوهات اليوتيوب التي تتحدث عن أحدث إصدارات الكاميرات وأفضل الأدوات، والتي تقوم أيضاً بالمقارنة ما بين أنواع الكاميرات المختلفة.

من أشهر المخرجين الشباب الذي يقومون بمراجعة الأدوات وشرحها وإبداء آرائهم حولها هو صانع الأفلام البريطاني فيليب بلوم .Philip Bloomحيث يقوم من خلال قناته على اليوتيوب الذي بدأه منذ مطلع عام ٢٠٠٧م وعبر موقعه الالكتروني Philipbloom.netباستعراض أدوات التصوير التي تصدر حديثاً ليقوم بشرحها وتوجيه النصائح حول كيفية استخدامها وعرض الملاحظات والمقارنات والآراء حول كل ما يتعلق بأدوات التصوير. ويقوم أيضاً بنشر أبرز مشاريعه وآخر أعماله وبعض الدورات التدريبية حول صناعة الأفلام. ومن أبرز الفيديوهات المرتقبة والتي تحصد الكثير من المشاهدات هي الفيديو الذي يقوم بنشره في آخر كل سنة، والذي يستعرض فيه أهم الأدوات والكاميرات التي تم إصدارها في ذات العام، والذي يتخذ فيه أسلوباً مشابهاً للمهرجانات السينمائية العالمية المليئة بالتشويق والترقب.

فيليب بلوم Philip Bloom

كنت ولازلت أتابع فيديوهات ومراجعات فيليب بلوم منذ بداياته وحتى اليوم. فأراؤه الجادة وشروحاته المتسمة بالفكاهة والصراحة والخبرة العالية أعطتني الكثير من المعلومات والخبرات والأفكار التي ساعدتني كثيراً في أعمالي ومشاريعي. وتكاد لا تجد كاميرا أو عدسة أو أية تقنية إلا وتحدث عنها وشرح كافة مميزاتها. بل وما يتميز به أيضاً هو تجربته الميدانية للكاميرات والأدوات في أماكن مختلفة ليعرض نتائج تصاويره، وليتحدث عن المشكلات التقنية والأفكار التي قد تزيد من جودة التصوير.

إن القنوات المماثلة في اليوتيوب كثيرة جداً، بل ويختلف كل صاحب قناة في أسلوب شرحه وطرقه التشويقية وعرضه للتفاصيل والآراء والاقتراحات. بإمكانك أن تعثر عليهم ببساطة عبر البحث عن شروحات لكاميرات أو أدوات معينة، وستجد حينها العديد من القنوات التي تتحدث عنها

وتقارنها بكاميرات وأدوات أخرى. وبإمكانك حينها أن تعثر على صاحب القناة الأمثل والأنسب مع رغباتك وتطلعاتك.

○ ○ ○

القاعدة الرئيسية في اختيار أدوات التصوير لأفلامك وخصوصاً إذا قررت أن تقتني هذه الأدوات من مالك الخاص هو أنه لابد لهذه الأدوات أن تلبي حاجتك. لا تغتر بالسمعة والشهرة والضجة الإعلامية التي تحدثها أي أداة يتم طرحها في السوق أو بتهافت صناع الأفلام على اقتنائها. فما يهمك من هذه الأداة هو:

- جودة نتائجها.
- سهولة إعداداتها.
- صبرها وتحملها.

مهما كانت الأداة قديمة أو عدّى زمانها، فلا تهتم لهذا الأمر، يكفيك أن تحقق لك هذه الكاميرا كل رغباتك وتكون قد ألِفتها وألِفتك. فالتعود على الأدوات واستخدامها وتغيير إعداداتها سريعاً وحملها وتخزينها وفهم مشاكلها التقنية سيختصر عليك الكثير من الوقت والجهد، وسيدعك تركز بشكل أكبر على القصة وعلى الضيوف وعلى الفريق وغيرها من الأمور المهمة.

لم يتعبني في مجال صناعة الأفلام الوثائقية أكثر من استعمال أدوات لا أحبها ولكنها كانت حديث المجالس في آنها. فعندما صدر إصدار جديد من الكاميرات السينمائية لشركة Canonاسمها C100، وسرعان ما ذاع صيتها وزادت شهرتها وكانت هي بمثابة الحل الأمثل للإنتاج الوثائقي في وقتها. ولكن حجمها الكبير وتعقيد إعداداتها وتصميمها الغريب وكثرة الأيقونات على جوانبها كان بمثابة الكارثة والدمار في مشاريعي. حيث كان همي الرئيسي هو كيفية حملها وتخزينها والتدرب بشكل مكثف على تغيير إعداداتها حتى لا تكون عائقاً في تصوير أفلامي. وفي الحقيقة كرهتها جداً بسبب حجمها الكبير وصعوبة التعامل معها، رغم أنها كاميرا جيدة وتعطي نتائج ذات جودة ممتازة.

حرصت دائماً أن أقتني الكاميرات الصغيرة التي توازي أو تفوق الكاميرا السابقة في النتائج ولكنها أسهل في الحمل والتعامل مع إعداداتها. فكان دائماً الخيار الأمثل لأغلب مشاريعي هو Canon 5Dوالكاميرا Sony A7sو Blackmagic Design Pocket Cinema Camera 4Kوأي كاميرا تشابههم في السهولة والجودة والحجم. حيث كنت في أغلب الأحيان أشعر بسعادة كبيرة في آخر اليوم أن هذه الكاميرا لم تكن عائقاً أمامي بأي حال من الأحوال، وأني حققت كل ما كنت أريده من ذلك اليوم.

لذلك فنصيحتي دائماً لكل من أراد أن يشتري أدواته الخاصة أن لا يكتفي بمشاهدة أكبر كمية ممكنة من الفيديوهات على اليوتيوب التي تشرح هذه الأدوات. فمشاهدة هذه الفيديوهات وحدها لا تكفي ولا يمكنها أن تعطيك صورة حقيقية عن الكاميرا إن لم تقم بتجربتها بنفسك. التجربة خير برهان.

ولطالما كشفت التجربة الشخصية المباشرة الكثير من الأمور التي لم يتطرق لها صناع الأفلام في فيديوهاتهم على اليوتيوب، بل وتكتشف أن مديحهم الزائد عن نقطة معينة في الكاميرا كان هراء محضاً. لذلك، كن وسطاً في الأمر وذلك عبر الاستفادة من هذه الفيديوهات والشروحات، وباستعمال الكاميرا بنفسك في نفس الوقت حتى يزيد يقينك بها. وبإمكانك الحصول على الكاميرا من أصدقائك أو استئجارها من المحلات المخصصة لتأجير الأدوات السينمائية، أو حتى تجربتها في المحلات التي تبيع الأدوات.

نوع الكاميرا لم يعد يهم

بعد أن تم اختراع كاميرات - DSLRأي الكاميرات الفوتوغرافية ذات الخاصية الرقمية لتصوير الأفلام -التي أبهرتنا بشكل يفوق الخيال بجودتها وانخفاض سعرها وسهولة توفرها، شعرنا بعدها بأنه وأخيراً انفتح المجال لنا لأن نصنع أفلاماً نحلم بصناعتها وبتكلفة منخفضة جداً. فكان عندما يشتري أحدنا كاميرا Canon 5Dيصبح وكأنه اقتنى سلاحاً فتاكاً لا يقهر. ويمشي متبختراً مصعراً خده وكأنه ملك عصاً سحرية.

وفي الحقيقة فإن هذه التقنية بالفعل صنعت ثورة عجيبة في عالم صناعة المحتوى المرئي. حيث اللا مستحيل واللا غير ممكن. أصبح بإمكان أي شخص أن يصور مقاطع ذات جودة رائعة، وأن يقوم بتحريرها بكل سهولة في جهاز اللابتوب الخاص به، وأن يقوم بعدها بنشره. ففي الماضي من أراد أن يصنع فيلماً، كان عليه الحصول على الميزانية الكافية ليستأجر كاميرا فيلمية معقدة وأن يستأجر معها من يقوم بتشغيلها أيضاً. كان الوضع صعباً للغاية. لكن الآن، الكل يمتلك واحدة من هذه الكاميرا. بل زاد الأمر نعيماً حينما بدأت كل شركة)سواءً - Canon - Sony Panasonic - Blackmagic)بالتنافس في تطوير هذه الكاميرات وتوفير مميزات رائعة في كل إصدار وفي كل عام. فتارة يضيفون خاصية التصوير البطيء ذات الصور الكثيرة في الثانية، وتارة يستعرضون عضلاتهم في خاصية التصوير المسائي الفائق الصفاء، وتارة يضيفون خاصية تصوير أفلام ذات مساحة واسعة جدا 4K وغيرها من المميزات. لا أنكر بأنني كنت أنبهر وأترقب كل إصدار لكل شركة، بل كنت أتنافس في كسب المال لأقتني هذه الكاميرات. وفي مرة من المرات تجمعت عندي ما يقارب من السبع كاميرات مختلفة من حيث الشركة المصنعة والتقنيات والإصدارات.

بل وصل الموضوع إلى أبعد من ذلك. حيث أصبح بإمكانك أن تصور فيلماً ذا جودة عالية ووضوحاً مبهراً عن طريق الهواتف الذكية. بدأت فيها آيفون ولحقتها سامسونج وهواوي وأخواتهم. وبالفعل، عندما جربت إحداها وصلت إلى قناعة شبه عميقة بأنه بإمكانك أن تصور بهذا الهاتف الذكي فيلما جميلاً، بل لاحظت بأن نتائج تصويرها تفوق نتائج تصوير بعض كاميرات الـ DSLR.

دعونا نرجع إلى أكثر من ١٠٠ عام إلى الوراء حينما بدأت السينما في مطلع القرن التاسع عشر، حيث كانت التقنية شبه معدومة في حينها. الكاميرات المستخدمة لم تكن قادرة حتى على

التقاط الألوان ولا الأصوات. بل كانت تنقل الصورة على أفلام النيجاتيف، والتي كانت تسوء جودتها بسبب ظروف تحميضها. ولكن في نفس الوقت لم يكن هذا سبباً في ابتعاد الناس عن مشاهدة هذه الأفلام أو كرهها، ولم يسألوا يوماً عن نوعية الكاميرا. بل حتى لم يشتروا تذكرة الفيلم؛ لأن المصور استخدم كاميرا معينة. أي أنهم لم يعشقوا الأمور التقنية، بل عشقوا القصة والتمثيل والحبكة والتجربة.

قد نفترض بأن الأمر تغير بعض الشيء مؤخراً حينما أصبح الناس يتحدثون ويتناقشون حول استخدام مخرج فيلم معين لكاميرا RED أو iMaxأو غيرها، ولكن يظل الأمر لا يشغل حيزاً يذكر في السبب وراء حب فيلم دون غيره. فالأمر لازال متعلقاً بالقصة. إن أحب قصتك ومعالجتك لها وإن استطعت إمتاعه بهذه التجربة، فحتماً ستكون الكاميرا هي آخر همومك وهمومه. وحتى بالنسبة للمهرجانات السينمائية، لم تقم أبداً بإطلاق جائزة "أفضل فيلم تم تصويره بأغلى وأقوى كاميرا ."بل إن هناك بعض الأفلام الحائزة على جائزة الأوسكار تم تصويرها بكاميرات .DSLR

وصلت إلى قناعة تامة بأن التقنية في عالم الكاميرات وصلت قمتها ولا يمكن أن تصبح أفضل من ذلك. بل إن أي تقنية إضافية هي زائدة عن الحاجة. حيث أصبح بإمكانك اقتناء كاميرا Canon 5D mrk ivمثلاً لتحصل على الاكتفاء الذاتي في جودة التصوير، بالإضافة إلى بعض الصوتيات والإضاءات والاكسسوارات؛ لتكون بعدها على أتم الاستعداد لصناعة أي فيلم وثائقي تريده.

أمتلك إلى الآن زوجاً من كاميرا Canon 5D mark IIIولم أتوقف عن استخدمهما منذ سنوات طويلة. بل إن أغلب أفلامي لا تخلوا من استخدام أحدهما في بعض اللقطات. لماذا؟. لأنها -بكل بساطة -تقوم بالواجب. فجودتها ممتازة والصورة جميلة وواضحة وملونة بشكل رائع. والكاميرا قوية وتتحمل الصدمات والظروف البيئية الصعبة. بالإضافة إلى بطارياتها التي دامت لسنوات دون أن ينقص عمرها. فماذا أريد بعد؟. قد أشبّه الأمر باقتناء سيارة، فإن كانت تؤدي الواجب فما حاجة أن أضع مالي في سيارة فارهة ذات مواصفات زائدة عن الحاجة؟.

أذكر بأني حضرت ندوة لأحد المصورين الفوتوغرافيين المخضرمين ليتحدث إلينا عن أقوى صوره ومشاريعه، وعن التقنيات التي استخدمها لجعلها تبدو بهذه النتيجة، بالإضافة إلى بعض الدروس والعبر من تجربته الحياتية كفوتوغرافي محترف. استهل ندوته بتنويه أيقظنا جميعاً، بل أوقف من خلاله التساؤل الأشهر عند الحاضرين لمثل هذه الندوات، حيث قال" :في البداية، أتمنى أن لا يسألني أحد عن نوع الكاميرا التي أستخدمها، فأنتم أكبر وأعقل من أن تطرحوا سؤالاً كهذا؛ لأنكم تعلمون جيداً بأن روعة الصورة ليس لها علاقة بنوع الكاميرا، بل مرتبطة برؤية المصور وزاويته وإضاءته، والقصة التي يريد إخبارنا بها ."ارتسمت على وجوه الحاضرين ابتسامة توحي بأنهم نضجوا قليلاً حول التفكير في أمور هي في الأساس ثانوية.

إن صانع الأفلام الوثائقية المحترف ينظر إلى الأمور التقنية -سواء نوعية الكاميرا والإضاءة وغيرها -بطريقة اقتصادية جداً لعدة أسباب. السبب الأول يكمن في أن الميزانيات

الموضوعة لإنتاج الأفلام الوثائقية متدنية جداً مقارنة بالأفلام الروائية أو الدعائية، لذلك وجب على منتج أو مخرج الفيلم الوثائقي أن يقلل من تكاليفه قدر المستطاع. والسبب الآخر يتعلق بمدى مرونة هذه الأدوات وأحجامها وأوزانها، حيث إن معظم الأفلام الوثائقية تتطلب سفراً وتنقلاً لأماكن كثيرة ولذلك يجب أن تكون الأدوات قليلة وخفيفة.

○ ○ ○

عند تصوير فيلمي الوثائقي الاستكشافي "الكهف "والذي كان عبارة عن توثيق رحلة علمية لبعض العلماء لكهف في أعالي جبال الألب الشاهقة في إيطاليا لدراسة الميكروبات فيها، علمت مسبقاً من الشركة اللوجستية التي كانت تقوم بالتنظيم للرحلة عن الظروف البيئية الصعبة هناك وعن التنقلات الكثيرة التي سنخوضها. وخصوصاً أن ذهابنا إلى المخيم الرئيسي سيكون عن طريق السفر بالسيارة ومن ثم ركوب الهليكوبتر.. وإلخ. فطلب منا بكل جدية أن نقتصد في أدواتنا لأقصى درجة.

قضيت شهوراً عدة وأنا أقوم بدراسة طريقة مثالية للتقليل من أدواتي. كنت أحتاج إلى ٤ أنواع من الأدوات: الكاميرا والإضاءات والصوتيات والاكسسوارات. ركزت على كل نوع على حده وقمت بجرد كامل للأدوات التي عندي. وجدت بأن الكاميرات كانت صغيرة (Canon 5D mark II و Sony a7s) وبطارياتها كثيرة وتتحمل أوقات تصوير معقولة، فبالتالي ليس عندي مشكلة معها. ولكن الإضاءات كانت كبيرة الحجم ولا تعمل بالبطاريات وإنما عن طريق توصيل مباشرة بالكهرباء. فاشتريت من إحدى المواقع المتخصصة في بيع أدوات التصوير ألواح LED صغيرة -بحجم الأيباد -بإمكانك التحكم بقوة سطوعها وألوانها، وذات بطاريات وشواحن لها، وحاملات صغيرة بإمكانها أن تطول لارتفاعات جيدة، فكان هذا الخيار سيفي بالغرض.

وبالنسبة للصوتيات، كانت تواجهني مشكلة، وهو أن هذه رحلة استكشافية. أي أنه سيصعب التنبؤ بما قد يحصل فيها. فأي حدث فيها هو عبارة عن قصة بإمكاني وضعها في الفيلم النهائي. وكان يجب أن أجد طريقة أقوم من خلالها بالتقاط أصوات جميع الأشخاص المهمين في الفيلم طوال الوقت دون القلق من انتهاء البطاريات أو من محاولة ربط عدة مايكروفونات بجهاز تسجيل واحد، والذي سيتطلب شراء ميكروفونات لاسلكية باهظة الثمن. وأيضاً توظيف شخص متخصص في هندسة الصوتيات، وبالتالي تكاليف إنتاج إضافية لا نستطيع تحملها.

فوجدت جهاز تسجيل صوت متنقل -يستخدمها الصحفيون في تسجيل التصريحات واللقاءات الصحفية المرتجلة -من صنع Sony، ويعمل بالبطاريات الصغيرة AA لعشرات الساعات، وفيها ذاكرة داخلية ذات مساحة كبيرة جداً وبإمكانها أن تسجل أكثر من ٥٠ ساعة. وأضفت إليها ميكروفون صغير بسلك طويل وذا مشبك لتعليقه عند النحر. بالإضافة إلى قطعة قطنية عليه لتفادي أصوات الرياح والهواء. وجعلت جهاز التسجيل هذا داخل شنطة صغيرة لتفادي ضغط أي من الأزرار التي قد تؤدي إلى توقف التسجيل. وبإمكان الضيف أن يضعها في جيبه لصغر حجم المسجل والشنطة. بمجرد الضغط على زر تسجيل الصوت سيقوم هذا الجهاز بعمله دون أن أقلق من نتائجه. وقمت أيضا بشراء ميكروفون صغير Shotgun لنصبه على الكاميرا

لالتقاط الأصوات بوضوح من باب الاحتياط، وأيضاً لأستطيع مزامنة الصوت المأخوذ من المسجلات الـ Sonyالصغيرة مع صوت الكاميرا المأخوذة بالـ Shotgunفي مرحلة المونتاج لاحقاً.

وجعلت جميع هذه الأدوات في شنطتين متوسطتي الحجم ومقاومتين للبلل والصدمات، فبالتالي أصبحت عندي مجموعة سهلة في تنقلاتها واستخداماتها.

ودعني أزيدك من الشعر بيتاً، اضطررنا في بعض اللحظات إلى التصوير بهواتفنا الذكية التي معنا بسبب عاصفة ثلجية داهمتنا، والتي تسببت في عدم مقدرة الكاميرات والأدوات من التصوير بوضوح بسبب البخار الذي ظهر على العدسات الداخلية للكاميرات والتي لم نستطع تنظيفها. وهذه المشكلة لم تعاني منها هواتفنا الذكية. والنتائج كانت مرضية جداً ولم يشعر أغلب المشاهدين بانخفاض في جودة التصوير عندما شاهدوها في صالات السينما.

بل بسبب سوء الأجواء واشتداد تساقط الثلج، اضطررنا إلى النزول مشياً على الأقدام من الجبل الذي كنا عليه وتركنا جميع أمتعتنا في المخيم الرئيسي. وكنت محظوظاً عندما فكرت أن أقتني الحقائب المتوسطة الحجم المقاومة للصدمات والبلل، فقد مكَثْتُ هناك وفي جوفها كل أدواتي بين الثلوج والصقيع لمدة تزيد عن الشهر. وقد أرسلت الشركة اللوجستية جميع الأدوات إلينا في المملكة العربية السعودية لاحقاً وكانت سليمة وتعمل جيداً ولم تصب بأي أذى.

خرجت من هذه التجربة بأن صانع الأفلام الوثائقية على لقاء دائم مع التحديات والمصاعب. ويتطلب منه الأمر أن يكون ذا حيلة واسعة وأن يبحث عن الحلول المناسبة لوضعه. وأن يجعل المبالغة في اقتناء الكاميرات ذات التقنيات الزائدة عن الحاجة آخر همومه. يكفيه من الأمر أن تؤدي أدواته الغرض وأن تحقق له الجودة المطلوبة فقط، وأن يضع جل تركيزه على القصة والقصة والقصة.

فنون التصوير

لكي يتم تحقيق الرؤية واللمسة الوثائقية في فيلمك لابد من الاهتمام ببعض الأمور المتعلقة بفنون التصوير التي ستضفي ذائقة بصرية جمالية بديعة على فيلمك. فهناك تقنيات معينة مهمة في عملية تصوير اللقاءات وتصوير المشاهد الجمالية التي لابد من المحافظة على إبداعها وحسن مظهرها. فما نتحدث عنه دائماً من الاهتمام بالقصة والقصة فقط لا يعني أن تهمل الجانب الفني في الموضوع، ولا نقصد من هذا الكلام تعارضاً مع ما كنا نركز عليه في الفصول السابقة. وإنما ما نريد التنويه عليه هنا هو الحفاظ على الجانب الفني قدر المستطاع حتى لا يتم كسر تركيز المشاهد بأخطاء فنية قد تشتت انتباهه، ولتحافظ على مستواك كصانع أفلام مرموق. وهذا ما سنركز عليه في الجزء القادم.

فن تصوير اللقاءات

إن طريقة تصوير اللقاءات معروفة وشبه مكررة في أغلب الأفلام الوثائقية، بل يكاد يكون كادر التصوير ووضعية الكاميرا وتوزيع الإضاءة روتينياً عند تصوير أي لقاء. وهذه المعادلة تكون على النحو التالي:

مكان التصوير: إن اختيار المكان مهم جداً، فهناك بعض المعايير التي على أساسها يتم اختيار المكان الأنسب للتصوير:

- لابد أن يكون المكان مريحاً للضيف ومقبولاً عنده حتى يتحدث براحة وطلاقة أكثر.
- أن يكون المكان بعيداً قدر المستطاع عن الشبابيك إذا كان الوقت نهاراً حتى لا يتطلب إضاءة المكان -بتحركها أو بفعل الغيوم-التصوير إضاءات أكثر، ولكي لا تغير أشعة الشمس والجو العام في مكان التصوير.
- لابد للمكان أن يعبر عن الضيف وشخصيته ومكانته ومجال عمله.
- أن يكون المكان خالياً من الصدى الذي قد يكون مزعجاً عند تسجيل صوت الضيف.
- أن يكون المكان بعيداً عن أي مصدر إزعاج قريب، كأصوات السيارات أو المكائن والأجهزة أو أصوات الناس والزحام وغيرها.
- أو أن يتم تصوير الضيوف كلهم في استديو مغلق وذي خلفية موحدة إن كانوا لا ينزعجون من الأماكن المغلقة المعتمة والمليئة بالأدوات والإضاءات والكاميرات.

جلوس الضيف: يجلس الضيف على مقعد ثابت -بدون كفرات -ومريح. ويكون نظره موجهاً للمخرج أو المحاور الجالس بجانب كاميرات التصوير. ويفضل أن يكون هناك مسافة كافية ما بين الضيف والخلفية بحيث يكون هناك عزل كافٍ ما بين المكانين.

كادر التصوير: تكون الكاميرا بارتفاع عين الضيف، ويتم وضع مسافة بجانب الضيف في الجهة التي ينظر فيها إلى المخرج أو المحاور. أي بمعنى، عندما يكون المخرج جالساً على يسار الكاميرا، وبالتالي يكون نظر الضيف على الجهة اليسرى، يتم حينها وضع الضيف على يمين الكادر ووضع مسافة في يسار الكادر، والعكس صحيح. ويفضل عدم توسيط الضيف في وسط

الكادر إلا في حال كان نظره مباشراً إلى الكاميرا.

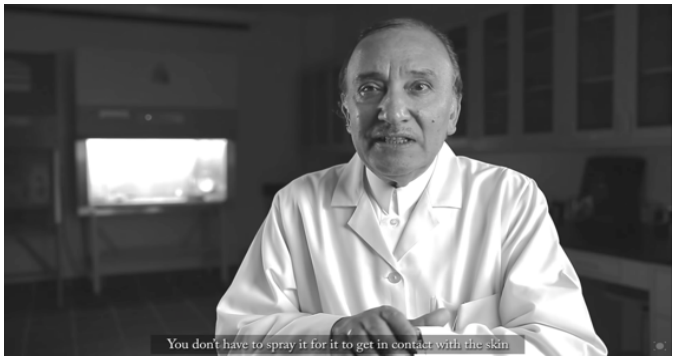

عدد الكاميرات: في العادة يتم الاستعانة بكاميرتين، إحداهما تكون بكادر متوسط يظهر الضيف من وسطه إلى أعلى رأسه بقليل، وتكون الكاميرا الثانية مقرّبة منه بحيث يظهر الضيف من نحره إلى أعلى من رأسه قريباً. ويساعد استخدام الكاميرتين في تنويع اللقطات خلال اللقاءات وخصوصاً إذا كانت مطولة لكي لا يضجر المشاهد من رؤية كادر واحد طوال الوقت. ويساعد هذا أيضاً خلال مونتاج اللقاء من الانتقال عبر الكاميرتين في حين أخطأ الضيف في ذكر معلومة معينة أو قام بإعادة جملة. ويساعد أيضاً في اختصار اللقاءات بحيث يتم القطع في المونتاج عند نهاية موضوع معين والانتقال للكاميرا الثانية عندما يبدأ بالحديث عن موضوع آخر.

توزيع الإضاءة: هناك ٤ أنواع من الإضاءة في تصوير اللقاءات:

- **الإضاءة الأمامية Front Light:** ويتم تسليط إضاءة لطيفة ومناسبة على إحدى جانبي الوجه. وهذا يعطي عمقاً أكبر في تفاصيل وجه الضيف. بحيث يصبح الوجه الآخر ذا إضاءة خافتة.
- **الإضاءة الخلفية Back Light:** ويتم فيه تسليط الضوء على خلف رأس الضيف في الجهة المقابلة من إضاءة الوجه، بحيث يعطي لمسة جميلة على حدود رأس الضيف وأكتافه وجانبه.
- **إضاءة التعبئة Fill Light:** ويتم فيه تسليط ضوء خفيف جداً على المناطق من جسم الضيف حيث إنه من المهم أن تظهر ملامح الضيف ولو بشكل طفيف. الزائدة في الظل والسواد.

- **إضاءة الخلفية**Background Light: ويتم فيه تسليط إضاءات جميلة وذات توزيع وألوان ويفضل أن لا تطغى إضاءة الخلفية على. مناسبة على المكان خلف الضيف

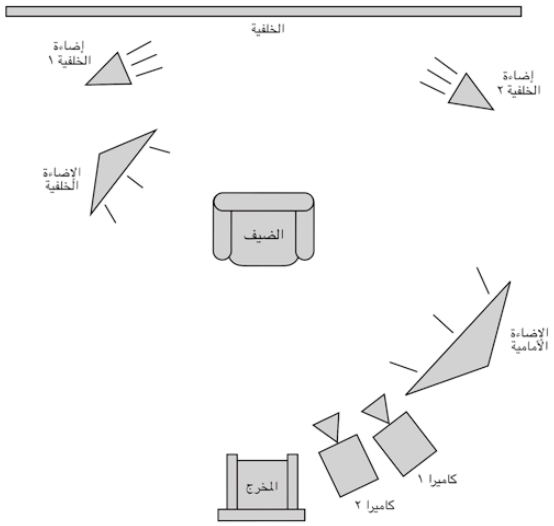

.إضاءة الضيف وأن تكون أقل سطوعاً منه، بحيث نضمن العمق في المكان

فن تصوير المشاهد الجمالية

لابد من استحضار الهدف الأساسي من تصوير المشاهد الجمالية قبل كل شيء، وهو أنها تهدف إلى خدمة فحوى القصة، وليست سبيلاً لاستعراض عضلاتك ومواهبك في التصوير. لذلك فلا تتعب نفسك باستعمال تقنيات تصويرية سينمائية فنية عالية الكفاءة في حين أن تقنيات تصويرية أبسط قد تخدم فحوى القصة وتجعلك محافظاً على جمال الفيلم في الوقت نفسه. لذلك من المهم أن تحدد جيداً الأسلوب الفني المطلوب والأمثل مسبقاً وبكل دقة حتى يتسنى لك تحديد أدواتك الإنتاجية وبالتالي عدد الفريق الذي تحتاجه. وبهذا تكون قد قللت الكثير من التكاليف المادية ومن الجهد.

في إحدى المشاريع الوثائقية المستعجلة جداً والتي كنت مخرجها ومنتجها، قمت بطلب الكثير من الأدوات من مدير الإنتاج وخصوصاً الإكسسوارات التي تعطيني اللقطات المتحركة

Tracking Shots، كالـ Sliderوالـ Shoulderوالـ Stabilizerوغيرها. ولضيق الوقت بشكل رهيب لم يتسن لي اللقاء أو حتى مهاتفة مدير التصوير قبل يوم التصوير الأول للفيلم ليتسنى لنا مناقشة الأسلوب الفني في التصوير وتحديد الأدوات، بل لم يكن عندنا الوقت لإلقاء نظرة تفقدية على مكان التصوير قبلها.

وعندما جاء مدير التصوير في بداية أول يوم في التصوير، وجلست معه لدقائق معدودة لأشرح له فكرة الفيلم الوثائقي ورؤيتي الفنية والأدوات التي طلبتها، رد علي متبسماً بأننا لن نحتاج لنصف الأدوات التي أحضرها مدير الإنتاج. فقام بطريقة ذكية جداً وبفعل خبرته الجيدة في المجال بإعداد مكان التصوير سريعاً وتوزيع الإضاءة مع فريق العمل، ومن ثم أمسك الكاميرا بيده دون استخدام أي إكسسوارات تُذكر وبدأ يخبر الممثلين بأداء الأدوار المطلوبة منهم، وقام بتصوير عدة لقطات من زوايا مختلفة، ومن ثم عرض علي ما قام به. وجدت النتيجة فاقت توقعاتي وكانت مدهشة جداً وتخدم فحوى القصة بشكل كبير. حيث إن فكرة الفيلم كانت تحكي قصة حقيقية واقعية عن حالة طبية حرجة ومؤلمة، وكان من رأي مدير التصوير أن يتم استخدام التصوير اليدوي وأن يتم توزيع الإضاءة بالطريقة التي اقترحها حتى تعطي النتيجة أسلوباً يكسوه التوتر والترقب. وقد حقق بالفعل الهدف المنشود.

السر في بعض الوثائقيات هو البساطة في التصوير، والذكاء في توزيع الإضاءة لا أكثر. وعند مشاهدتك للكثير من الوثائقيات المشهورة والناجحة ستجد أن أسلوبها الفني في التصوير بسيط وذا دلالات وإيحاءات تخدم القصة ولا يهمها أن تخدم سمعة ومظهر صانع الفيلم نفسه. العفوية في صناعة الفيلم الوثائقي تضفي عليه لمسة متواضعة تجعله محبوباً ومتقبلاً بشكل أكبر، فاحرص على إبراز هذا الطابع في فيلمك.

○ ○ ○

هناك عدة أنواع في تصوير المشاهد الجمالية، بعضها يتعلق بأسلوب التصوير، والآخر بكوادرها. أسلوب التصوير قد يكون:

- **Handheld: محمولاً باليد** والذي يعطي رسائل فنية توحي بالتوتر والاضطراب والخطر والترقب.
- **Still: ثابتاً** والذي يستخدم لعرض أمر معين دون الحاجة Tripod باستخدام الحامل الثلاثي إلى إيصال رسائل معينة.
- **Pan Shot: لقطة عامة** يميناً أو Tripodوهو تحريك الكاميرا وهي على الحامل الثلاثي يساراً أو إلى الأعلى أو الأسفل، والذي يهدف إلى توضيح تفاصيل أكثر عن المكان وذلك بعرض لمحة عامة بتحريك الكاميرا بسلاسة وهدوء.
- **Moving Shot: لقطة متحركة** وهي طريقة لتحريك الكاميرا على جسم متحرك على قضبان حديدية لجهات مختلفة وبأساليب متعددة والذي يعطي أسلوباً سينمائياً سلساً وذا جاذبية عالية. وهي على أنواع:

- والذي يدعوك إلى التركيز على الشخص أو الشيء الذي :Dolly inللأمام نحو الهدف تتحرك نحوه الكاميرا.
- والذي يهدف إلى إظهار تفاصيل أكثر عن المكان :Dolly outللخلف بعيداً عن الهدف الذي تبتعد الكاميرا عنه.
- والذي يعطيك تركيزاً على الشخص حين :Tracking Shotتتبع الهدف من الجانب تحركه في مكان معين.
- في Pan Shotكأخذ لقطة عامة لليمين أو اليسار : إضافة حركة إضافية على التحريك والذي يعطيك رسائل ممزوجة حسب Dolly inحين أن الكاميرا تتحرك للأمام الحركات المضافة إلى بعضها.

كوادر التصوير كثيرة ومتعددة، وغالباً ما يتم الالتزام بها في تصوير الأفلام الروائية، وتعطيك معانياً ودلالات سينمائية مهمة. ومن المهم أن يحرص عليها صانع الأفلام الوثائقية؛ لأن هذه الكوادر هي بمثابة اللغة المرئية العالمية التي يفهمها ويفك طلاسمها المشاهد بشكل لا واعٍ؛ لتعوده على رؤيتها في أغلب الأفلام. وهذه الكوادر مقسمة على الآتي:

- وهي لقطة واسعة للمكان المراد تصويره، ويقصد به دعوتك إلى:**Wide Shotكادر واسع** التأمل في كامل المكان دون الحاجة إلى التركيز على أمر دقيق بعينه.
- والذي يقوم بها المصور ليضيق تركيزك على منطقة أقرب :**Medium Shotكادر متوسط** من اللقطة الواسعة رغبة منه في تركز على أمر أدق في المكان.
- والتي غالباً ما تكون مقصودة حتى تعطي جل تركيزك على الأمر :**Close Shotكادر قريب** الذي اقترب منه المصور في المشهد.

إجراء اللقاءات

إن إجراء اللقاءات في الفيلم الوثائقي يتطلب ذكاء تجاه الضيف نفسه وتجاه الجمهور. فلابد أن تعرف كيف تسأل الأسئلة الصحيحة والممتازة للضيف وأن تعرف كيف تتدرج في الأمور وتقتنص اللحظات الحاسمة، وأن تفهم شخصيته وتعرف الأسلوب الأمثل لجعله يبوح لك بكل ما عنده. أما من ناحية الجمهور فالذكاء هو معرفة تحديد المحاور التي تهمه وأن تحرص على أن يعطيك الضيف كامل إحساسه ومشاعره حتى يستشعره الجمهور ويتعاطف معه.

الفهم

لم أتعلم مهارات الحوار من خلال الدورات التدريبية، بل أعترف بأني كنت أتخبط كثيراً خلال طرح الأسئلة في اللقاءات التي كنت أصورها في أفلامي، ولم أكن أعرف الأسلوب الصحيح في ذلك. وتعلمت مع الوقت أن السر يكمن في فهم الضيف واستيعاب ما في قلبه وعقله. وبذلك ستعرف الأسلوب الذي ينفع معه ويُشعره بالراحة خلال الحديث معك.

الهدوء

من المهم جداً التحلي بالهدوء فالهدوء فالهدوء. هذا هو السر في كسب ثقة الضيف. من الطبيعي أنك تريد الأفضل لفيلمك وترغب في أن يقول كل ما في جعبته لك، ولكن بالهدوء ستتمكن من جعله يعطيك ما تريده ولو بعد حين. فإذا فاتحته بموضوع لم يرغب أن يتحدث عنه، فدعه وشأنه وادخل معه في موضوع آخر لفترة، وعندما تشعر بأنه اطمأن لك ارجع وافتح معه الموضوع السابق مرة أخرى علّه أن يستجيب هذه المرة.

إني أشبه الحوار مع الضيف بالصيد، ليس من الناحية السيئة بمعنى أن تجعله يقول أموراً قد تضره، وإنما من ناحية اقتناص أفضل المشاعر والأحاسيس منه. فلا يمكن للفريسة أن تقع أسيرةً لصيادها إذا ما كان هادئاً إلى أن يصل إليها.

النية الطيبة

بإمكان الضيف أن يشعر بما يدور في عقلك، فكن نزيهاً وذا نية طيبة، وأن يكون هدفك)هو (في المقام الأول وليس الفيلم؛ لأنه وكما قلنا سابقاً، مهمتك الأساسية هو أن تبرز قصته وأن تكون صوته وأن تساعده على إيصال رسالته. إذا كان هدفك هو نفسك وشهرتك وشهرة فيلمك على حساب الضيف فإنك لن تدوم في هذا المجال طويلاً، بل سينتشر عنك الخبر بأنه ذو وجهين وأنك تبطن نية سيئة وتُظهر أخرى مزيفة.

الإعداد

إن البداية الحقيقية لتصوير اللقاء تبدأ من إعدادك مسبقاً لهذا الحوار. فإذا قمت بالبحث الجيد عن الضيف والموضوع فإنك ستكون على أتم الاستعداد لإدارة الحوار بلياقة أكثر. فإذا كنت تجري حواراً مع عالم في مجال معين فمن المهم أن تفهم أبرز تفاصيل ذلك العلم حتى لا يستهين بك الضيف ويعطيك رؤوس أقلام من أجوبته حتى يمشي سريعاً.

بناء الثقة

الكثير يسأل عن كيفية بناء الثقة ما بينك وما بين الضيف، فإن أعطاك الضيف ثقته فإنه وبلا شك سيجيبك على كل الأسئلة وسيكون متعاوناً معك، وهذا ما يريده أي وثائقي. السر يكمن في صراحتك. أن تكون أهدافك ورسالتك مكشوفة له، وأن تشرح له رؤيتك والنتائج التي تريد الخروج بها من هذا اللقاء ورغبتك في أن تصنع فيلماً جيداً يُظهره بالصورة الجيدة. حتى في أسلوب طرحك لأسئلتك وانتقالك بين المواضيع، كان واضحاً في أسلوبك ولا تُشعره بأنك تراوغه في الحديث لتصل إلى مبتغىً تخفيه.

الأسئلة القصيرة

اجعل أسئلتك قصيرة وواسعة، واترك له كامل الحرية أن يتحدث إلى أن ينتهي. إذا شعرت بأنه يخرج عن الموضوع بشكل متكرر، فاسأل أسئلةً دقيقة أكثر وفي صلب الموضوع. وأبلغه بأدب بأنه يخرج عن الموضوع وأنك ترغب في أن تركزوا على موضوع معين.

كسر الجليد

ستواجه في رحلتك في صناعة أفلامك الوثائقية الكثير من الضيوف الذين لم يسبق لهم أن أجروا لقاءاً تصويرياً كالذي تفعل، وقد يصاب الكثير منهم بالتوتر والقلق والرهبة من الكاميرا والموقف الذي وضعتهم فيه. ما أقوم به عادة في هذه المواقف هو)كسر الجليد (وذلك بأن أسألهم أسئلة عادية عن حياتهم الشخصية أو ذكرياتهم وبداياتهم ومراحل الدراسة وغيرها من المحاور التي لا تمت بصلة لموضوع الفيلم. واترك لهم المجال وكامل الحرية للإجابة على هذه الأسئلة. ستجد بعد وهلة بأن التوتر قد قلّ بل واختفى بشكل ملحوظ، لأنهم بدؤوا بالتعود على الوضع وخصوصاً عندما جعلتهم يبدؤون الحديث في أمر يألفونه. وبعدها بإمكانك أن تبدأ في طرح أسئلتك الأساسية المتعلقة بالفيلم رويداً رويداً.

أخيراً وليس آخراً

بعد آخر سؤال أسأله الضيف وقبل أن أنهي اللقاء، اعتدت دائماً أن أسأله سؤالاً بسيطاً في شكله ولكنه غالباً ما يأتي بأجوبة جميلة. وغالباً ما أستخدمها في أفلامي: هل هناك أمر تريد قوله ولم تقله؟. قد يبدأ الضيف بالتحدث عن أمور جديدة لم تخطر على بالك بل قد يعطيك مشاعر أعمق ولحظات أجمل.

إذا لم ينجح اللقاء

في بعض الأحيان قد لا ينجح الحوار، فقد لا يكون الضيف متعاوناً أو قد يختصر أجوبته بشكل كبير وغيرها من الممارسات التي قد لا تعجبك أو لا ترتقي لتوقعاتك. قد يكون السبب في أن الضيف لم يرغب من الأساس الظهور في الفيلم، ولكنه لم يتمكن من رفض الدعوة لسبب أو لآخر، أو أن أسئلتك لم تناسبه وقد لا يكون عنده الدراية الكافية بأغلب الإجابات. أو أنه فقد الثقة بك لسبب ما، وقد يكون شخصاً كتوماً ومنطوياً في طبيعته الشخصية.

بإمكانك أن تلمح بعض العلامات على الضيف والتي توحي بعدم رغبته في الاستمرار أو عدم شعوره بالراحة. كبعض الحركات الجسدية أو تغير لغته وأسلوبه ونبرته. لذلك فانتبه لهذه العلامات، فكلها ستظهر على الشاشة وسيلاحظها الجمهور. وهنا بإمكانك أن تفعل إحدى الأمور التالية:

١ -إنهاء الحوار بطريقة متدرجة وهادئة، وأن تعرض على الضيف أن تقوم بتصويره في يوم آخر. فقد تكون أنت المشكلة لأنك لم تكن مستعداً للقاء من قبل.

٢ -قد تكون صريحاً معه من البداية بإخباره بإحساسك أن اللقاء لا يسير بالشكل المأمول، وأنه هل هناك مواضيع أخرى يرغب الضيف بالحديث عنها عوضاً عن أسئلتك.

٣ -أو قد تستمر في الحوار دون الاكتراث لما سيحدث. وقد يؤدي إلى أن يتفاقم الأمر ليصبح غير محبذ أبداً، أو قد تحاول أن تغير من أسلوبك في طرح الأسئلة بطريقة ناعمة ومخفية وتجرب طرقاً مختلفة إلى أن تشعر بأن الأمور استقرت معك.

○ ○ ○

إن بعض اللقاءات تكون متعسرة حتى قبل البدء فيها. فقد يكون الضيف في حالة مزاجية سيئة في تلك اللحظة أو أنه لا يحبذ الظهور في اللقاءات التلفزيونية من الأساس وغيرها من الأسباب. وقد تواجهت مع بعض الشخصيات الصعبة المماثلة، وبإمكانك أن تتخيل كمية الضغط النفسي الذي أواجهه في محاولة إقناعه في ظل انتظار الفريق والأمل الذي وضعه المنتجون فيّ.

ففي مرة من المرات تواجهت مع مستكشف للآثار كبير في السن وذي مزاج صعب للغاية. وكان المطلوب هو أن أجعله ينتظرنا لتجهيز مكان التصوير لإجراء لقاء معه حول إحدى المواقع التي اكتشفها. لم يتمكن مدير الإنتاج من إقناعه لخوض هذه التجربة معنا، حيث رجع إليّ قائلاً بأن الضيف يرفض رفضاً قاطعاً أن نقوم بتصويره. وأبلغني بأنه يئس من محاولة إقناعه وأنه يفكر جدياً في أن يلغي التصوير. تدخلت سريعاً وطلبت منه أن يعطيني الفرصة لأحاول معه. أذكر بأن الأمر استغرق مني ١٠ دقائق فقط. لا أدري ما الذي فعلته. أصبحت أجد نفسي أدخل في بُعد آخر عجيب كلما تقابلت مع تحد من هذا النوع.

وعندما أكون في هذا البعد يصبح عقلي يعمل بطريقة مختلفة، فأقوم بتحليل شخصيته ومحاولة تشبيهه بشخصية قابلتها مسبقاً وكيف تعاملت معها في حينها وما الخطأ الذي ارتكبته أو الفعل الصائب الذي فعلته. ومن ثم يقوم عقلي في هذا البعد الآخر بإعطائي الطريقة الصحيحة للتعامل معه. وبالفعل، استطعت أن أجري اللقاء مع هذا المستكشف الطاعن في السن وهو في قمة الرضا والحماس، بل جعلته ينتظرنا لحين تجهيز الإضاءة وأدوات التصوير الذي أخذ منا قرابة الساعة دون أن يتعجلنا.

يكمن السر في مثل هذه الحالات في المقام الأول إلى الاستعانة بالصدق مع الضيف في توضيح اهتمامك به وبإجراء اللقاء معه. وقد تتناسى أمر اللقاء قليلاً لتبدأ بالتحدث معه عن إنجاز معين قام به. وعند التوغل في النقاش حول هذا الموضوع الآخر وخصوصاً إذا قمت بطرح بعض التساؤلات والاستفسارات الذكية التي قد تجعله يعجب بعقليتك النبيهة، فإن هذا التصرف قد يؤدي بطبيعته إلى جعله يبدأ بالاهتمام بإجراء اللقاء معك. ولا تنس بأن حسن نيتك دائماً ما تكون واضحة على ملامحك ويفهمها كل من تحاوره، والعكس كذلك.

○ ○ ○

إحدى الحلول الجميلة جداً والتي قد تساعدك بشكل كبير عند إجراء اللقاءات مع الضيوف هو أن تدع شخصاً آخر يقوم بمحاورة الضيوف بدلاً عن صانع الفيلم أو المخرج، وخصوصاً إذا كان هذا الشخص مقرباً جداً من الضيوف وعارفاً بتفاصيل الفيلم ورسالته وأهدافه وملماً بالمحاور والأسئلة. جربت هذا في إحدى الأفلام الوثائقية التجارية التي أنتجتها وأخرجتها والتي كانت تتناول قصة نجاح جهة معينة، حيث كان أحد الموظفين في هذه الجهة محبوباً لدى كافة الضيوف الذين قررنا أن نُجري اللقاءات معهم. وبطبيعة الحال كان ملماً بكافة المحاور وكان عنده الأسلوب اللطيف والذكي في طرح الأسئلة واستدراج الضيف ليعطي أفضل ما عنده. فقررنا منذ البداية أن

نجعله هو من يقوم بهذا الدور، وبالفعل حصلنا على أجمل النتائج وكانت اللقاءات مليئة بالمعلومات وغنية جداً بالأحاسيس والمشاعر. فكان تصرفنا موفقاً حيال هذا الأمر.

التعامل مع الفريق

الفريق هو من العوامل الأساسية لنجاح أي مشروع، ومن المهم جداً أن تعرف كيفية التعامل معهم خصوصاً في اللحظات الصعبة. ويتعامل الوثائقي مع جزأين من الفريق، من هو فوق الخط Above-the-lineمن منتجين وممولين، ومن هم تحت الخط Below-the-lineمن مصورين ومهندسي الصوتيات وممنتجين. ودور الوثائقي الأساسي دائماً مع كليهما هو حل المشكلات. فالكل سيواجه تحدياً بشكل أو بآخر في مجاله ومكانه، وإذا لم يستطع حلها سيرجع إليك طالباً المشورة والحل الأمثل. لذلك وجب عليك أن تكون هادئاً دائماً وأن تجد الحلول المناسبة والمرضية للجميع.

أنت قائد

إن للقائد مسؤوليات كبيرة تتطلب منه أسلوباً ممزوجاً بالحزم واللين في نفس الوقت. أن تضع مهاماً واقعية ومحددة بدقة من كل عضو في الفريق وأن تشرح تفاصيل هذه المهام إلى أن تتأكد من أن كل عضو فهم رؤيتك جيداً. لذلك لابد من إجراء عدة اجتماعات مع الفريق قبل يوم التصوير حتى يتسنى لكم النقاش بشكل مطول في الأهداف والمهام.

ومن أهم السلوكيات التي يجب أن يتحلى بها القائد هو الصدق والصراحة. فإن التحلي بهذا يجعل أعضاء الفريق يثقون بك أكثر ويقدرونك. ويجب على القائد أن يحترم خصوصية كل عضو بأن ينقده ويعلق على طريقة عمله بعيداً عن باقي أعضاء الفريق دون أن يجرح مشاعرهم أمامهم.

ومن أهم صفات القائد أيضاً أن لا يغضب مهما حصل. وإن لم تخرج من هذا الكتاب إلا بهذه النصيحة فأنت بخير. لأن للغضب والانفعال تبعات وعواقب وخيمة لا تحمد عقباها. ستجد نفسك قد خسرت كل شيء من حولك بسبب انفعالك الذي قد يدوم لعدة ثوان، هذه الثواني القليلة كفيلة بأن تضيع منك أغلى ما تملك. لذلك وجب عليك أن تكون صبوراً ومتحضراً. ودائماً ما تأتي السلوكيات السليمة في التعامل وردات الفعل الحكيمة مع الخبرة وكثرة مخالطة الفريق وكثرة المشاريع.

لا أخفيك بأنني كنت شخصاً عصبياً جداً، وكنت لا أستطيع التحكم في ردات فعلي. ولكن مع السنين والتجربة وكثرة الفقد والخسارة التي ترتبت على ردات فعلي الغاضبة، أصبحت الآن أكثر مسؤولية وصبراً وحلماً؛ لأن ما خسرته بسبب غضبي كان غالياً جداً.

المشاكل والخلافات

دائماً ما تطرأ مشكلات تقنية أو خلافات بين أعضاء الفريق، ويأتي دورك في الفصل بين هذه الخلافات وإيجاد الحلول فيها. لا تنس بأن الفريق يعاني من الضغوط والمسؤولية وخصوصاً

إذا أحبوا المشروع أو رغبوا في أن يكون نتاج عملهم مفتاحاً لمشاريع أخرى. وجب عليك هنا أن تستمع جيداً وأن تتعاطف مع كل شخص وأن تكون ليّن الجانب في محاولة إقناع كل واحد منهم، وأن تلتقي معهم في منطقة في الوسط. وفي بعض الأحيان إن وجدت الفريق في خلاف بإمكانهم حله بأنفسهم بين بعضهم فالأفضل ألا تتدخل، حتى يتعودوا على حل مشاكلهم بين بعضهم.

تبدأ المشاكل بالعادة في أول أيام التصوير، وخصوصاً إذا لم يسبق لأعضاء الفريق أن عملوا معك مسبقاً أو مع بعضهم. لذلك اصبر على المراحل الأولى من الإنتاج وسيجد الجميع مكانه عاجلاً أم آجلاً.

من أهم الأمور التي يجب أن تفعلها باستمرار هو فترات الراحة وإن كانت مدتها قصيرة. إن إعلانك لفترة الراحة سيجعل فريقك محباً لك لتقديرك لجهودهم وتعبهم. وسيعطيهم متسعاً من الوقت لإصلاح أوضاعهم وحل مشاكلهم. بل ستكون مدة جيدة يشحنون فيها طاقتهم ويتناقشون معك حول الأمور الإنتاجية ومشاهدة التصاوير السابقة. واحرص على أن يتم تقديم المشروبات والوجبات الخفيفة بسخاء، ولا تبخل عليهم بأي أمر يحتاجون إليه ويتناسب مع ميزانيتك. فهم رأس مالك وسواعدك اليمنى.

فقد السيطرة

بعض الأحيان قد تخرج الأمور عن السيطرة، فتجد المصور يقوم بتصوير أمور لم تطلبها أو لا تريدها، وقد تجد الممنتج يعمل على مسار للقصة لم توافق عليها أو لم تعجبك من الأساس. ويزيد الأمر حدّة إذا كان العضو من الفريق مُصراً على رأيه وتوجهه. كيف بإمكانك أن تعرف في هذه اللحظة أن هذا العضو لا يقدّر رؤيتك أو أنه يحاول أن يقدم لك الأفضل؟.

هناك خيط بسيط ما بين احترام وجهة نظر هذا العضو وتركه يدير الأمر بنفسه. ودائماً ما يكون الحل هنا هو التواصل بكل هدوء ومحاولة فهم الموقف من وجهة نظره وشرح وجهة نظرك. وبعد التفكير في الأمر بهدوء قرر حيال الاستمرار مع رأيه أو لا. ولكن احرص على أن يكون الأمر متحضراً وبكامل الأدب.

قد تخرج الأمور عن السيطرة لدرجة تستدعي الاستغناء عن عضو في الفريق. من المهم جداً التفاهم والتقبل في كل الأوقات، وهدفك الأساسي هو أن يستمر الإنتاج بشكل جيد وأن تشرح كل شيء بكل وضوح. قد تتواجه مع اعتراضات متكررة من أحد الأعضاء، وقد تحاول معه لعدة مرات أن يتفهم وجهة نظرك وأن تحاول الالتقاء به في المنتصف، وقد لا تثمر كل محاولاتك. هنا ستكون عندك حرية القرار حيال البحث عن البديل أو الاستمرار مع هذا العضو والتكيف معه. وإذا قررت أن تستغني عنه مع الحفاظ على استمرار الإنتاج، فاجعله اجتماعاً سريعاً واشرح سبب قرارك ولا تكن مرافعاً عن نفسك ولا مهاجماً له، وإنما هو افتراق بكل ود واحترام. ولا تنس حقوقه المتفق عليها في الاتفاق.

ومن الأمور التي قد تخرج عن السيطرة هو التغييرات الجوهرية التي قد تطرأ على خط سير القصة. وذلك بسبب ظروف إنتاجية أو تغييرات آنية أو إضافات جديدة وغيرها. من المهم هنا

أن تكون سريع البديهة في إيجاد الحلول العملية المتناسبة مع مسار الفيلم. بإمكانك أن تأخذ فترة راحة لعدة دقائق حتى تفكر في الأمر جيداً. وبإمكانك أيضاً خلال هذه الفترة أن تمسك بالقلم وأن تقوم بإجراء التعديلات السريعة على تسلسل الفيلم الذي قمت ببنائه في مرحلة الكتابة والإعداد وأن تتأكد من جدواها وتطمئن لها. وبإمكانك أيضاً أن تتواصل مع أحد أعضاء الفريق الإبداعي أو الكاتب أو المنتجين وأن تتناقش معهم على الأمور الطارئة على القصة وأن تشاورهم في الحلول البديلة المناسبة.

حاول دائماً تجديد بصيص الأمل والمَخرج من كل تغيير أو أمر يطرأ لك، وأن تستفيد منه بشكل إيجابي. فالكثير من التغيرات التي حصلت خلال عملية الإنتاج في أفلامي كانت نقطة تحول إيجابية في القصة وإضافات مهمة وجديدة في الأحداث. كن متقبلاً دائماً للتغييرات والاقتراحات والآراء والإضافات، وسِر معها بحكمة مترقباً النتائج الإيجابية من ورائها. فالخطة الأولية التي وضعتها سابقاً ليست قرآناً منزلاً، انظر للأمر دائماً برحابة ومرونة وأن في الأمر متسع يتحمل حس المغامرة والمخاطرة. فهذه هي حلاوة التجربة في صناعة الأفلام الوثائقية.

وثق بأن أي تغيير في عملية الإنتاج والقصة ستتمكن من حله وإيجاد سبيل جديد لعرضه في مرحلة المونتاج. فهذه المرحلة هي المطبخ الحقيقي للفيلم الوثائقي وفيها يتم صياغة الخط النهائي للقصة وإيجاد الحلول لعرضها. فانتقل معي لهذه المرحلة المهمة.

الفصل السابع
المونتاج

"بفضل الكاميرات الصغيرة والمعلومات المتوفرة في كل مكان والمونتاج الرقمي السهل، أصبحنا نعيش في العصر الذهبي في صناعة الوثائقيات. فبفضل هذه التقنيات الجديدة أصبح بإمكاننا إنتاج أفلام سيمائية وجميلة ومعقدة بكل سهولة حول قصص واقعية".
لوسي والكر Lucy Walker

إن أكثر مرحلة أتشوق لعيش أجوائها والخوض في جميع تفاصيلها بنفسي هي مرحلة المونتاج. فليس هناك أمتع ولا أجمل من أن أجلس أمام كمبيوتر أبل iMACوأجد فيه برنامج البريمير Adobe Premiereينتظرني للتباحث معه عن أفضل طريقة لتركيب فيلم ممتع من التصاوير التي قمت بها في مرحلة الإنتاج. أشعر في لحظة من اللحظات بأن برنامج البريمير يتحدث إليّ، بل وقد ينتقد بعض التصاوير التي لم أحرص على تصويرها بطريقة أفضل. بل في أغلب الأحيان أجده يقترح علي الأفكار والطرق التي يظن بأنها ستكون مناسبة لعرض مشهد معين.

قد يختلف معي الكثيرون في أمر أن يقوم المخرج بعملية المونتاج بنفسه. فالكثيرون منهم لا يطيقون الوقت والجهد والتعقيد التقني الذي تتطلبه هذه المرحلة، فيسلمون هذه المهمة لممنتج مختص ليقوم بها. وأظن بأن هذا قد يكون تصرفاً صحيحاً وجائزاً عند صناعة الأفلام الروائية، فهي محددة إلى حد كبير بنص وسيناريو و"ستوري بورد "وغيرها من الإعداد المسبق الذي سيقوم الممنتج ببساطة بتطبيقها على برنامج المونتاج. بل وسيجد المشاهد مرتبة ومرقمة دون الحاجة إلى بذل أي اجتهاد مبدئي. ومن ثم سيأتي دور المخرج بعد تنقيح وتنسيق جميع المشاهد ليقوم بإضافة ملاحظاته ورؤيته وغيرها من الأمور التكميلية.

أما في الأفلام الوثائقية فأظن بأنه من الأفضل أن يكون للوثائقي تدخل أكبر في مرحلة المونتاج. قد يسلم هذه المهمة في البداية لممنتج مساعد ليقوم بالترتيب والتصنيف والأمور الأولية، ومن ثم يتسلم دفة المونتاج بنفسه ليقوم بالصياغة الأساسية للفيلم. ومن ثم يعيد الأمر لمساعده ليقوم بأمور تنقيح الصوت والتلوين والربط بين المشاهد و"الموشن غرافيكس "وغيرها من الأمور الفنية والتقنية.

كما ذكرنا وسنذكر كثيراً، بأن الأفلام الوثائقية تحتوي على نوعين من السيناريو: سيناريو مبدئي)ما قبل الإنتاج (وسيناريو نهائي)ما بعد الإنتاج .(والسيناريو الثاني يتغير بنسبة كبيرة عن السيناريو الأول؛ لأن الكثير من التغييرات والمفاجآت قد تطغى على الفيلم خلال تصويره. ويتم بناء هذا السيناريو الثاني والذي يعتبر بمثابة السيناريو النهائي والحاسم للفيلم خلال مرحلة المونتاج.

فعندما يتم مشاهدة كافة المشاهد وتنقيحها وترتيبها، سيصبح بإمكان المخرج ومن معه)سواءاً كاتب أو منتج (أن يتصوروا الشكل والهيئة النهائية للفيلم بشكل مبدئي. ومن ثم يبدؤون في رسم خطة جديدة لهذه الهيئة النهائية وسيبدؤون بإعادة الكتابة وإضافة المزيد من العناصر المرئية، كالرسوم البيانية و"الموشن غرافيكس "والتعليق الصوتي حتى يظهر الفيلم بصورة أقوى.

برامج المونتاج

يسألني الكثيرون عن نصيحتي في أفضل برنامج يمكن استخدامه لمونتاج الأفلام والفيديوهات، فالبرامج أصبحت كثيرة ومتوفرة في كل مكان حتى في الهواتف الذكية. ولكن يجب استيعاب نقطة مهمة عن برامج المونتاج وهو أنها عبارة عن أدوات صماء، تقوم بما يأمرها به مستخدمها فحسب. فلا يعني أن استخدام برنامج معين سيجعل الفيلم أقوى وأجمل.

وكما قيل" :لن يصلح العطار ما أفسده الدهر"، فإن كانت عقلية صانع الفيلم هرمة، والتصاوير سيئة، والصوتيات شائبة، والإضاءة خافتة، وغيرها من المصائب الفنية، فلن يتمكن برنامج المونتاج من إصلاح هذه الأمور وجعلها تبدو أجمل مهما حاولنا. لذلك وجب على صانع الفيلم ألا يهمل في إتقان الأمور الفنية المهمة في عملية الإنتاج وعدم إحالة إصلاحها لاحقاً لمرحلة المونتاج، ظناً منه بأن هذه المرحلة عبارة عن سحر سيقوم بتحويل البصل إلى عسل. فلبرنامج المونتاج قدرات محدودة ونطاق تأثير محدد لا يمكن أن يتجاوزه.

إن المواصفات الأساسية التي يمكن بناء عليها الحكم على برنامج مونتاج معين بأنه صالح للاستخدام في أي مشروع وخصوصاً المشاريع الكبيرة وذات التصاوير الثقيلة في جودتها وحجمها، هي ٣ مواصفات:

١ -**قابلية البرنامج لاستقبال كافة أنواع الملفات:** فبعض البرامج لا تقبل ملفات مصورة وصوتية معقدة وكبيرة، وخصوصاً التصاوير الخام RAWوالتايم لابس وملفات DNGوتصاوير كاميرا البلاك ماجيك وغيرها. لذلك من المهم أن يكون برنامجاً مرناً وعالياً في تقنياته ومستقبِلاً لكافة أنواع الملفات.

٢ -**جودة وتنوع وتوفر أدوات المونتاج الأساسية:** إن من أهم مهام برنامج المونتاج أن يقوم بقص المشاهد والصوتيات والصور ودمجها ببعضها، وأن يتحكم في مستوياتها وأحجامها وألوانها ونقائها، وأن يقوم بإضافة النصوص والترجمة وتحريكها، وغيرها الكثير من الأدوات الأساسية التي لابد أن تتوفر في أي برنامج. فإن أخل البرنامج بأي من هذه المهام فإنه سيكون عائقاً أمام صانع الفيلم في صنع المشاهد التي يريدها.

٣ -**القدرة العالية على التصدير لصيغ كثيرة:** حيث إن بعض القنوات التلفزيونية وشركات السينما تقوم بطلب صيغ غريبة وعجيبة وذات مواصفات معقدة جداً لفيلمك قبل عرضه في منصاتها. ولم يعد يكتفون بالصيغة المعروفة والدارجة .mp4حيث إن بعض القنوات يطلبها بصيغة Quick Timeوأن تكون ذات دقة محددة وعدد فريمات معينة، بل وتفاجأت بأن شركات السينما المحترفة تطلب صيغة غريبة اسمها DCPو MXF وغيرها. إن لم يتمكن برنامج المونتاج الذي تستخدمه من توفير هذه الصيغ عند تصدير فيلمك فسيكون عائقاً أيضاً في طريق تقدمك.

إن البرنامج الذي أستخدمه دائماً ولن أفكر في تغييره أبداً هو برنامج Adobe Premiere لتوافر المواصفات السابقة فيه بقوة، وبسبب تطور البرنامج سنة عن سنة من قبل الشركة المالكة

له. فلا يأتي عام إلا وقد تغيرت فيه بعض الخصائص والمميزات للأفضل. أذكر بأني كنت أستخدم برنامج آخر قبل هذا البرنامج اسمه Sony Vegas، كان جميلاً جداً في أدواته بل وكان في نظري يفوق برنامج Adobe Premiereفي الأدوات الأساسية، ولكنه كان سيئاً في المواصفات الأخرى. حيث إنه كان لا يقبل أي نوع من الملفات، وكانت صيغ التصدير فيه محدودة جداً. ناهيك عن الركود السيىء من قبل الشركة المالكة في تطويره، حيث إنني أستخدمته لعدة سنوات ولم يتطور خلالها إطلاقاً.

لا أعني بهذا أن ترغم نفسك على استخدام برنامج معين بسبب سمعته وشهرته. أبداً. اِعلم بأن برنامج المونتاج هو بمثابة الصديق الذي ستصاحبه لساعات وأيام وشهور وسنوات، بل وقد تجلس متبحلقاً أمامه لفترات أطول من جلوسك مع عائلتك وأحبابك. لذلك احرص على العناية في اختيار هذا الصديق ومحاولة بناء علاقة جميلة وعملية معه.

○ ○ ○

من خلال تجاربي السابقة، سوف أقوم بمشاركتك الخطوات التي أسير عليها في مرحلة المونتاج والتي أصبحت تتكرر كثيراً في كل فيلم وثائقي أصنعه. ومن خلال قراءاتي في الكتب والمواقع والفيديوهات التعليمية التي تعلم مهارات مونتاج الأفلام الوثائقية، وجدت أن المسار يتشابه إلى حد كبير مع كل الممنتجين، وقد يتفاوت ويختلف إلى حد بسيط، كلٌ حسب ما يفضله ويخدم غايته وهدفه.

خطوات المونتاج

خلال تجربتي الطويلة مع المونتاج والتي زادت عن العشر سنوات، والتي أقوم بها بنفسي في أغلب أعمالي، تعلمت الكثير من أخطائي ومن محاولاتي حتى أصبح لي طريقة ونظرية خاصة أطبقها دائماً. وكنت أحرص من خلال هذه الطريقة التي رسمتها لنفسي أن أحقق هدفين رئيسيين،

أن أختصر الوقت الذي سيستغرقه المونتاج قدر المستطاع. وأن أجعله سهلاً وواضحاً لمن يفتح ملف المونتاج من بعدي حتى يسهل إضفاء التغييرات عليه بكل يسر وسهولة وبدون إضاعة الوقت، والذي يخدم بدوره الهدف الأول.

إن عملية المونتاج تنقسم إلى مرحلتين، ولكل مرحلة خطوات مهمة:

مرحلة ما قبل المونتاج:

- الترتيب
- النسخة الاحتياطية
- البيئة المريحة
- التخطيط

مرحلة المونتاج:

- Rough Cutالنسخة الأولية
- Fine Cutالنسخة المطورة
- Musicالموسيقى
- Narrationالتعليق الصوتي
- Finishingاللمسات الأخيرة

يظن الكثيرون بأن عملية المونتاج تنحصر على الأمور الفنية والتقنية التي يتم إجراؤها في برنامج المونتاج فقط، ويجهلون أن عملية المونتاج هي عبارة عن)عقلية .(فكما يقوم الكاتب بتهيئة كافة الظروف الداخلية والخارجية؛ لتكون حافزاً له لتقديم أفضل ما عنده عند كتابة روايته، فكذلك الحال في مونتاج الأفلام. حيث إن ما سيتم بناؤه في هذه المرحلة هو المنتج النهائي الذي سيخرج للجمهور، والذي عمل وكدّ عليه الكثيرون في صناعته في مراحله السابقة. وما سيتم في هذه المرحلة هو تأليف وتشكيل القصة النهائية للفيلم وخلق مظهره الأخير.

لذلك يتوجب أن تكون)العقلية (التي تعمل في هذه المرحلة في كامل راحتها وهدوئها وسكونها واستعدادها. فقرار استخدام الحاسب الآلي أو الآلة الكاتبة أو الورقة والقلم بالنسبة للكاتب هو أمر ثانوي جداً مقارنة بالمصدر الرئيسي الذي سيخرج الكلمات والعبارات، ألا وهو العقل والخيال. ونفس الأمر ينطبق على مرحلة المونتاج، حيث إن ما يهمنا في هذه المرحلة بشكل أكبر هو تكوين المناخ والظروف المناسبة للمنتج و لصانع الفيلم حتى يتمكنا من صياغة القصة وروايتها.

أولاً: مرحلة ما قبل المونتاج:

ويتم في هذه المرحلة إعداد وترتيب وتخطيط كافة الأمور قبل الخوض في مرحلة المونتاج الحقيقية. حيث إن ما تقوم به هذه المرحلة هو مساعدة الممنتج وصانع الفيلم أن يحصلا على كافة الملفات بشكل مرتب ليستوعبا محتويات التصاوير التي قاما بها، حتى يتمكنا من بناء السيناريو

الثاني الذي تحدثنا عنه آنفاً، ومن ثم تطبيقه وإجراء التجارب الأولية في تشكيل القصة النهائية دون تشتيت أو تعقيد.

١ -الترتيب:

قبل أن أفعل أي شيء في برنامج المونتاج، أقوم بترتيب المواد الخام التي حصلنا عليها من التصوير -من صوتيات وفيديوهات وصور -في ملفات ذات تسميات واضحة حتى يتسنى العثور على الملفات المطلوبة بكل سهولة لاحقاً.

بالطبع لكل شخص طريقته في تقسيم الملفات، ولكن هذه هي الطريقة التي أتخذها في تقسيم ملفاتي:

Video: الذي يحتوي على ملفات الفيديو. وفي داخله ملفات أخرى:

- **Footages:** ويتم تقسيم الملفات. والذي يحتوي على التصاوير التي قمت بها خلال الإنتاج. وإلخ..بداخله بالطريقة التي تناسبك، سواء بأسماء الشخصيات، أو الأماكن، أو أرقام المشاهد و Cam 1 وإن كنت تستخدم كاميرتين في الوقت نفسه في التصوير، يفضل تقسيمها إلى بداخل كل ملف Cam 2.
- **Inserts:** وهي ملفات الفيديو التي تقوم بتحميلها أو جلبها من مصادر أخرى وليس من كفيديوهات اليوتيوب أو فيديوهات سابقة من مشاريع أخرى وإلخ. تصويرك خلال الإنتاج.
- **Ex Pr:** من برنامج بريمير Exporte والذي يحتوي على الفيديوهات التي ستقوم بتصديرها ، والذي سيحتوي في الآخر بطبيعة الحال على الفيديو النهائي للفيلمPremiere.
- **Ex Ae:** التي قمت بتصديرها "الموشن غرافيكس" والذي يحتوي على الفيديوهات Exported من برنامج أفتر إيفكتAfter Effect.
- **Stills:** ويتم تقسيم الملفات. الذي يحتوي على جميع الصور الفوتوغرافية والتصاميم الثابتة بداخله بالطريقة التي تناسبك، كملف خاص بالتصاميم والشعارات وآخر بالصور الفوتوغرافية والتي قد تكون مقسمة بداخلها بالأماكن أو الشخصيات وغيرها.
- **Audio:** ويتم تقسيم الملفات بداخله بالطريقة التي. الذي يحتوي على جميع الملفات الصوتية تناسبك، كملف خاص بالموسيقى وآخر بالتسجيل الصوتي خلال الإنتاج، والذي بدوره سيكون مقسماً بنفس الطريقة التي قسمت بها الفيديوهات التي صورتها خلال الإنتاج في ملف Footages السابق شرحها.
- **Pr:** الذي يحتوي على ملفات المونتاج التي يتم العمل عليها عبر برنامج Premiere.
- **Ae:** التي يتم تصميمها عبر برنامج "الموشن غرافيكس"الذي يحتوي على جميع ملفات After Effect.
- **Ph:** الذي يحتوي على جميع ملفات التصميم الثابتة التي يتم العمل عليها عبر برنامج Photoshop.

بعد هذا الترتيب، أقوم بإجراء نفس الترتيب)خصوصاً الفيديو والصور والصوتيات (في داخل ملف برنامج المونتاج .Adobe Premiereفتكاد تجد الملفات متشابهة ١٠٠٪ في كلٍ من ملفات الهارديسك والملفات داخل برنامج المونتاج. ويكفيك طبعاً أن تقوم بإسقاط الملفات الرئيسية (Video, Audio, Stills)كما هي في البرنامج ليترتبوا بالطريقة نفسها. وأحاول قدر المستطاع أن أحافظ على تشابه الترتيب فيما بينهما خصوصاً إذا قمت بإضافة ملفات جديدة لاحقاً.

كلما كان ترتيبك واضحاً ومنسقاً وأنيقاً، كلما سهل لك ولغيرك الكثير من الأمور واختصر الكثير والكثير من الوقت. أذكر عندما كنت أعمل مع ممنتجين آخرين، أو عندما كنت أعمل على إعادة منتجة مشاريع من بعد ممنتجين آخرين، كان يزعجني جداً الخاصية الشائعة بينهم وهو عدم ترتيب الملفات بطريقة دقيقة. لا تعلمون مدى الوقت الذي أستغرقه وأضيعه لفك طلاسم الملفات ومحاولة إيجاد أماكنها أو محاولة فهم النظرية التي اتخذها الممنتج في المونتاج ليصل إلى هذه المرحلة التي جئت فيها.

٢ -النسخة الاحتياطية:

قد أجزم قطعاً بأن هذه من أهم الخطوات الاستباقية التي يقوم بها الممنتج الذكي والنبيه، وهو عمل نسخة احتياطية من كل الملفات في قرص صلب منفصل آخر)والأفضل في عدة أقراص أخرى (ليتفادى ضياع وتلف الملفات لأي سبب كان، والذي سيؤدي في حال حصول هذا الضياع إلى ضياع الجهد والمال والوقت الكثير الذي استغرقه المشروع.

في كل مشاريعي، أحرص على جلب ما لا يقل عن عددين إضافيين من الأقراص الصلبة، وأقوم بنقل الملفات إليهما. ومن ثم أقوم بفصلهما عن بعضهما فأجعل أحدهما في حقيبة الملابس مثلاً والآخر في حقيبة الظهر.

وتعلمت درساً مهماً من كمية الحوادث المؤلمة التي تسبب في ضياع ملفات التصوير)كسقوط الهارديسك من مكان مرتفع أو ضياعه (والتي تسببت في إعادة التصوير وإهدار المزيد من الوقت والمال والجهد، وهو ألا أبخل أبداً في شراء أعداد كبيرة من الأقراص الصلبة الممتازة. وأيضاً ألا أوفر الوقت في نقل الملفات إلى عدة أقراص منفصلة ولو أخذ معي الوقت يوماً كاملاً؛ لأن هذه الملفات وهذه الأقراص الصلبة هي رأس مالك الحقيقي، إنهم ببساطة خلاصة المشروع ومُنتَجه الرئيسي. ستشكرني لاحقاً إذا وقعت في موقف مؤلم لا سمح الله أدى إلى ضياع ملفاتك ووجدت نفسك قد التزمت مسبقاً بنصيحتي الأخيرة.

٣ -البيئة المريحة:

في البداية وقبل أن تبدأ في عملية المونتاج، لابد أن توفر البيئة المريحة الهادئة لك حتى تحظى بصفاء ذهن يعينك على الاستغراق في الأمر والتعمق فيه والانطلاق بخيالاتك وإبداعك وتأملاتك. فعملية المونتاج مليئة بالتفاصيل والتعقيدات والتحديات التي ستتطلب منك أن تكون حاضراً بذهنك وتركيزك خلالها.

من أساسيات المكان المريح أن تكون الإضاءة خافتة ومريحة للعين، بالإضافة إلى فائدتها في جعلك ترى الألوان والتفاصيل بوضوح أكثر. ومن أساسيات المكان المريح أيضاً أن يكون جهاز الكمبيوتر الذي تقوم فيه بعملية المونتاج سريعاً وذا كفاءة عالية وشاشة كبيرة. فالأجهزة البطيئة وكثيرة المشاكل ستكون مزعجة جداً ومشتتة وستقلل من إبداعك بشكل كبير. ولابد أن تكون عندك سماعات أذن كاتمة للصوت حتى تتمكن من سماع كامل التفاصيل الدقيقة في الصوتيات حتى تتمكن من تنظيفها وإضفاء التعديلات عليها بجودة عالية. بالإضافة إلى إحضار دفتر وقلم لتسجل الملاحظات والمعلومات والأرقام المهمة التي لا تريد نسيانها لاحقاً.

٤ -التخطيط:

لكي تسير عملية المونتاج بترتيب مريح بأقل هدر ممكن في الوقت والجهد، لابد من وضع خطة مبدئية لكيفية سير العمل وخطوات التنفيذ. في الحقيقة كل المشاريع في الدنيا وحتى المهام لابد أن يكون لها خطة تضمن تسلسلها وتنفيذها وتحقيقها باحترافية عالية وتسليمها في الوقت المتفق عليه.

إن مشاريع صناعة الأفلام ليست مفتوحة وذات رحابة تجعلك تأخذ كل الوقت لتعيش جو الشغف والإبداع الذي تظنه، وبالتالي تستهلك أكثر من الوقت والجهد الذي يحتاجه المشروع. بل بالعكس. إن عالم صناعة الأفلام وإن كانت عبارة عن فن ممتع ومليء بالشغف، إلا أن هناك أطرافاً أخرى تنتظر منك تسليم عملك في الوقت المحدد وبالمطلوبات المحددة. فهو عبارة عن مشروع له أهداف ومدخلات ومخرجات وجدول زمني لابد من الالتزام بهم جميعاً. بل إن اقتصاد الكثير من الدول قائم على صناعة الأفلام والترفيه والقنوات التلفزيونية وغيرها، وعند انخراطك في مشاريع إعلامية فيها نسبة عالية من الجدية والمراقبة والمتابعة، ستعلم أنك هنا تخطيت مرحلة الشغف والمتعة إلى مرحلة العمل الجاد الذي لا يقبل المزاح. فبالتالي لابد أن تكون سريعاً في تفكيرك وتدبيرك وعملك وتنفيذك. ولابد أن تضع خطة جادة ومحكمة في مرحلة المونتاج حتى لا تستغرق أكثر مما يجب.

ثانياً: مرحلة المونتاج:

بعد ترتيب وتحقيق كافة الأمور السابقة، فإنك على استعداد الآن للخوض في صلب الموضوع. إن عملية المونتاج عملية مؤرقة، وتستدعي الكثير من التركيز والتجارب والمحاولات للخروج بنتائج مبهرة. فبناء الفيلم الوثائقي كما ذكرنا يختلف عن بناء الفيلم الروائي، حيث إنك ستبني الفيلم من الألف إلى الياء في هذه المرحلة بالذات.

ما تقوم به حقيقةً في هذه المرحلة هو البحث عن)منطق (مناسب لدمج المشاهد ومحاورٍ اللقاءات والصور والموسيقى وكل ما في جعبتك من مواد. فأنت هنا تقوم ببناء المعادلة كاملةً وبأسلوب يتناسب مع هدف الفيلم وموضوعه، وقبل كل شيء رؤيتك ورسالتك وأسلوبك.

لكل صانع فيلم أسلوبه الخاص في بناء فيلمه الوثائقي، فالبعض يبدأ فيلمه بنقطة تشويقية تجعل المشاهد مذهولاً ومنجذباً لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك، ومن ثم يبدأ من بداية القصة ويعرضها بتسلسل مرتب ومفهوم إلى أن يصل إلى نهاية القصة. والبعض الآخر يستغني عن البداية التشويقية ويبدأ بالقصة مباشرة.

ولكي تتمكن من معرفة الأسلوب الأمثل للقصة التي بين يديك يفضل أن تشاهد بعض الأفلام الوثائقية التي تناولت نفس الموضوع أو على الأقل تعتبر من نفس الفئة. فهناك الكثير من العقول الوثائقية الرائعة التي عملت بكد وتعب لتخرج بأسلوبها الخاص الذي أغرى الملايين من المشاهدين لمتابعة أفلامهم. فلا مانع من أن تستفيد ممن سبقوك.

لقد عملت على منتجة العشرات من الأفلام الوثائقية والبرامج التلفزيونية وغيرها، ولم أستطع أن أعطي هذه المهمة لأحد سواي. رغم أن هذه المرحلة تأخذ الكثير من وقتي وجهدي، وتبعدني عن أداء مهام أخرى سواء عائلية أو مشاريع أخرى. لكني بسبب عنادي أصر دائماً على أن أقوم بالمونتاج بنفسي. ربما لأن هذه المرحلة هي أهم بالنسبة لي من المراحل السابقة، أو ربما لأنني أشبه مرحلة المونتاج بالطبخة التي لا يمكن أن تكون لذيذة إلا من يدي طباخ ماهر ومتذوق وفنان. أشعر بأن تواجدي المباشر في هذه المرحلة يجعلني أكثر تحكماً في النتيجة النهائية ويجعلني أكثر رضاً عنها. وفي بعض الأحيان وإن تواجد الممنتج المناسب للعمل أشعر بأنه بإمكاني أن أنجز الرؤية النهائية في مدة أسرع منه بأضعاف، لأن الفكرة في عقلي مسبقاً وأعرف جيداً ما أريد. فقد يستغرق شرح رؤيتي له عدة ساعات، في حين بإمكاني أن أنجزها كاملة في مدة أقل من ذلك. لكل أسلوبه الخاص في العمل، وربما قد أصل إلى مرحلة أقوم فيها بالاستثمار في ممنتجين آخرين والصبر عليهم لتستمر عجلة مشاريعي بشكل أسرع.

○ ○ ○

بعد عملي في مرحلة المونتاج للمئات بل لآلاف الساعات، فإني أجزم أنه بإمكاني أن أعطيك طريقتي الخاصة والمجربة في منتجة الفيلم الوثائقي. حيث إن الطريقة أصبحت شبه ثابتة ومكررة في السنوات القليلة الماضية، ولم أعد أحاول البحث عن طرق مختصرة أو إبداعية أكثر.

الخطة الأساسية في عملية المونتاج للأفلام الوثائقية متشابهة في أغلب الأحيان، ويستحسن أن تعد خطتك الخاصة حسب نوع الفيلم الذي تعمل عليه ومتطلباته والمدة الزمنية لكل خطوة حتى تطبعها وتضعها أمامك لتتابع تطور الأمور وتقدمها. الخطة بالعادة تكون كالآتي:

١ -النسخة الأولية :Rough Cut

ستقوم في هذه المرحلة بالتعامل مع اللقاءات، سواء اللقاءات الثابتة أو الجولات الميدانية الاستقصائية التي أجريتها مع ضيوفك. وستقوم بتلخيص أفضل الأجزاء والمقاطع وانتقادها لوضعها جاباً، وحذف الأجزاء التي لا تريدها.

في هذه المرحلة بالذات أقوم بإعداد جدول على رأسه اسم الضيف ومكون من عمود للرقم التسلسلي، وآخر للمدة الزمنية، وبعدها لمحتوى هذه المدة، وأخيراً للملاحظات. وبعدها أبدأ بمشاهدة اللقاءات وتعبئة هذا الجدول بالأجزاء المهمة التي ستستخدم في الفيلم.

جدول اللقاءات

المشروع: ..... الضيف: .....

#	البداية	النهاية	المحتوى	ملاحظات
١				
٢				
٣				

بعض الوثائقيين يفضلون تحبير كامل اللقاءات حرفياً. قد تنفع هذه الطريقة مع المخرجين الذين لن يقوموا بالمونتاج بأنفسهم، أو في حال كان الشخص الذي سيبني السيناريو الجديد ليس المخرج نفسه وإنما كاتب أو مجموعة من الكُتّاب. في هذه الحالة سيحتاجون بالطبع إلى تحبير كامل اللقاءات حرفياً. أما إن كان المخرج أو صانع الفيلم هو من سيقوم بالمونتاج بنفسه، فسيكفيه أن يقوم بتدوين ملخص اللقاءات فحسب في الجدول السابق ذكره دون تدوين اللقاءات حرفياً.

بعد تعبئة هذا الجدول لكافة اللقاءات، سيتسنى لك بعدها أن تستوعب تقريباً كل محتوى هذا اللقاء ومعرفة الأجزاء المهمة جداً، وذلك عبر وضع تعليقاتك في عمود الملاحظات والتي يمكنك أن تذكر فيها إن كنت تريد هذه الفقرة، أو أنها قد تكون مناسبة إن تم ربطها مع فقرة أخرى من لقاء ضيف آخر، وهكذا.

بعد هذه الخطوة قم بإلقاء نظرة على السيناريو المبدئي للفيلم)ما قبل الإنتاج (وتأمل فيه لوهلة. ومن ثم قم بالإجابة على هذه الأسئلة: ما الذي يمكن تطويره هنا؟ هل هناك أجزاء يمكن حذفها أو إضافة أجزاء جديدة؟ كيف أبدأ الفيلم وكيف أنهيه؟. وغيرها من الأسئلة الجوهرية. اعمل على تطوير هذا السيناريو، وقم خلاله بتوزيع محاور الضيوف)في الجداول التي قمت بتعبئتها(على فقرات السيناريو، وحاول الربط ما بينهم.

ستجد نفسك بعدها قد توصلت إلى سيناريو جديد ومحدث وأنضج. ثم قم بعدها بتطبيق هذا التوجه الجديد على برنامج المونتاج. ستقوم في هذه الخطوة بإجراء الكثير من التجارب والمحاولات وحل الكثير من المعضلات الحائلة دون الخروج بتسلسل منطقي لعرض قصتك. واعرف يقيناً بأن هذه الخطوة هي الأصعب في عملية المونتاج برمتها. إن تخطيت هذه المعركة بنجاح ظفرت، وما سيأتي لاحقاً لهو من السهولة واليسر بمكان.

وستخرج في الآخر بنسخة طويلة من الفيلم، بل وقد يتخطى المدة المحددة مسبقاً. لا تقلق، ستقوم في المراحل اللاحقة بالكثير من الاختصارات، بل إن هذا الطول صحي جداً في هذه

المرحلة المبكرة.

بعد تطبيق التوجه الجديد، بإمكانك إضافة المشاهد الجمالية مباشرة في أماكنها المناسبة. إن الدور الذي تؤديه هذه المشاهد الجمالية هو كسر رتم الرتابة في الفيلم، حيث إنه ليس من المستحسن أن يظل المشهد مرتكزاً على تصوير اللقاءات، بل يفضل الخروج عنه بمشاهد تعبر عن الكلام المذكور في اللقاء. ومن فوائد المشاهد الجمالية كذلك هو إيصال المشاعر التي تريدها للجمهور، فعندما يتحدث الضيف عن الفقر مثلاً فإن تأثير كلماته ستكون أعمق إذا عرضت مشاهد محزنة ومؤلمة لأحياء فقيرة أو لفقراء.

٢ -النسخة المطورة :Fine Cut

الهدف من هذه المرحلة هو التأكد والانتهاء من المحتوى العلمي والمنطقي في الفيلم. فستقوم في هذه المرحلة بحذف الفقرات الزائدة عن الحاجة، وإضافة فقرات أخرى كنت قد نسيت إضافتها. وذلك بالرجوع إلى كافة الملفات التي عملت عليها في مرحلة الإعداد، بالإضافة إلى الرجوع إلى جداول ملخصات اللقاءات للتأكد بأنك لم تنس أي جزئية.

وستقوم أيضاً بالتأكد من كافة المعلومات والأرقام والإحصاءات -إن وجدت -وذلك عبر البحث في الإنترنت والمصادر الموثوقة. فإن كانت المعلومات مغلوطة أو غير دقيقة، فإنه لن يبرؤها بأنها خرجت من فم الضيف، بل ستكون سمعتك على المحك إن لم تتأكد من صحتها.

ستكون هذه النسخة بالطبع أقصر من النسخة الأولية، وأقرب للمدة المتفق عليها للفيلم مسبقاً. حيث ستتمكن من إجراء الكثير من الاختصار والتحكم بشكل أكبر من حبكة الفيلم وتسلسل مواضيعه وأحداثه. بل ستتمكن من حل أغلب المشكلات والتحديات، حيث ستجد نفسك على أرض أكثر تماسكاً وصلابة.

سوف تتعرض في هذه المرحلة للكثير من التحديات، وأبرز هذه التحديات هي كالآتي:

- **عدم وجود قصة:**

وهذه من الأمور الشائعة التي تحصل معي عادةً، فعندي الكثير من المشاهد الجيدة والمحتوى المهم، ولكن لا أعلم كيفية ربطها ببعضها. وأحد أسباب هذه المعضلة هو عدم وضوح القصة والتسلسل المنطقي منذ البداية، أو قد يكون بسبب تعرض الفريق للكثير من التغيرات في مرحلة الإنتاج.

والحل هنا هو بالتوقف قليلاً والرجوع عدة خطوات إلى الوراء وتأمل كامل الموضوع مرة أخرى، ومحاولة الإجابة على أسئلة مهمة تتعلق بماهية الموضوع أساساً، ما هو الدافع، من هو بطل القصة، ما هي أهم الأحداث والأسباب التي جعلتك تصنع هذا الفيلم، وما هي النقاط والرسائل التي تنوي إيصالها للجمهور. بعدها ألقِ نظرة أخرى على المحتوى الذي بين يديك وقم بربط الأمور ببعضها. وستجد بعد وهلة بأن ملامح القصة بدأت بالتكون والنمو والوضوح.

- **عدد الضيوف كبير:**

قد تتعرض للكثير من الأسماء المقترحة للضيوف الذين سيظهرون في فيلمك، وقد يكونون جميعاً رائعين و مناسبين للظهور، فتأخذك الحماسة لتصويرهم جميعاً. ولكن قد تصل إلى مرحلة المونتاج وتجد بأنك قد أجريت ٨ لقاءات مثلاً حول قصة بسيطة والمطلوب منك هو فيلم مدته ربع ساعة. في هذه الحالة ستضطر لإظهار كل ضيف لمدة قصيرة جداً والذي قد يؤدي إلى ضعف واضح في الفيلم. بل سوف لن يتسنى للمُشاهد أن يتعاطف ويستشعر أياً من الضيوف لسرعة ظهورهم.

في هذه الحالة القرار بيدك أن تختار الضيوف الأجدر بالظهور دون غيرهم.أنت صانع العمل وبيدك الحرية أن تبني قصتك كما تشاء. قد تتطلب بعض الأمور أن تضحي فيها ببعض الأشخاص ليظهر الفيلم بصورة أفضل. أما إن لم يكن القرار بيدك وإنما بيد الجهة الممولة أو المالكة، بإمكانك عرض هذه المشكلة لهم والحل المقترح. وإن أصروا على إظهار كافة الضيوف بإمكانك أن تطلب تمديد مدة الفيلم حتى يأخذ كل ضيف سعته الكافية من الوقت. وإن تم الرفض كذلك، فليس بيدك إلا أن تُتِم الأمر على طريقتهم وانتهى الأمر.

- **وقت الفيلم غير كاف:**

قد تجد أن أحداث الفيلم أصبحت متسارعة جداً وتنقلاتها متهورة بشكل كبير للالتزام بالمدة المتفق عليها للفيلم مسبقاً، مما قد يسبب ضعفاً كبيراً في اللمسة الفنية والدرامية للقصة. قد تكون كل محاور القصة مهمة وكل تفاصيلها وأحداثها تستحق أن تُذكر، ولكن كما ذكرت في التحدي السابق، أنه لابد من إجراء بعض التضحيات.

قرأت مرة إحدى المقولات الذهبية لأحد المخرجين: "لابد أن تضحي ببعض المشاهد الجيدة، لتخرج بفيلم ممتاز ."فليس الهدف هنا أن تستعرض قدراتك الإنتاجية والبحثية وكمية المعلومات التي حصلت عليها. وإنما المهم أن يكون ما حصلت يخدم الهدف والرسالة والحبكة الوثائقية الاستقصائية لفيلمك. فالمشاهد يريد ملخص الكلام ولا يريد أن يتعب نفسه بمشاهدة تفاصيل زائدة عن الحاجة.

- **المواد المتوفرة غير كافية:**

قد تصدم بأن اللقاء الذي أجريته مع ضيف معين كان بالإمكان أن يكون أفضل لو تم إجراؤه مع ضيف آخر. أو قد تجد بأنه لو تم تصوير مشاهد جمالية أكثر أو إجراء تصاوير استقصائية ميدانية إضافية مع ضيف معين سيكون الفيلم أقوى.

في هذه الحالة ستكون في موضع مهم لاتخاذ القرار حيال الأمر، ولكي تتمكن من اتخاذ القرار السليم لابد من التباحث في الأمر مع فريق العمل. وذلك بأن تعرض المشكلة عليهم وأن تبدؤوا بالبحث عن الحل في المواد المتوفرة حالياً. إن لم تتمكنوا من العثور على الحل حينها فابدؤوا بالنقاش حول احتمالية إجراء المزيد من التصاوير، واضعين نصب أعينكم الميزانية المتوفرة والوقت المتبقي لتسليم المشروع وتوافر الفريق وغيرها من الأمور. والأهم من هذا هو الإجابة على السؤال /هل يستحق الأمر كل هذا العناء؟. أترك الإجابة لك، فكل حسب ظرفه ووضعه.

○ ○ ○

الهدف الأسمى في هذه المرحلة أن تجد حلاً ومخرجاً، وأن تتملص من أية مشكلة أو معضلة في بناء التسلسل المنطقي لفيلمك. الجهد المبذول في هذه المرحلة متعب بالفعل، فحتى أكثر العقول إبداعاً في مجال صناعة الوثائقيات تصل إلى مرحلة تتعب فيها ولا تجد مخرجاً لمشكلتها. فقد يقوم صانع الفيلم بإجراء ما يزيد عن ٦ محاولات وطرق مختلفة لتناول موضوع معين دون أن ترضيه النتائج. لذلك لا ضير من الاستعانة بالفريق ليقوموا بإبداء آرائهم واقتراحاتهم. فلعل فكرة بسيطة يلقيها أحد أعضاء الفريق في عدة ثوان تكون كفيلة بأن تخرجك من المشكلة كلها وتقدم لك فرصة جديدة لم تخطر على بالك.

ومن الحلول الإبداعية أيضاً أن تكون عندك الملكة بأن تشاهد الفيلم من منظور الجمهور، أن تتمكن من استبدال قبعة المخرج أو صانع العمل بقبعة المشاهد العادي الذي يرى العمل لأول مرة. وأن تسأل نفسك بعد كل وهلة خلال مشاهدة الفيلم:

- هل هذه الجزئية مثيرة للاهتمام؟
- هل ما شاهدته إلى الآن كاف لأن يجعلني أرغب في متابعة المزيد؟
- هل أنا متعاطف ومهتم بالقضية أو القصة المعروضة؟
- هل أصابني الفيلم بالدهشة والحيرة والاهتمام؟
- هل أريد أن أعرف تفاصيل أكثر عن أمر معين في هذه الفقرة من الفيلم أو الفقرة الأخرى؟

إذا استطعت أن تكون شفافاً مع نفسك لأعلى درجة وأنت تجيب على هذه الأسئلة -وإن كانت إجاباتك مخجلة -فإنك بالتأكيد ستجد الحل بعدها.

٣ -الموسيقى :Music

ستقوم في هذه المرحلة -وربما قد بدأت فيها مسبقاً -بإضافة الموسيقى التصويرية، وفائدة الموسيقى التصويرية تتشابه مع فوائد المشاهد الجمالية، فهي تُنهي الرتابة، وتزيد من كمية التأثير على المشاهدين.

إذا كان عندك الميزانية الكافية وتوفر عندك موسيقار جيد تثق بذوقه وأدائه وإحساسه، فبإمكانك أن تدخله معك في هذه المرحلة ليشاهد الفيلم حتى يفهم مبدئياً الإحساس المطلوب وعدد المقطوعات المطلوبة. أما إن لم تتوفر عندك الميزانية، فبإمكانك شراء المقطوعات المناسبة من مواقع متخصصة تحتوي على مكتبة كبيرة من المقطوعات المتناسبة مع هذه المشاريع.

عادة ما أشتري مقطوعات جاهزة، فإني أجدها متناسبة مع مشاريعي ولا أحتاج إلى الاستعانة بموسيقار. وغالباً ما أبدأ عملية المونتاج بالموسيقى أولاً. حيث إن تواجدها مبكراً يساعدني على بناء الإحساس أولاً ومن ثم بناء المشاهد واللقاءات عليه حتى أستشعر الأمر منذ البداية. وفي بعض الأحيان أبني المشاهد واللقاءات ومن ثم أقوم بإضافة الموسيقى المناسبة.

إن كنت قد قررت أن تشتريها من الإنترنت فإن المواقع التي تبيع المقطوعات الموسيقية تكون قد قسمت مكتبتها إلى أقسام وأنواع:

- Mood: (مفرحة -محزنة -مغامرة -دراما ...) المشاعر التي تريد إيصالها
- Instruments: (بيانو -كمان -غيتار ...) الأدوات الموسيقية المستخدمة
- Gener: (بوب -روك -جاز -بلوز ...) أنواع الموسيقى

وغالباً ما تتراوح أسعار المقطوعات من ٥ دولارات إلى ٨٠ دولاراً، وفي بعض المواقع الأخرى يزيد فيها السعر وفي بعضها تكون مجانية. وبعض المواقع تقدم عروضاً مغرية عن طريق باقة اشتراك بسعر معقول في الشهر مقابل تحميل ما بدا لك من المقطوعات.

إنه لمن أسمى أخلاقيات المهنة أن تحترم حقوق الملكية لأصحاب هذه المقطوعات عبر شراء أعمالهم أو الحصول على إذن خطي منهم مقابل استخدامها. حيث إن الذين عملوا على تلحين هذه المقطوعات قد بذلوا جهداً لا يستهان به ليخرجوا بهذه النتائج المبهرة. إنه لمن المؤسف والمعيب جداً أن تقوم باستغلال هذا الجهد دون أن تعطيهم ما يستحقونه أو أن تأخذ موافقتهم.

عند العمل على إضافة الموسيقى التصويرية احرص على ألا يطغى إضافة الموسيقى على صوت الضيف أثناء حديثه أو التعليق الصوتي. فمهمة الموسيقى التصويرية حينها هو إضفاء جو مناسب من المشاعر والأحاسيس، لا التشتيت والإزعاج. فاجعلها خفيفة ومريحة لمسامع المُشاهد.

٤ -التعليق الصوتي :Narration

إن الهدف من التعليق الصوتي في الأفلام الوثائقية، والتي يسمونها بـ)صوت الحكمة(، هو ربط الفقرات ببعضها، شرح بعض الأمور المهمة التي لم يتم شرحها في اللقاءات، عرض الإحصائيات والأرقام، التعبير عن وجهة نظر صانع الفيلم، شد المشاهد لمتابعة الفيلم، إضفاء لمسة من التشويق والترقب والترفيه.

إذا كان فيلمك يحتوي على تعليق صوتي إذاً بإمكانك أن تبدأ بالكتابة وتحديد مواقعها في الفيلم في هذه المرحلة، وذلك ببناء جدول سيناريو كالذي تم شرحه في الفصل الخامس)الإعداد.(حيث ستقوم بإنشاء جدول يحتوي على عدة أعمدة، تبدأ بالمدة الزمنية في الفيلم، ومن ثم المشهد المرئي، وبعدها النص المسموع. وسيكون العمود الأخير هو المكان الذي ستضع فيه نص التعليق الصوتي بالإضافة إلى ملخص محاور اللقاءات التي قمت بالانتهاء من منتجتها في المراحل السابقة.

بعض صناع الأفلام الوثائقية يتفادون استخدام التعليق الصوتي في أفلامهم؛ لأن المحتوى عندهم من لقاءات وجولات ميدانية ومشاهد جمالية تكفي الحاجة، ولن يضيف التعليق الصوتي على ما تم تصويره واستخدامه. بل إن استخدام التعليق الصوتي في بعض الحالات قد يضعف العمل ويبعد عنه المشاعر والأحاسيس.

إنها مسألة جدلية وحساسة بالفعل، فالتعليق الصوتي يعتبر أحد أعمدة هذا البناء، كما اللقاءات والتصاوير الجمالية. وقد يكون هذا العمود مهترئاً فيؤدي إلى خراب المشروع بأكمله. لذلك كن جاداً حيال ما إذا كان مهماً استخدام التعليق الصوتي أم لا. فقد تجد أن المادة المرئية أبلغ وأكثر تأثيراً لو تم استخدامها كما هي.

بعض الوثائقيات المعروفة أصبحت أقوى وأفضل باستخدام التعليق الصوتي، وذلك بسبب أنه تم استخدامها بذكاء وعناية. مثل أفلام مايكل موور "فهرنهايت ١١/٩ "Fahrenheit 9/11 و"سيكو ."Sickoحيث إن الأسلوب الساخر والجريء لمايكل هو الذي أضفى لمسة قوية على أفلامه، لولاها لما كان لأفلامه قيمة حقيقية.

من أجمل الوثائقيات التي شاهدتها هو فيلم "أناس سعداء Happy People" للمخرج الألماني ويرنر هيرتزوق. يقوم في هذا الفيلم بمرافقة ٣ رجال من قرية)باختيا (في شرق سيبيريا ،الذي قضى معهم عاماً كاملاً يتناول تفاصيل حياتهم وأسلوبهم في كسب لقمة العيش في تلك الغابات القاسية الباردة. زاد تشويق الفيلم -وكل أفلام ويرنر بلا شك -بوجود صوته وهو يحكي التفاصيل التي نراها ويشرح الأمور العجيبة والغريبة التي يراها، ويعبر لنا عن مشاعره في حينها بأسلوب شعري ومصطلحات بديعة هادئة، وبلكنة إنجليزية ألمانية عفوية.

وغيرها الكثير والكثير من الأفلام الوثائقية التي تستعمل أداة التعليق الصوتي بطريقة ذكية جداً وتضفي لمسة إبداعية ومشوقة إلى الفيلم. ليس بسبب أنها تحكي القصة فحسب، بل بسبب أنها تأخذ المشاهد إلى أعماق التجربة ببراعة وإبداع.

○ ○ ○

خلال أولى تجاربي الوثائقية الاستقصائية في رحلتي المتواضعة، عندما كنا نعمل في مرحلة المونتاج للفيلم)فوسفين (وبالتحديد في مرحلة بناء النسخة المطورة من الفيلم، أحسست بأن هناك حلقة ناقصة في البناء. فالضيوف والتصاوير الاستقصائية كانت مترابطة إلى حد ما، ولكني عندما لبست قبعة المُشاهد أحسست بأن هناك أموراً لم تكن واضحة، أو أنها كانت تحتاج إلى توضيح أكثر. ولم أجد من خلال المواد المتوفرة أي محتوى قد يساعد على سد هذه الثغرة. عندما جلست مع إحدى أعضاء الفريق والتي رافقتنا طوال فترة الإنتاج ومراحل المونتاج الأولية، نصحتني بأن أكون -كصانع للفيلم -من ضمن فقرات الفيلم بتعليقي الصوتي بل بظهوري في بعض الأوقات.

كانت هذه الطريقة جديدة علي ولم تخطر على بالي أبداً. وعندما أخبرتني بأن وجودي مهم؛ لأن هذا العمل يعكس رحلتي الاستقصائية في البحث عن أجوبة لأسئلة صعبة، وأنه لابد لي أن أعلّق بصوتي بين الفينة والأخرى لشرح بعض الأمور ولأمهد القصة ولكي أربطها ببعضها. وهذا بالفعل ما جعل العمل ولله الحمد يظهر بصورة أقوى ويحظى بإقبال كبير من الجمهور، وأخبرني بعض النقاد أن ظهوري فيه كـ)حكواتي (Storytellerأضفى على الفيلم لمسة استقصائية مشوقة.

إن الشخص المخول له بكتابة نص التعليق الصوتي في الفيلم الوثائقي يختلف من فيلم لآخر. فإن كان استقصائياً كالأمثلة السابقة فإنه من الأفضل أن يكتبه صانع الفيلم نفسه. ولا مانع من أن يقوم بعرض نصه على كاتب محترف ليقوِّمه وينقحه ويعدِّل عليه. أما إن كان فيلماً تاريخياً أو تجارياً فإنه من الأفضل أن يتم كتابته عن طريق كاتب مختص قد عمل مسبقاً على الكثير من أمثال هذه المشاريع. ولكن وكما ذكرنا سابقاً، لابد لأداة التعليق الصوتي أن تؤدي مهمة جوهرية وأن تسهم في تقوية أسلوب العرض والسرد القصصي في الفيلم.

ضع في حسبانك بأن اللغة المستخدمة في كتابة التعليق الصوتي لابد أن تكون مباشرة وصارمة وبسيطة، ومبينة للحقائق والمعلومات المهمة، دون المبالغة الزائدة أو الشاعرية غير المبررة أو المناضلة نحو القضية المعروضة. والذي قد يزعج المشاهد وينزع عنه حرية بناء رأيه وانطباعه الخاص. ويجب ألا يكون التعليق الصوتي مردداً لما يمكن رؤيته جلياً واضحاً في الصورة المرئية، فليس هناك داعٍ للتكرار والإلحاح. كن مختصراً خفيفاً سريعاً محايداً ومعاوناً المُشاهد على الفهم لا أن تلقنه وتعظه وتنصحه. فالفيلم الوثائقي ليس المكان المناسب لذلك.

بعد الموافقة على نص التعليق الصوتي النهائي، بإمكانك أن تقوم بتسجيله في استديو متخصص، ومن ثم إضافته على الفيلم. إن اختيار المعلق الصوتي هو من أهم الخطوات، ويجب أن تكون انتقائياً جداً في اختياره. فلنبرته ولجنسه وحتى لعمره رسالة محددة وتأثير مختلف باختلاف المواصفات السابق ذكرها. بإمكانك أن تعرف الفروقات عبر مشاهدة عدة أفلام وثائقية وتحليل الرسالة ومدى تأثرك بالتعليق الصوتي الموجود فيهم.

٥ -اللمسات الأخيرة :Finishing

ستكون في هذه المرحلة قد وصلت إلى الحل الأمثل والمسار الأكثر تشويقاً للفيلم الذي أرضى كافة الأطراف - سواء المنتجين أو الممولين أو الفريق -وبهذا تكون قد انتهيت من أصعب مهمة في العملية. ما سيأتي بعد ذلك يتعلق باعتماد المشاهد الجمالية والصوتيات و"الموشن غرافيكس "و"الثري دي "وغيرها من اللمسات الفنية الجميلة.

ستقوم بتلوين المشاهد واللقاءات لتظهر بحلّة أجمل، والسر هنا أن تجعل التلوين بسيطاً وواقعياً. فلا داعي أن تتخذ أسلوب الأفلام الروائية في المبالغة في الألوان، كجعل البيئة الكئيبة تبدو أكثر زرقة، أو البيئة السعيدة تبدول ملونة وزاهية أكثر، وهكذا. اعلم بأن هذا فيلم وثائقي، ومهمة هذا الفيلم أن يعكس هو نقل صورة مطابقة للواقع. فاجعل نهجك في التلوين أن يكون مطابقاً للألوان الواقعية دون مبالغة.

ومن أهم اللمسات الفنية في نهاية كل فيلم هو "تتر النهاية "End Credit، وهي قائمة أسماء فريق العمل وكل من أسهم في إنتاج وإنجاح الفيلم. إنه من المهم أن يتم ذكر اسم كل من أسهم ولو بالقليل في العمل، فالكثير ممن يؤمنون بالمشروع ويسعون لخدمته حتى دون مقابل هو أن يتم وضع اسمهم في تتر النهاية. فوجود اسمه هناك بمثابة الشهادة التي بإمكانه أن يستعملها عند

التقديم على فرصة عمل أخرى. وأيضاً عدم نسيانك لأي اسم وتقديرك لكافة الجهود سيجعلك محبوباً أكثر ولن يُنسى فضلك لاحقاً.

ولابد أن يكون عرض الأسماء مرتباً بدقة متناهية وبعيداً عن العشوائية. يبدأ بـ:

- المنتجين والجهات الممولة.
- المخرج.
- الكاتب وفريق الإعداد.
- مدير الإنتاج ومساعدوه.
- فريق الإنتاج من مدير التصوير والمصورين ومدير الإضاءة ومهندس الصوت ومساعديهم.
- الممنتج وفريق المونتاج بالكامل من موسيقيين ومحركي المؤثرات البصرية والملوّنين ومكساج الصوت والمعلق الصوتي.
- أسماء الضيوف الذين ظهروا في الفيلم.
- قائمة بالشكر الخاص للجهات التي تم التصوير عندها والتي أعطت التصاريح اللازمة للتصوير وكل الأشخاص والجهات التي ساعدت بشكل أو بآخر.
- مالك"جميع الحقوق محفوظة لـ)في الآخر يتم وضع جملة تحمي حقوق الفيلم الفكرية الفيلم").

توقف!

في الآخر لابد أن تعلم أن مساحة التطوير والتعديل في الفيلم الذي بين يديك لا نهائية، وبإمكانك أن تستغرق عمرك كله وأنت تقوم بإجراء التعديلات والتطويرات على فيلم واحد. لذلك فإنه لابد لك في نقطة معينة أن تتوقف تماماً عن إجراء التعديلات على فيلمك. وأن تلتفت بعده إلى حياتك أو إلى مشاريع أخرى. لا أقصد بهذا أن تترك عملك ناقصاً وغير مكتمل، بل أقصد أنه في اللحظة التي تتأكد فيها بأن مستوى العمل أصبح مناسباً لعرضه، قم بتصديره وابتعد تماماً عن إجراء أي تعديل عليه -إلا إذا كان هناك خطأ فادح لابد من إصلاحه-. ودع الفيلم يعيش جولته الجماهيرية وينتقل من مُشاهد إلى آخر ومن عقل إلى عقول أخرى بكامل حريته دون أن تغير في ملامحه أكثر.

أذكر بأني في أحد أعمالي الوثائقية مؤخراً استغرقنا بعض الوقت في بنائه في مرحلة المونتاج وقمنا بإجراء الكثير من التعديلات عليه. وعندما انتهينا منه وشاركنا به في مهرجان سينمائي حصد الفيلم والحمدلله الجائزة الأولى في قسم الأفلام الوثائقية. وعندما قررنا بعدها أن نبدأ في بيعه على القنوات التلفزيونية والمنصات العارضة المعروفة، أخبرني شريكي في الفيلم بأن نستغل الفرصة لنقوم بإجراء المزيد من التعديلات والإضافات والتطويرات على الفيلم حتى يكون أقوى. هنا رفضت أن أقوم بذلك -رغم علمي بأنه بمقدورنا أن نجعل الفيلم أفضل -ولكني كنت مقتنعاً بالمبدأ الذي ذكرته سابقاً، بأنه في مرحلة ما لابد أن أتوقف عن المونتاج تماماً. وأن أعمل جاهداً على تطبيق ما تعلمته وما كان يمكن أن أفعله في الفيلم القادم، فلابد للحياة أن تستمر.

الفصل الثامن

النشر

"دائماً ما أخبر الوثائقيين الطموحين: "عليك أن تدخل فيه لأنك تحبه، إذا ذهبت إليه للحصول على المال فأنت أحمق ."الشرط الأول هو أنك يجب أن تكون فضولياً بشكل كبير. إذا كنت تحب التعلم ومحاولة جعل الناس يكتشفون ما الذي يجعلهم يتعلمون، وقتها تكون قد حصلت على أفضل وظيفة في العالم".

مورغان نيفيل Morgan Neville

وصلنا الآن إلى هذه المرحلة بعد رحلة طويلة من التخطيط والإعداد والتصوير والمونتاج. وحان الوقت لأن يشاهد الجمهور نتاج إبداعك وجهدك وبَذلِك. فليس للفيلم قيمة إن لم يتمكن الناس من مشاهدته والتأثر به ونقده ونشره والتحدث عنه في المجالس. وكلما كانت خطتك التسويقية محكمة ومتناسبة مع بيئتك رفع هذا من احتمالية إقبال الناس عليه.

إن ما يهمك في هذه المرحلة هو وضع الفيلم في المكان المتناسب مع أهدافه ورسالته. فإن كان فيلماً وثائقياً تلفزيونياً فمكان نشره الأفضل هو عبر المحطات التلفزيونية وليس دور السينما أو المهرجانات السينمائية. ومن المهم أيضاً تحديد الجمهور بدقة حتى تعرف المكان الأمثل لعرضه حتى تصل إلى هذه الشريحة المحددة.

إن ما سنقوم به في هذه المرحلة هو إضفاء بعض اللمسات الأخيرة على الفيلم حتى يبدو جذاباً أكثر، وإعداد الخطة التسويقية المغرية حتى تشتريه المنصة العارضة وأن تقبل ببثه. ولكي تتمكن من الوصول إلى الدرجة العالية من الاحترافية في مظهر مشروعك وجب عليك اتباع الخطوات واستخدام الأدوات التي سنتحدث عنها في هذا الفصل. فلا يكفي أن تصنع فيلماً وثائقياً ناجحاً، وإنما من المهم أن تعرف كيفية تغليفه وبيعه. فقد بذلت جهداً لا يستهان به في إنتاجه، وتم صرف الكثير من الأموال في سبيل أن يخرج للعالم. ولابد في النهاية أن يحصد الأرباح لتسديد تكاليف الإنتاج وأن يكون عائداً محرزاً للاستثمار الذي وضعه صُنّاعه ومنتجيه.

إن هناك الكثير من المشاريع الرائعة والأفكار النيّرة والنتائج المبهرة، ولكنها تفشل بسبب هذه المرحلة التسويقية. رغم أن لهذه المرحلة متعتها الخاصة وليست بالمرحلة الصعبة. فقط تحتاج إلى عقلية تسويقية فريدة تختلف عن العقلية الإنتاجية الوثائقية التي تحدثنا عنها في الفصول السابقة. لذلك لابد أن تجمع حولك عقولاً تسويقية متمكنة تفهم الجمهور وتعرف الإجراءات والخطوات وذات حصيلة خبرة جيدة حتى تتعاونوا سويةً في إيصال هذا المنتج للجمهور.

أماكن العرض

قبل أن نتحدث عن الأدوات التسويقية الاستباقية التي لابد لفيلمك أن يتزين ويتسلح بها، لنتحدث أولاً عن أبرز الأماكن التي بإمكانك أن تعرض فيلمك الوثائقي فيها. فلكل مكان مميزاته وجمهوره ورسالته المستقلة، ولابد لهذه الأمور أن تتناسب مع أهداف ورسالة فيلمك. ولابد لهذا المكان أيضاً أن يتناسب مع طموحاتك وسيرتك الذاتية ومسيرتك المهنية.

فلا يكفي أن تعرض فيلمك مثلاً في أية محطة تلفزيونية دون الأخذ في الاعتبار بعض المعايير المهمة التي لابد أن تتنبه لها قبل اختيار المحطة المناسبة. فإن كانت المحطة ذات سمعة سيئة أو لا يعرفها أحد أو أن شريحتك المستهدفة لا تتابعها، فلا تغامر بوضع فيلمك عندها. فهذا سيضر مسيرة الفيلم ومسيرتك أنت. حيث أن إحدى علامات نجاح أي صانع فيلم هو مقدار ذكائه في اختيار أماكن عرض فيلمه، بالإضافة طبعاً إلى أمور كثيرة تتعلق بقوة قصته وإنتاجه وفريقه.. وإلخ.

إن أماكن العرض تنقسم إلى الآتي:

المهرجانات السينمائية:

ويفضل أن يكون هو منصة العرض الأولى لفيلمك دون أية منصة أخرى. فالمهرجانات السينمائية تعطي "برستيجاً "ومكانة رفيعة للفيلم سواء بعرضه فيها أو بفوزه بجائزة من جوائزها. فالصحف والبرامج التلفزيونية المحلية والعالمية -حسب قوة المهرجان وشعبيته -تقوم بعرض آخر الأخبار ونبذة عن الأفلام التي قُبلت فيها ولقاءات مع منظميها وصناع الأفلام المرشحين للفوز وإلخ. بل ويتم تداول هذه الأخبار في وسائل التواصل الاجتماعي. ولا ننسى أيضاً مراسم المشي على السجادة الحمراء التي يتم فيها التقاط الكثير من الصور وإجراء اللقاءات التي تزيد من مكانة ورفعة صناع الأفلام ومشاريعهم.

الكثير من المهرجانات السينمائية العالمية القوية مثل مهرجان صندانس السينمائي Sundance Film Festivalوغيرها تزيد الفيلم قوة وشهرة بمجرد قبولها لعرض الفيلم عندها وترشيحها لجوائزها حتى وإن لم يفز الفيلم بأية جائزة. حيث إن معايير الاختيار فيها صعبة ودقيقة لدرجة أن اختيارها لأي فيلم يعتبر شهادة لقوة هذا الفيلم وتطابقه مع المقاييس والشروط العالمية.

من المهم في بداياتك أن تحرص على المشاركة في المهرجانات السينمائية المحلية أو العالمية، فلهذه المهرجانات عدة مميزات ستفيدك لاحقاً. منها:

- إن فزت بإحدى جوائزها فهذا سيزيد من قوة سمعتك وسيزيد من احتمالية قبول الممولين والمنتجين للعمل معك في المشاريع المستقبلية.
- ستتعرف فيه على الكثير من الخبرات والتجارب، بل ستحظى بفرص رائعة للتحدث مع الوثائقيين الشغوفين مثلك والتعرف على المنتجين وغيرهم مما سيفتح لك فرصاً عظيمة في المستقبل.
- ستشاهد فيه الكثير من الأفلام الوثائقية المتنوعة وستتعلم من تقنيات صناعها وأساليبهم.
- أغلب المهرجانات السينمائية بل كلها تقوم بعقد ورش عمل وندوات ودورات تدريبية مصاحبة وستكون فرصة رائعة للتعلم وطرح الأسئلة. لفقرات المهرجان خلال أيام انعقادها والاستفسارات.

- ستحظى بالنقد البناء على فيلمك من خبراء مرموقين ومهتمين بهذا المجال، مما سيزيد

من قوة رؤيتك الإخراجية والإنتاجية والإبداعية.

مهما تحدثنا عن أهمية المشاركة في المهرجانات السينمائية أو حتى حضورها فلن نوفيها حقها. فهي أشبه بالمؤتمرات الطبية التي يحرص على حضورها الأطباء لمعرفة آخر ما توصل له العلم في مجالهم. وهذه المهرجانات هي بمثابة فرصة لن تتكرر دائماً، خصوصاً بأنها قد قامت بجمع كل هذه العقول الرائعة تحت سقف واحد.

ولكي تتمكن من متابعة أوقات فتح باب التقديم للمهرجانات والتعرف على شروطها وأماكن انعقادها وكل التفاصيل عنها، فبإمكانك أن تقوم بالتسجيل في الموقع الإلكتروني الرائع Filmfreeway.comحيث يقوم هذا الموقع- الأشبه بشبكة تواصل اجتماعية -بفتح حساب لك وتسجيل كافة المعلومات المتعلقة بك وبأفلامك التي تطمح أن تشارك بها في المهرجانات. ومن ثم ستجد فيه كل المهرجانات السينمائية العالمية وكافة المعلومات. بل سيساعدك على التسجيل في المهرجانات التي تريدها وعلى دفع الرسوم اللازمة وتنبيهك بالمواعيد المهمة وغيرها الكثير من الخدمات الرائعة المختصة بالمهرجانات السينمائية والمشاركة فيها.

التلفزيون:

إن للأفلام الوثائقية التلفزيونية رونقاً وأسلوباً مختلفاً عن الوثائقيات التي تستهدف أماكن عرض أخرى. فللوثائقيات التلفزيونية مدة محددة ومواضيع معينة حسب كل محطة، بل و رتماً أسرع وتفاصيل أكثر في عرض المعلومات ووسائل تشويقية أكثر، كاستخدام "الموشن غرافيكس" و"الثري دي "وغيرها من المواصفات.

لذلك يجب عليك أن تعرف مسبقاً إذا ما كان سيتم عرض فيلمك في التلفزيون حتى تبني قصتك وأسلوبك الإنتاجي على أساس مواصفات القناة المستهدفة. بل يفضل أن تحصل على موافقة مبدئية مسبقة من إدارة القناة على رغبتهم واهتمامهم بعرض فيلمك أو شراء حقوقه قبل البدء في الإنتاج؛ لأن لهذه القنوات مواصفات ومقاييس وطلبات معينة يفضل أن تعرفها مسبقاً حتى لا تواجَه بالرفض بعد الانتهاء من كل شيء في فيلمك. بل ستفيدك موافقتهم المبدئية على معرفة تسعيرة الفيلم المتوقعة حتى تحسب حساباتك المالية الإنتاجية جيداً.

الكثير من المحطات تشترط أن تكون حاضرة في المراحل المبكرة جداً من إنتاج الفيلم أو المسلسل الوثائقي المهتمة بشراء حقوق عرضه، لكي يتسنى لها أن تتحكم في بعض الأمور المتعلقة بالمحتوى وأسلوب الطرح وجودة الإنتاج واختيار الضيوف وغيرها. وهذا ما حصل معي في إحدى المشاريع التي انتهينا من إنتاجها تماماً ومن ثم قمنا بعرضها على محطة ناشيونال جيوغرافيك. رغم أنهم أبدوا استحسانهم على المنتج النهائي -وقد يكون هذا مجاملة منهم -إلا أن سبب رفضهم لشراء حقوق العرض كان متعلقاً بعدم تواجدهم في المراحل المبكرة من المشروع. حيث إنهم وضحوا لنا المواطن التي كانوا سيقومون بتناولها بطريقة مختلفة والتي كانت ستتناسب بشكل أكبر مع أسلوبهم الشائع في أغلب منتجاتهم الوثائقية.

السينما:

هي من الأماكن التي يندر عرضها لفيلم وثائقي بشكل عام. وقليلة جداً تلك الأفلام التي عُرضت في السينما بطريقة تجارية. فالسينما هي منظومة ربحية بحتة ولا يمكنها أن تضحي

بأوقات عرضها لعرض فيلم لا يجذب الجمهور إلى شباك التذاكر. والأفلام الوثائقية التي استطاعت أن تحوز على اتفاقيات مثمرة مع دور السينما هي تلك التي أحدثت ضجة كبيرة جداً، أو كان صانعها مشهوراً وذا تاريخ عريق، أو مواضيعها تهم شريحة كبيرة في المجتمع، أو أن أسلوبها ترفيهي جداً ويتناسب مع أجواء دور السينما. وإن استطاع أي فيلم وثائقي من عقد اتفاق مع دار سينما فإن أماكن عرضه ستكون محددة جداً حسب إحصائياتها وتوقعاتها لأماكن تواجد الجمهور المناسب.

منصة البث عبر الإنترنت:

مثل منصة نتفلكس وشاهد وغيرها. وهذه المنصات فتحت مجالاً جديداً ممزوجا بالسينما والتلفزيون، فهي جلبت السينما للمنزل عن طريق التلفزيون والهواتف الذكية والكمبيوتر وغيرها. وبسبب هذا المجال الجديد فقد أصبحت لها مواصفات ومقاييس تختلف قليلاً عن التلفزيون والسينما، بل قد تكون مقاييسها ودرايتها بمزاج الجمهور أدق من الوسائل السابقة بسبب قراءتها المباشرة لسلوك المشاهد في مركز التحكم عندهم. فبإمكانها أن تعرف أنواع الأفلام المفضلة لمنطقة جغرافية معينة وأوقات المشاهدة وأوقات التوقف عن مشاهدة أي فيلم -بسبب الملل مثلاً- والبحث عن فيلم آخر.

وطريقة التعامل مع أصحاب هذه المنصات وأسلوب عقد اتفاق العرض معهم يتشابه مع التلفزيون والسينما السابق الحديث عنها.

اليوتيوب:

هذه من المنصات المفتوحة في الإنترنت والتي بإمكانك رفع فيلمك فيه دون أي رسوم أو اتفاقيات. والهدف منها هو إعطاؤك إمكانية تأسيس قناتك الخاصة وعرض أي فيديو تريده بما لا يتعارض مع سياسات الموقع والحقوق الفكرية لأشخاص آخرين. بإمكان اليوتيوب أن يكون هو منصتك الأولى والوحيدة في بداياتك. حيث سيعطيك الفرصة لأن تُكوّن قاعدة جماهيرية جيدة ولأن تتعلم من تجاربك وأخطائك عبر الأفلام التي سترفعها فيها. وأيضاً لمتابعة ردود المشاهدين ونقدهم ومعرفة الإحصائيات المتعلقة بها.

لطالما كان اليوتيوب هو المدرسة الأولى لأي صانع فيلم، ولطالما تخرج منه الكثير من صناع الأفلام المرموقين وخصوصاً في المملكة العربية السعودية. فإذا تابعت أغلب صناع الأفلام وشركات الإنتاج لوجدت أن بداياتهم كانت يوتيوبية وقاموا ببناء خبراتهم على تجاربهم من خلاله. حيث إنهم كانوا أقرب للجمهور وأقدر على معرفة ذوقهم ورغباتهم.

شبكات التواصل الاجتماعي)تويتر -فيسبوك -انستغرام:(

وغالباً ما تكون الأفلام الوثائقية المعروضة فيها ذات مدد قصيرة جداً لا تتعدى ٢ أو ٣ دقائق. وتكون أهدافها دعائية ومرتبطة بمدة تأثير قصيرة المدى وذات رسائل مباشرة وموجهة لشريحة محددة جداً. قد يكون تأثيرها كبيراً ولكن ديمومتها قصيرة ولا تصلح لصناع الأفلام الذين يطمحون إلى بناء سيرة مهنية صلبة. هي بالتأكيد مفيدة جداً كوسيلة تسويقية لنشر الأعمال المرفوعة على اليوتيوب أو منصات البث عبر الإنترنت أو آخر الأخبار عن الأفلام، ولكنها غير مفيدة في ذاتها إن تم حصر رفع الفيلم إليها دون غيرها.

العروض الجماهيرية:

وهي العروض الخاصة التي تعقد في أماكن معينة كالجامعات والمؤتمرات والمقاهي والمتاحف والمناسبات الثقافية بل وحتى دور السينما -كعرض خاص -وغيرها. والتي تكون عبارة عن عروض افتتاحية يتم فيها دعوة الشخصيات المرموقة والإعلامية والأكاديمية والأصدقاء لمشاهدة الفيلم والاحتفاء به. ولهذه العروض رونق خاص وتأثير إيجابي جميل على صناع الفيلم وكأنه عرض سينمائي غير ربحي يحظى من خلاله على الدعم المعنوي والنقد البناء وبناء علاقات اجتماعية وعملية مفيدة، بل وفرص تسويقية له ولفيلمه عن طريق تداول أخبار العرض في وسائل التواصل الاجتماعي وفي الصحف المحلية وغيرها مما قد يؤدي إلى اهتمام الجمهور وتشويقه لمشاهدة الفيلم وترقبه عرضه في الأماكن العامة الأخرى كالتلفزيون ومنصات البث عبر الإنترنت

واليوتيوب.

الأدوات التسويقية

بعد أن تعرفنا على أبرز الأماكن التي بإمكانك أن تعرف فيلمك من خلالها، دعونا نبدأ بالحديث عن أهم الوسائل التسويقية الاستباقية التي يجب أن تعد لها إعداداً جيداً، وذلك بالاستعانة ببعض الخبرات في مجالات شتى كالتسويق والتصميم والتوزيع وغيرها.

لكي تتمكن من عرض فيلمك في أي من الأماكن السابق ذكرها، لابد من توفر بعض الأمور التي حتماً سيتم طلبها من أصحاب هذه الأماكن والتي ستؤثر كثيراً على قرارهم حيال عرض عملك والاتفاق معك. ومن هذه الطلبات هو ما يلي:

أولاً: اسم الفيلم:

إن عنوان فيلمك هو من أوائل الأمور التي يسأل عنها الجمهور والجهات العارضة والداعمة، بل وقد يحكمون عليه ويختبرونه ويتعرفون على موضوعه من خلاله. فنحن كبشر دائماً ما نتخذ أحكاماً فورية بناء على الانطباع الأولي. لذلك يجب أن يكون العنوان جاذباً وقوياً وذا مدلولات عميقة، ومحفزاً للمشاهد لأن يشاهده ومثيراً للغموض.

من أكثر الأمور المميزة في إنتاج أي فيلم هو اختيار اسمه. فقد لا يأتيك الإلهام من البداية، بل قد يتأتى إليك الاسم المناسب في آخر مراحل الإنتاج، وهذا أمر طبيعي. فلا تجعل هاجس اختيار الاسم المناسب يصرفك عن الأمور المهمة الأخرى، ولا تجعله عائقاً في طريق المشروع. فقد يطرأ على بالك عناوين أخرى أفضل خلال الإنتاج بناء على مستجدات القصة أو كلمات قالها الضيوف وغيرها من الفرص المهمة.

أولاً وقبل كل شيء، هناك بعض الأخطاء الشائعة التي يجب أن تتجنبها قبل أن تبدأ في عملية العثور على عنوان فيلمك:

- حاول تجنب اختيار عناوين مشابهة لاسم فيلم موجود مسبقاً.
- على الرغم من أن عناوين الأفلام ذات الكلمة الواحدة قد تكون مناسبة وجذابة أكثر، ولكن لا تبالغ في تبسيط العنوان، فليس بالضرورة أن يكون مناسباً لنوع فيلمك.
- لا تختار كلمات غريبة يصعب على المشاهد فهمها أو التي تتطلب جهداً كبيراً في فك طلاسمها، وخصوصاً إذا لم يتم التطرق لمعنى الاسم في الفيلم.
- يجب ألا يكون عنوان الفيلم ذا دلالة واصطلاح بعيد كل البعد عن محتوى الفيلم وموضوعه ورسالته.

إن هناك ٣ أنواع لأسماء الأفلام التي يمكنك أن تستعين بأحدها. ولا يعني هذا أن مسميات الأفلام تلتزم دائماً بهذه الأنواع الثلاثة، وإنما هي أفكار مبدئية علها أن تنفعك في تسمية فيلمك، ولست مرغماً على الالتزام بها.

١ -**الشخصيات:** بالنسبة للعديد من الأفلام، فإن عنوانها يرتبط باسم الشخصية الرئيسية أو بلقبها أو بوصف يصفها، وبهذا سيكون واضحاً للمشاهد بأن الفيلم تدور أحداثه حول هذه الشخصية. مثل- Jago - Nanook of the North - Black Fish - Citizenfour - Jane : Man on Wire - Diego Maradona - O.J.: Made in America

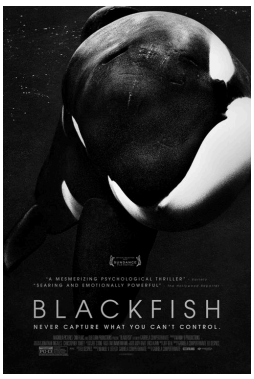

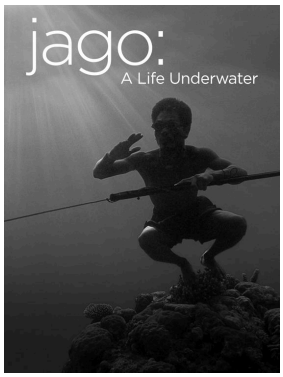

٢ -**مواقع:** قد تكون جميع أحداث الفيلم تدور في منطقة جغرافية واحدة، وقد يكون لهذا المكان تأثيراً واضحاً على حياة هذه الشخصيات وأحداثها، وقد يكون اسم الموقع من ضمن عنوان مكون من عدة كلمات تصف هذا المكان. مثل: City of Gold - Secrets of Saqqara Tomb - Born in Gaza - Cocain Island - Meru

٣ -**العواطف والظروف:** هناك طريقة رائعة أخرى لتوليد عنوان فيلمك وهي توصيف المشاعر التي تمتلكها الشخصية الرئيسية. ويمكن لهذا العنوان أن يخلق لغزاً أكبر حول الفيلم، حيث سيحمل معانياً وطلاسماً ستزيد من تشويق المشاهد لمعرفة مغزاه. مثل- Connected : Unrest - Breaking Boundaries - Fearless - The Last Dance - Becoming

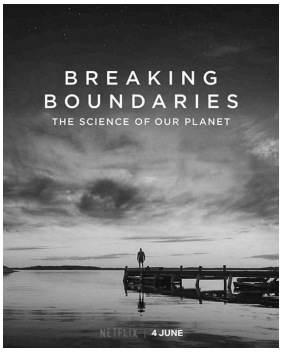

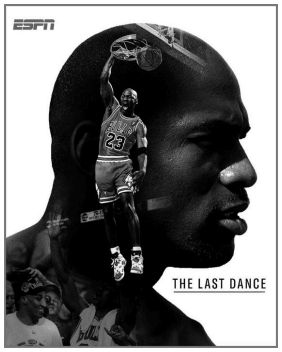

قد تستمر معك الحيرة في اختيار الاسم المناسب، ومن المهم في هذه الحالة أن تستعين بزملائك في الفريق بعقد جلسات عصف ذهني تقومون فيها باقتراح العديد من العناوين المناسبة ومن ثم تقييم كل واحدة منها واختيار أفضل ٣ أسماء ومن ثم التصويت على إحداها. بإمكانك بعدها أن تسأل الأشخاص الذين تثق بهم عن آرائهم حول اسم الفيلم وطلب اقتراحاتهم وآرائهم.

ثانياً: غلاف الفيلم:

ربما يكون غلاف الفيلم هو أول ما يمكن أن يجذب انتباه المشاهد. حيث يهدف الغلاف إلى إعطاء فهم عام لنوع الفيلم وموضوعه، وشرح فكرته الرئيسية، وأيضاً يقوم بتوضيح الأبطال الرئيسيين وفريق العمل على الفيلم.

بإمكان الغلاف أن يخبر الكثير عن الفيلم دون الحاجة إلى محاولة شرحه أو كتابة المقالات عنه. فرُب صورة خير من ألف كلمة. ومن علامات القوة في الغلاف إذا تم قراءته وفهمه في ثانية دون الحاجة إلى طرح الأسئلة التوضيحية عنه.

ويعتبر غلاف الفيلم من الأعمال الفنية التي يصعب وضع مواصفات ومكونات معينة لنجاحها. فهي وسيلة تعبيرية إبداعية عميقة وصادقة. ويجب ترك كامل الحرية للمصمم ليقوم بتوضيح قصة الفيلم في هذا الغلاف. ولكن هناك بعض المقاييس التي يجب توفرها في الغلاف:

غلاف فيلم "أناس سعداء "Happy people

- أن يكون العنوان كبيراً وواضحاً.
- في بعض الأحيان يفضل وضع شعار يشرح أمراً معيناً عن الفيلم، أو يطرح سؤالاً جدلياً جاذباً للمخرج الألماني ويرنير هيرزوق "Happy peopleأناس سعداء "مثال فيلم . وغامضاً والذي "A Year in the Taigaعام في التايغا "حيث كان شعار الفيلم في أسفل العنوان يقول يشرح بشكل موجز عن قصة الفيلم ومكانه.
- وضع أسماء الممثلين والأبطال وفريق العمل في أسفل الغلاف.
- وضع شعارات الجهات الممولة والمنتجة وغيرهم من الداعمين والمساهمين.

بإمكانك أن تستلهم أفكار الأغلفة الناجحة والقوية وأفكارها الإبداعية من خلال الأماكن التالية:

- **Google:** وذلك بأن تبحث عن أسماء الأفلام من خلالها لتطلع على أغلفتها.
- **Behance:** وهي منصة فنية معروفة يمكنك من خلالها مشاهدة أعمال الرسامين والمصممين المعاصرين. وبإمكانك فيه أن تبحث باسم المصمم أو نوع الفن أو المجال الإبداعي الذي تريده. بإمكان هذه المنصة أن تكون مصدر إلهام جيدة لك.
- **Pinterest:** ومكان جيد للبحث عن المراجع. وهو كتالوج عالمي للأفكار ومعروف للجميع والصور والأفكار.
- **Typographic Posters:** وهي عبارة عن منصة للإلهام والترويج للتصاميم عالية الجودة وبإمكانك من خلاله أن تبحث عن الأغلفة القوية. من خلال ثقافة الأغلفة.
- **Creative Market:** وهو موقع لبيع التصاميم بكل أنواعها، أشبه ما يكون بموقع أمازون ستجد فيه ما يمكن أن تتخيله في هذا العالم الشاسع. ولكن في مجال التصميم والإبداع.

ثالثاً: الإعلان التشويقي:

وهو مقطع قصير يهدف إلى جذب الجماهير لمشاهدة الفيلم ويزيد من إثارته. وهو أداة تسويقية تعرض أهم ما يميز الفيلم لإقناع الجمهور لمشاهدته. ويوفر الإعلان بعض أهم جوانب قصة الفيلم دون حرق الأحداث المهمة. وعادة ما يتراوح مدته من دقيقة ونصف إلى دقيقتين ونصف. ويتم نشره مبكراً لزيادة التشويق ولكسب اهتمام الناس لمشاهدة الفيلم.

وهناك ٥ خطوات مهمة لإعداد الإعلان التشويقي:

١ -**التسلسل الرئيسي:** وبإمكانك هنا أن تستخدم أسلوب قوس القصة Story Arch الذي تحدثنا عنه في الفصل الرابع)القصة(، والمكونة من ٣ أقسام Act 1 : Act 2 - Act 3. حيث يقوم الإعلان بعرض قصة جذابة لابد لها أن تثير اهتمام الجمهور عاطفياً. حيث يجب أن يبدأ الإعلان بتقديم الشخصيات الرئيسية، والإعداد، وموضوع الفيلم. ولابد أن يتم التطرق فيه عن الصراع والتعارض.

٢ -**عرض أهم المشاهد:** حيث يقوم الإعلان الجيد بعرض أكثر المشاهد إبهاراً من الناحية البصرية والآسرة عاطفياً دون إفساد أحداث الحبكة الرئيسية. وهذا يعتبر من أصعب الخطوات في مونتاج الإعلان التشويقي، وخصوصاً إذا كان عندك رصيد كبير من المشاهد القوية التي قد تضطر إلى أن تضحي بالكثير منها. وهنا يكون الحكم عندك في اختيار أكثر المشاهد إقناعاً للجمهور.

٣ -**التعليق الصوتي:** قد تقوم بكتابة نص مشوق يقوم بقراءته معلق صوتي متميز، أو أن تقوم بإعادة توظيف بعض النصوص المستخدمة في الفيلم على لسان أبطال الفيلم وأن تقوم بترتيبه بطريقة إبداعية حتى يتم بناء تسلسل مشوق للإعلان. وبإمكانك أيضاً كتابة بعض النصوص القصيرة جداً على الشاشة حتى تزيد من الإثارة والترقب.

٤ -**الموسيقى والمؤثرات الصوتية:** إن للموسيقى دوراً كبيراً في إيصال المشاعر الرئيسية التي ترغب بإيصالها للجمهور. ولابد أن تكون الأحداث المعروضة متناغمة مع الدرجات

الموسيقية وانتقالاتها. وأيضاً لابد أن تكون سرعة المشاهد متوائمة معها. ولا تنس المؤثرات الصوتية التي ستزيد حتماً من التشويق والإثارة.

٥ -**المواهب في الفيلم:** من الجيد تسليط الضوء على أهم المشاركين في صناعة الفيلم. مثل ذكر جائزة مهمة حصدها مخرج الفيلم، أو وضع اسم فيلم ناجح سابق قام بإخراجه. والمثال ينطبق أيضاً على الكاتب والممثلين. ومن المهم وضع اسم كامل طاقم العمل في آخر الإعلان.

رابعاً: فيديو وصور خلف الكواليس:

وهذه من الوسائل الجيدة التي بإمكانك نشرها في وسائل التواصل الاجتماعي والتي تشبع فضول الجمهور لمعرفة ما يدور خلف الكواليس. فبهذه الطريقة سيعلم الجمهور مقدار الجهد والوقت الذي تم وضعه لإنتاج الفيلم، وبهذا سيكون الفيلم مقدراً ومحترماً أكثر. وبالإمكان أيضاً ذكر بعض المعلومات المتعلقة بالتقنيات المستخدمة في بعض المشاهد الصعبة، والتطرق للتحديات وكيف تم تخطيها. وبهذه الطريقة سيعيش الجمهور كافة الأجواء الإنتاجية في الفيلم وسيكون حديث مجالسه.

خامساً: إعداد ملف :EPK

وهو اختصار لمصطلح "مجموعة الصحافة الالكترونية Electronic Press Kit"وهو ملف مهم يتم إعداده للموزعين أو المنتجين أو المستثمرين المحتملين أو المهرجانات السينمائية. وهو الملف الذي يحتوي على كافة المعلومات المهمة المتعلقة بالفيلم وبمن وراءه، والذي سيقوم بالإجابة على كافة تساؤلات هذه الجهات. فهو الملف الذي ينقل جوهر الفيلم وخلاصته وأهم معلوماته لهم. ويتكون بالعادة من صفحة إلى ٣ صفحات. ومن أهم المعلومات التي يجب وضعه فيه هو:

١ -غلاف الفيلم.
٢ -نبذة عن الفريق والشخصيات الرئيسية.
٣ -ملخص الفيلم.
٤. Logline -
٥ -بيانات الاتصال.
٦ -الداعمين والمنتجين.
٧ -الجوائز التي حصدها)إن وجد.(
٨ -بعض الصور من الفيلم ومن خلف الكواليس.

سادساً: الموزع:

وهو الشخص أو الجهة المتخصصة في مجال توزيع الفيلم في أماكن العرض والاتفاق معها من الألف إلى الياء. فللموزع المعتمد قنوات التواصل الخاصة به وأساليبه التسويقية والتفاوضية التي تمكنه من إتمام الصفقات الرابحة. ومهمة الموزع لا تقتصر على نشر الفيلم بعد

الانتهاء منه، بل قد ينضم لفريق العمل خلال مرحلة الكتابة والإعداد ليقوم بعرض فكرة المشروع للممولين والمعلنين ليحصل على الدعم منهم.

سابعاً: فسح الفيلم:

وهي عبارة عن شهادة ملكيتك للفيلم تصدرها الجهات المختصة في هذا المجال ليتم تسجيل حقوق الفيلم وحمايته من السرقة والاستعمال غير القانوني. وفي المملكة العربية السعودية فإن الجهة المخولة بإصدار فسوحات الأفلام هي الهيئة العامة للإعلام المرئي والمسموع، وتقوم هذه الجهة بمشاهدة الفيلم والموافقة على محتواه ومن ثم إصدار الفسح له باسم الشخص أو الجهة المالكة له.

الخاتمة

الآن وقد انتهيت من قراءة معظم هذا الكتاب، والذي أتمنى أن يكون قد أنار بصيرتك وأجابك على أغلب تساؤلاتك وأعطاك كل الأدوات التي تحتاجها لصناعة فيلمك الوثائقي الذي تحلم به. ما أردت من خلاله إلا أن أبوح لك بكل ما تعلمته خلال السنوات الماضية من ممارسة هذه الصنعة، والتي أصبحت حرفتي، ومجالي الرئيسي الذي أعرف به، والذي أكتسب منه قوت يومي، وأخدم به ديني ووطني ومجتمعي. وحاولت بكل ما أوتيت من الوقت والجهد أن أضع فيه كل ما تعلمته وقرأت عنه وفهمته ولم أبخل بأي شيء أعرفه، علّه أن يكون مُعيناً لك ومُرشداً في انطلاقتك نحو شغفك. وأن يكون لي شفيعاً يوم القيامة كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-" :إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوا له."

لا أدعي أن هذا الكتاب هو أفضل الموجود، بل على العكس. ستجد في آخر الصفحات قائمة متوسعة لأبرز المراجع والكتب والمقالات والأبحاث التي رجعت إليها واستفدت من محتوياتها. والتي أجزم بأنها تحتوي على كنوز ومعلومات ونصائح وأدوات أفضل مما عندي بكثير. فأنصحك بأن تقتني منها وأن تستفيد مما فيها.

إن هناك الكثير من القصص حولك والتي تنتظر شغوفاً مثلك أن يقوم بروايتها وعرضها عبر فيلم وثائقي محكم وجذاب. وهناك من الجمهور من يتوق لمشاهدة فيلم يحكي قصة ملهمة، أو أن يفتح ذهنه نحو قضية مهمة، أو أن يشرح له علوم مفيدة، أو أن يريه عوالم عجيبة وبديعة. فكن أنت ذلك الشغوف.

أثار المؤلف الشهير مالكوم جلادويل Malcolm Gladwellفي كتابه الشهير الأكثر مبيعاً "المتميزون "Outliersإلى قاعدة الـ١٠ آلاف ساعة، والتي كان يؤكد من خلالها أن السبب الرئيسي وراء النجاح في مجال معين وإتقانه واكتساب الخبرة العالية فيه هو قضاء ١٠ آلاف ساعة في ممارسته. من المؤكد أن هناك عوامل أخرى تحتاج إليها لكي تصبح متميزاً وناجحاً في مجالك، ولكن ما يهمنا هنا هو بيت القصيد من قاعدة جلادويل. وهو أن تعمل كثيراً وتجتهد بكل ما عندك وتتعلم من أخطائك حتى تصل إلى المستوى العالي الذي تحلم به. وأتمنى أن تكون الساعات التي قضيتَها في قراءة هذا الكتاب من ضمن أثمن ١٠ آلاف ساعة الخاصة بك.

حان الوقت الآن لتنطلق في صناعة فيلمك الوثائقي الأول، أو حتى العاشر. فنحن الآن في عالم متسارع يتغير بلا توقف، وأصبحت الشعوب والبلدان والثقافات مترابطة أكثر من ذي قبل، حتى أصبحت همومنا وتحدياتنا متقاربة ومتشابهة. ونحتاج الآن أكثر من أي وقت مضى أن نعرف أكثر عن ماضينا وحاضرنا، ليساعدنا هذا في اتخاذ القرارات الصحيحة المتعلقة بمستقبلنا.

حظاً سعيداً.. وأخبرني عندما يتم العرض الأول لفيلمك الوثائقي القادم..

محبك /عبدالرحمن حسن صندقجي

كلمة شكر

إن تجربة تأليف هذا الكتاب لم تكن محاولتي الأولى، ولكن هذه المحاولة حتماً هي التي تمكنت من الوصول. لم يكن لهذا الجهد أن يتحقق لولا دعم بعض الأحباب والأصدقاء. في مقدمتهم والدتي العزيزة (صفية)، التي كانت الصدر الحنون والقلب الرؤوم والدافع للاستمرار في تحقيق أحلامي. ووالدي الحبيب (حسن) الذي شجعني تشجيعاً كبيراً بمجرد قراءته لأول نسخة من هذه الصفحات، والذي استلهمت منه حب الكتابة لأنه كاتب عظيم بالفطرة.

وأشكر أيضاً زوجتي (عالية) التي آمنت بفكرة هذا الكتاب وشجعتني على الاستمرار فيه. والشكر موصول لصديقي (عبدالرحمن سفر) الذي كانت نصائحه المستقاة من تجربة كتابه الأول مشجعةً ومحفزةً لي لأن أكمل المسيرة. ولا أنسى الصديق (عادل باهميم) الذي فرح عندما علم بمشروعي هذا وقام بربطي بالأستاذ العزيز (خالد العتيق) الرئيس التنفيذي لدار مدارك للنشر، والذي عرف عنه صراحته الشديدة في ما يتعلق بالكتب ونقدها، إلا أنه آمن بهذا العمل وكان اتفاقنا أسرع اتفاق عقدته في حياتي.

ويشرفني أن أشكر أساتذتي (تركي الشهري) و(د. مسفر الموسى) المتخصصين والأعلم مني والأكثر خبرة في مجال الأفلام الوثائقية. فقد أكرموني بأن أعطوني من وقتهم الثمين لقراءة هذا الكتاب وإعطائي النصيحة والمشورة، وأهدوني كلمات جميلة تزين بها الغلاف الخلفي للكتاب.

والشكر لك عزيزي/تي القارئ/ـة لاقتناء هذا النتاج وتقليب صفحاته وتمرير عينيك الجميلتين على كلماته. ولولا اهتمامك وحسن ظنك لما كان لهذا الهدف أن يتحقق ولا لهذا المحتوى أن يصل إليك.

شكراً لكم.

المصادر

1- Nichols, B. (2001). Introduction to Documentaries. Indiana University Press, Bloomington. 223 pp.

2- Bernard, S. (2007). Documentary Storytelling: Making stronger and more dramatic nonfiction films. Focal Press, USA. 367 pp.

3- Fadiman, D. Levelle, T. (2008). Producing with Passion: Making films that change the world. Michael Wiese Productions, USA. 266 pp.

4- باتريشيا أوفدرهايدي، الفيلم الوثائقي: مقدمة قصيرة، ترجمة: شيماء طه الريدي)القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٣م.(

5- Weinstein, A. (2017). Directing for the Screen. Routledge, New York. 271 pp.

6- Ames, E. (2014). Werner Herzog interviews. University Press of Mississippi, USA. 193 pp.

7- Brindle, M. (2013). The Digital Filmmaking Handbook: The definitive guide to digital filmmaking. Quercus, London. 222 pp.

8- Owens, J. Millerson, G. (2008). Video Production Handbook. Focal Press, Oxford. 329 pp.

9- Lancaster, K. (2013). DSLR Cinema: Crafting the film look with large sensor video cameras. Focal Press, Burlington. 295 pp.

10- Grove, E. Beginning Filmmaking: 100 easy steps from script to screen. Methuen, London. 128 pp.

11- Rabiger, M. Hubris-Cherrier, M. (2013). Directing: Film techniques and aesthetics. Focal Press, Burlington. 517 pp.

12- Pepe, P. Zarzynski, J. (2012). Documentary Filmmaking for Archaeologists. Left Coast Press, California. 230 pp.

13- Baker, M. (2006). Documentary in the Digital Age. Focal Press, Burlington. 308 pp.

14- Bruzzi, S. (2000). New Documentary: A critical introduction. Routledge, London. 199 pp.

15- Wablberg, M. (2008). Documentary Time: Film and phenomenology. University of Minnesota Press, London. 170 pp.

16- Smaill, B. (2010). The Documentary: Politics, emotion, culture. Palgrave Macmillan. New York. 221 pp.

17- Rosenthal, A. (1990). Writing, Directing, and Producing Documentary Films and Videos. Southern Illinois University Press, USA. 392 pp.

18- Stubbs, L. (2002). Documentary Filmmakers Speak. Allworth Press, New York. 227 pp.

19- Raiger, M. (2004). Directing the Documentary. Focal Press, Oxford. 627 pp.

20- Austin, T. De Jong, W. (2008). Rethinking Documentary: New perspectives, new practices. McGraw Hill, England. 358 pp.

21- Aufderheide, P. Jaszi, P. Chandra, M. (2009). Honest Truths: Documentary filmmakers on ethical challenges in their work. Center for Social Media, USA. 26 pp.

22- Das, T. How to Write a Documentary Script. UNESCO. 52 pp.

23- Babirat, C. Davis, L. (2013). The Business of Documentary Filmmaking: A practical guide for emerging New Zealand filmmakers. Longacre, New Zealand. 195 pp.

24- Martin, R. (2009). The Reel Truth: Everything you didn't know you need to know about making an independent film. Faber and Faber inc, New York. 536 pp.

25- عبدالحليم حمود، الصحافة الاستقصائية: الفضيحة الكاملة (بيروت: مركز الدراسات والترجمة، ٢٠١٠م)

26- أحمد فؤاد درويش، من روائع الأفلام الوثائقية (القاهرة: دار درويش للنشر، ٢٠١٠م)

27- توماس مكفايل، الإعلام الدولي: النظريات - الاتجاهات والملكية، ترجمة: د. حسني نصر و د. عبدالله الكندي (العين: دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٣م)

28- كاظم مرشد السلوم، سينما الواقع: دراسة تحليلية في السينما الوثائقية (بغداد: مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)

29- مجموعة من الباحثين، كيف نفكر وثائقياً، إشراف وتنسيق: حسن مرزوقي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٤م)

30- مجموعة من الباحثين، الفيلم الوثائقي في مئويته الثانية، إشراف وتنسيق: أحمد مجاهد (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٥م)

31- أ. د. منى الحديدي و أ. د. سلوى إمام، السينما التسجيلية: الخصائص والأساليب والاستخدامات (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٥م)

عبدالرحمن حسن صندقجي

صانع أفلام – sandokji.com

هندسة صناعية من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن. أخرج وأنتج العديد من البرامج التلفزيونية، والإعلانات، و الأفلام الوثائقية التي حازت على العديد من الجوائز من مهرجانات سينمائية، وملايين المشاهدات، والعروض المحلية والدولية.
منها: فوسفين – آل زهايمر – جليد – الكهف

هناك الكثير من القصص والتجارب والأحداث والقضايا من حولنا، والتي تستحق أن يتم روايتها وعرضها في فيلم وثائقي محبك وجذاب. ففي المملكة العربية السعودية من القصص والحكايات والمواقف والتجارب الناجحة اللامعة التي لا تنتهي. وخصوصاً أن المملكة صاعدة الآن نحو رؤية سامية وتسعى لإحداث الكثير من التغيير وتحقيق المزيد من النجاحات. وتتعرض في نفس الوقت للكثير من الهجمات الإعلامية التي تستهدف مقدراتها ونجاحاتها وقيمها. لذلك نحتاج إلى أفلام وثائقية عظيمة تظهر الجانب الحقيقي والأصيل من سر قوتها وصمودها.

رأيت بعض صناع الأفلام يحاولون صنع أفلامهم الوثائقية، ولكنهم يواجهون الكثير من التحديات والعقبات التي لا يعرفون كيفية حلها. بل قد يفشل بعضهم في إتمام فيلمه أو قد يخرج هذا الفيلم بصورة لا ترتقي لطموحاته وتوقعاته؛ لذلك جاءت فكرة هذا الكتاب الذي أردت به أن أساعدهم في تحدياتهم. فلكي يستطيع الوثائقي أن ينفذ مشروعه بذكاء وبأقل التكاليف والجهد فإنه يتحتم عليه أن يعرف أسرار هذا المجال ويفهم تفاصيل جميع مراحله وإجراءاته وأدواته والحلول العملية، وذلك لكي يتمكن من تحقيق حلمه وشغفه وعرض قصته بأفضل صورة ممكنة.

"يتميز الكتاب بشموله وعمقه، إذ أبدع مؤلفه في نقاش أبعاد الفيلم الوثائقي من حيث نشأته، وأنماطه، وتطبيقاته، مع ربط هذا النقاش بأمثلة لأفلام عالمية وثائقية. كما أن المؤلف، مخرج وثائقي بامتياز، أثرى تجربته عبر العديد من المواقف والنصائح التطبيقية من واقع أفلامه الوثائقية التي حصدت ملايين المشاهدات على اليوتيوب. الدقة، الوضوح، والمباشرة، هي سمات في صياغة هذا الكتاب، مما جعله مشوقاً، ومتماسكاً، ولا غرابة فمؤلفه مهندس ومخرج معاً"

تركي الشهري، باحث ومحاضر في الإعلام والأفلام الوثائقية

"يعد هذا الكتاب مرجعاً هاماً لصانعي الأفلام الوثائقية ولطلاب الإعلام. فمنهجيته رصينة ومادته العلمية عميقة، كما أن تسلسل الفصول تأخذ الممارس في رحلة مهنية من المفهوم إلى مراحل الإنتاج مروراً بصوت الفيلم وأساليب معالجته. هذه الرحلة المتناغمة والمنطقية مزودة بالصور ومدعومة بالتحليل العلمي للأفلام محل الدراسة"

د. مسفر الموسى، أكاديمي متخصص في الوثائقيات وجماليات الشاشة

ISBN 978-614-429-684-4

Madarek Publishing House